



# مَخَالِجُ

جميعها آيات نوحا لم يالاب اعومشوى روده  
من الرصد الرسوب

وَهُوَ يَشِيرُ عَلَى حِكَايَاتِ أُدْبِيَّةٍ  
وَنَوَادِرَ حِكْمِيَّةٍ وَخَوَادِثَ تَارِيخِيَّةٍ

٢

مطبعة المطبعين الرسوبين

مطبع في مطبعة المطبعين الرسوبين  
في بيروت

١٩

١٩٠



مُحَمَّدٌ

جميعا الاب يوحنا بلو والاب اغوستيتوس روده  
من الرهبنة الموعبة

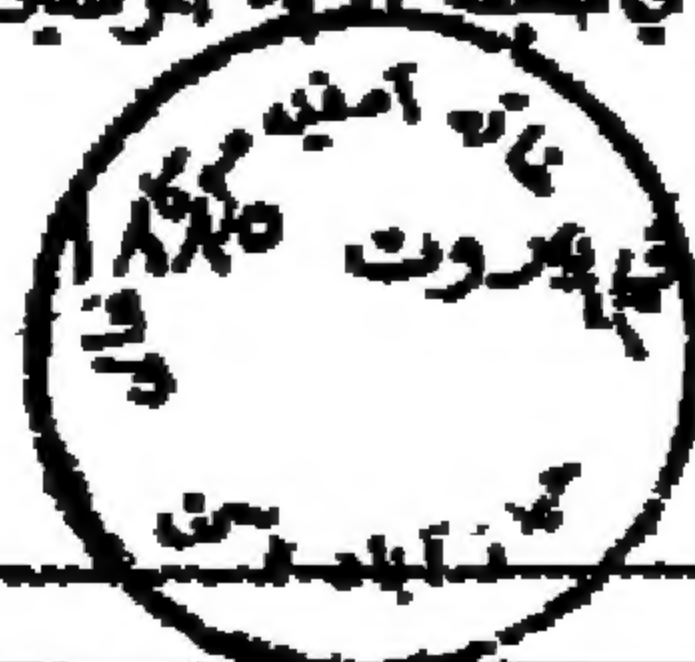
## الجزء الاول

## القسم الثاني

وَهُوَ بِشْتِمِلُ عَلَى حِكَايَاتِ أَدَبِيَّةٍ  
وَنَوَادِرَ حِكْمِيَّةٍ وَخَوَاطِرَ تَأْرِخِيَّةٍ



طبعة ثامنة في مطبعة الإباء المرسلين اليسوعيين



۱۳۰۲۸	وانظر منسب
۲۹	فر منسب
	نماذج



مِنْ مَقْدِمَةِ يَهُودَا بْنِ سَحَوَانَ وَيُعْرَفُ بِعَلِيِّ بْنِ

ذَكَرَ فِيهَا السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِ

هَلْ يَدْبُرُ الْفِيلَسُوفُ الْهِنْدِيُّ رَأْسَ الْبَرِّ

لِدَبْشَلِيمَ مَلِكِ الْهِنْدِ كِتَابَهُ الَّذِي سَمَّاهُ

كَلِيلَهُ وَدَعَاهُ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الشَّاهِ الْفَارِسِيُّ كَانَ السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ لِدَبْشَلِيمَ  
مَلِكِ الْهِنْدِ كِتَابَ كَلِيلَةِ وَدَعْنَةِ أَنْ أَلِيسَكَنْدَرُ خَا الْفَرَنْبِينَ الرَّومِيِّ لَهَا  
فَرَعَ مِنْ أَمْرِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا بِنَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ سَارَ يُرِيدُ مُلُوكَ الْمَشْرِقِ  
مِنَ الْفَرَسِ وَغَيْرِهِمْ. فَلَمْ يَزَلْ يُجَارِبُ مَنْ نَازَعَهُ وَيُؤَافِقُ مَنْ وَاقَعَهُ  
وَيُسَالِمُ مَنْ وَادَعَهُ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَسِ وَهُمْ الطَّبَقَةُ الْأُولَى حَتَّى ظَفِرَ عَلَيْهِمْ  
وَقَهَرَ مَنْ نَازَاهُ وَتَغَلَّبَ عَلَى مَنْ حَارَبَهُ. فَتَفَرَّقُوا طَرَائِقَ وَتَمَزَّقُوا خَرَائِقَ.  
فَتَوَجَّهَ بِالْجُنُودِ نَحْوَ بِلَادِ الصِّينِ فَبَدَأَ فِي طَرِيقِهِ بِمَلِكِ الْهِنْدِ لِيَدْعُوهُ إِلَى  
طَاعَتِهِ وَالِدُخُولِ فِي مِلْكِهِ وَوِلَايَتِهِ. وَكَانَ عَلَى الْهِنْدِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مَلِكٌ  
خُوسَطُوفٌ وَبَاسٌ وَقُوْفٌ مِرَاسٍ يُقَالُ لَهُ فُورٌ. فَلَمَّا بَلَغَهُ إِقْبَالُ ذِي الْفَرَنْبِينَ  
نَحْوَهُ تَأَهَّبَ لِمُحَارَبَتِهِ وَاسْتَعَدَّ لِمُجَادَنَتِهِ وَضَمَّ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ وَجَدَّ النَّالِبَ  
عَلَيْهِمْ وَجَمَعَ لَهُ الْعَدَّةَ فِي أَسْرَعِ مَدَّةٍ مِنَ الْفِيلَةِ الْهِنْدِيَّةِ لِلْحُرُوبِ وَالسِّبَاعِ  
الْبُضْرَاءِ لِلْوُثُوبِ مَعَ الْخُجُولِ الْمَسْرُجَةِ وَالسُّيُوفِ الْفَوَاطِيعِ وَالْجِرَابِ  
الْوَامِعِ.

فَلَمَّا قَرَّبَ ذُو الْفَرَنْبِينَ مِنْ فُورِ الْهِنْدِيِّ وَبَلَغَهُ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ مِنْ  
الْخَيْلِ الَّتِي كَانَتْهَا قِطْعُ اللَّيْلِ مَا لَمْ يَلْقَهُ بِشَيْءٍ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ الَّذِينَ



٤٠  
 كَانُوا فِي الْأَقَالِمِ . فَتَخَوَّفَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ تَقْصِيرِ بَقَعٍ بِهِ إِنْ عَجَلَ  
 الْبَارِزَةَ . وَكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ رَجُلًا ذَا حِيلٍ وَمَكَايِدَ مَعَ حُسْنِ تَدْيِيرٍ وَتَجَرِبَةٍ  
 فَرَأَى أَعْمَالَ الْحِيلَةِ وَالْمَهْلِ وَأَحْتَفَرَ خَنْدَقًا عَلَى عَسْكَرِهِ وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ  
 لَا سِتْنِبَاطَ الْحِيلَةِ وَالتَّدْيِيرِ فِي أَمْرِهِ وَكَيْفَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى الْإِقْبَاعِ  
 بِهِ . فَاسْتَدْعَى بِالْمُنْجِبِينَ وَأَمَرَهُمْ بِالْإِخْبَارِ لِيَوْمٍ مُوَافِقٍ تَكُونُ فِيهِ لَهُ سَعَادَةٌ  
 لِحَارَبَةِ مَلِكِ الْهِنْدِ وَالنُّصْرَةِ عَلَيْهِ . فَاسْتَعْلَوْا بِذَلِكَ وَكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ  
 لَا يَهْرُبُ بِمَدِينَةٍ إِلَّا أَخَذَ الصَّنَاعَ الْمَشْهُورِينَ مِنْ صُنَائِعِهَا بِالتَّحْدِثِ مِنْ كُلِّ  
 صِنْفٍ . فَأَتَتْهُ لَهُ هَيْئَةٌ وَدَلَّتُهُ فِطْنَتُهُ أَنْ يُقَدِّمَ إِلَى الصَّنَاعِ الَّذِينَ مَعَهُ أَنْ  
 يَصْنَعُوا خَيْلًا مِنْ نُحَاسٍ مُجَوَّفَةٍ عَلَيْهَا نَمَائِيلُ مِنَ الرِّجَالِ عَلَى بَكْرِ تَجْرِي إِذَا  
 دُفِعَتْ مَرَّتَ سِرَاعًا . وَأَمَرَ إِذَا فَرَّغُوا مِنْهَا أَنْ تُحْشَى أَجْوَاهُهَا بِالنَّفْطِ وَالْكِبْرِيتِ  
 وَتُلْبَسَ وَتُقَدَّمَ أَمَامَ الصَّفِّ فِي الْقَلْبِ . وَوَقْتُ مَا يَلْتَفِي الْجَمْعَانِ تُضْرَمُ  
 فِيهَا النَّيرانُ . فَإِنَّ الْفِيلَةَ إِذَا لَفَتْ خَرَّاطِهَا عَلَى الْفُرْسَانِ وَهِيَ حَامِيَةٌ وَلَتْ  
 هَارِبَةٌ . وَلَوْ عَزَّ إِلَى الصَّنَاعِ بِالتَّشْيِيرِ وَالْإِنْكَاشِ وَالْفَرَاغِ مِنْهَا . فَجَدُّوا فِي  
 ذَلِكَ وَعَجَّلُوا وَقُرْبَ أَیْضًا وَقْتُ اخْتِبَارِ الْمُنْجِبِينَ . فَأَعَادَ ذُو الْقَرْنَيْنِ  
 رُسُلَهُ إِلَى فُورٍ بِهَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ طَاعِنِهِ وَالْإِذْعَانِ لِدَوْلَتِهِ . فَأَجَابَ  
 جَوَابَ مُصِرٍّ عَلَى مُخَالَفَتِهِ مُنِيبٍ عَلَى مُحَارَبَتِهِ . فَلَمَّا رَأَى ذُو الْقَرْنَيْنِ عَزِيمَتَهُ  
 سَارَ إِلَيْهِ بِأَهْلِيهِ وَقَدَّمَ فُورَ الْفِيلَةِ أَمَامَهُ وَدَفَعَتْ الرِّجَالُ نِلْكَ الْخَيْلِ  
 وَنَمَائِيلَ الْفُرْسَانِ فَأَقْبَلَتِ الْفِيلَةُ نَحْوَهَا وَلَفَتْ خَرَّاطِهَا عَلَيْهَا . فَلَمَّا أَحْسَتْ  
 بِالْحَرَارَةِ لَفَتْ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا وَخَاسَتْهُمْ تَحْتَ أَرْجُلِهَا وَمَضَتْ مَهْزُومَةً هَارِبَةً  
 لَا تُلْوِي عَلَى شَيْءٍ وَلَا تَهْرُبُ بِأَحَدٍ إِلَّا وَطِئَتْهُ . وَتَقَطَّعَ فُورٌ وَجَمْعُهُ وَبَنِيهِمْ



أَصْحَابُ الإسْكَندَرِ وَاتَّخَذُوا فِيهِمُ انْجِرَاجَ

وَصَاحَ الإسْكَندَرُ بِأَمْلِكِ الْهِنْدِ أَبْرَزَ الْبَنَاءِ وَأَبْرَزَ عَلَى عُدُنِكَ وَعِمَالِكَ  
وَلَا تَحْمِلُهُمْ إِلَى الْفَنَاءِ. فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يَرْمِيَ الْمَلِكُ بَعْدَتَهُ فِي  
أَهْلِكَ الْهِنْدِ وَالْمَوَاضِعِ الْخَفِيَّةِ بَلْ يَقِيمُ بِمَالِهِ وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ بِنَفْسِهِ.  
فَأَبْرَزَ إِلَيْهِ وَدَعَا أَتَجِدَ فَأَتَيْنَا قَهْرَ صَاحِبَةٍ هُوَ الْأَسْعَدُ: فَلَمَّا سَمِعَ قَوْمًا  
مِنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ذَلِكَ الْكَلَامَ دَعَتْهُ نَفْسُهُ لِمُلَاقَاتِهِ طَبْعًا فِيهِ وَظَنَ  
ذَلِكَ فُرْصَةً. فَبَرَزَ إِلَيْهِ الإسْكَندَرُ فَتَجَادَلَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتِ قَرْسِيهَا  
سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ لَيْسَ يَلْقَى أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ فُرْصَةً وَلَا حِيلَةَ وَلَمْ  
يَزَالَا يَتَعَارَكَانِ. فَلَمَّا أَعْيَا الإسْكَندَرُ أَمْرُهُ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ فُرْصَةً أَوْقَعَ  
ذُو الْقَرْنَيْنِ بِعَسَاكِرِهِ صَبْحَةً عَظِيمَةً ارْتَجَّتْ لَهَا الْأَرْضُ وَالْعَسَاكِرُ.  
فَالْتَفَتَ قَوْمٌ عِنْدَمَا سَمِعَ الزَّعْفَةَ وَظَنُوا مَكِيدَةً فِي عَسَاكِرِهِ فَعَاجَلَهُ ذُو  
الْقَرْنَيْنِ بِضَرْبَةٍ أَمَلَتْهُ عَنْ سَرِّهِ فَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ. فَلَمَّا رَأَتْ الْهِنْدُ  
مَا نَزَلَ بِهِمْ وَمَا صَارَ إِلَيْهِ مَلِكُهُمْ حَمَلُوا عَلَى الإسْكَندَرِ فَتَنَلَوْهُ فِتْنًا لَا أَحْبَبُوا  
مَعَهُ الْمَوْتَ فَوَعَدَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ الْإِحْسَانَ وَمَنْعَهُ اللَّهُ أَكْثَانَهُمْ. فَاسْتَوَلَى عَلَى  
بِلَادِهِمْ وَمَلَكَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ ثِقَاتِهِ وَأَقَامَ بِالْهِنْدِ حَتَّى اسْتَوْثَقَ لَهُ مَا  
أَرَادَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَاتَّفَقَ كُلُّهُمْ. ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَنِ الْهِنْدِ وَخَلَفَ ذَلِكَ  
الرَّجُلَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى مَتَوَجِّهًا نَحْوَ مَا قَصَدَ

فَلَمَّا بَعْدَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عَنِ الْهِنْدِ بِجَبُوشِهِ تَغَيَّرَتِ الْهِنْدُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ  
طَاعَةِ الرَّجُلِ الَّذِي خَلَفَهُ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: لَا بَصُلْحَ لِلِسِّيَاسَةِ وَلَا تَرْضَى الْخَاصَّةُ  
وَلَا الْعَامَّةُ أَنْ يَهْلِكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ هُوَ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ أَهْلِ بِلَادِهِمْ. فَإِنَّهُ



لَا يَزَالُ يَسْتَدِلُّهُمْ وَيَسْتَفِلُّهُمْ. وَاجْتَمَعُوا يُمْلِكُونَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَوْلَادِهِ  
 مُلُوكِهِمْ فَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ دَبْشَلِيمُ وَخَلَعُوا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ  
 خَلْفَهُ عَلَيْهِمُ الْإِسْكَندَرُ. فَلَمَّا اسْتَوْثَقَ لَهُ الْأَمْرُ وَاسْتَفَرَّ لَهُ الْمَلِكُ طَغَى  
 وَبَغَى وَتَجَبَّرَ وَتَكَبَّرَ وَجَعَلَ يَغْزُو مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمُلُوكِ. وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ  
 مُؤَيَّدًا مظهرًا منصورًا قهَابَةً الرَّعِيَّةِ. فَلَمَّا رَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَلِكِ  
 وَالسُّطُورَةِ عَيْتَ بِالرَّعِيَّةِ وَاسْتَصْفَرَ أَمْرَهُمْ وَأَسَاءَ السَّيْرَةَ فِيهِمْ وَكَانَ لَا يَرْتَقِي  
 حَالَهُ إِلَّا أَرْذَادًا عُنُورًا

فَهَكَكَ عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ. وَكَانَ فِي زَمَانِهِ رَجُلٌ قَيْلَسُوفٌ مِنَ  
 الْبَرَاهِمَةِ فَاضِلٌ حَكِيمٌ يُعْرَفُ بِفَضْلِهِ وَيُرْجَعُ فِي الْأُمُورِ إِلَى قَوْلِهِ. يُقَالُ لَهُ  
 يَدَبَا. فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ لِلرَّعِيَّةِ فَكَّرَ فِي وَجْهِهِ الْحِمْلَةَ فِي  
 صَرْفِهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ وَرَدَّهِ إِلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ. فَجَمَعَ لِذَلِكَ  
 تَلَامِيذَهُ وَقَالَ: أَتَعْلَمُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَشَاوِرَكُمْ فِيهِ. إِنْ عَلِمُوا أَنِّي أَطَلْتُ  
 الْفِكْرَةَ فِي دَبْشَلِيمَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الْعَدْلِ وَلُزُومِ الشَّرِّ  
 وَرَدَاةِ السَّيْرِ وَسُوءِ الْعِشْرِ مَعَ الرَّعِيَّةِ. وَنَحْنُ مَا نَرُوضُ أَنْفُسَنَا بِمِثْلِ هَذِهِ  
 الْأُمُورِ إِذَا ظَهَرَتْ مِنَ الْمُلُوكِ إِلَّا لِنَرُدَّهُمْ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَلُزُومِ الْعَدْلِ.  
 وَمَتَى أَغْفَلْنَا ذَلِكَ وَأَهْمَلْنَا لَزِمَانَيْنِ وَقُوعِ الْمَكْرُوهِ بِنَا وَبُلُوغِ الْخُدُورَاتِ  
 إِلَيْنَا إِذَا كُنَّا فِي أَنْفُسِ الْجَهَالِ أَجْهَلَ مِنْهُمْ وَفِي الْعُبُونِ عِنْدَهُمْ أَقْلَ مِنْهُمْ.  
 وَلَيْسَ الرَّأْيُ عِنْدِي الْخُلُوعُ عَنِ الْوَطَنِ وَلَا بَسْعُنَا فِي حِكْمَتِنَا إِبْقَاؤُهُ عَلَى مَا  
 هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السَّيْرِ وَفُجْرِ الطَّرِيقَةِ. وَلَا يُبَكِّتُنَا مُجَاهَدَتُهُ بِغَيْرِ السِّنِّينَا  
 لَوْ ذَهَبْنَا إِلَى أَنْ نَسْتَعِينَ بِغَيْرِنَا لَمْ تَنْهَيْتُنَا لَمَاعَانَدَتُهُ وَلَيْتَ أَحْسَنَ مِنَّا



بِخَالَفَةِ وَانْكَارِ نَاسِهِ سَبْرَتِهِ كَانَ فِي ذَلِكَ بَوَارِنَا ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ إِنِّ  
 مُجَاوِرَةَ السَّبْعِ وَالْكَلْبِ وَالْحَيَّةِ وَالْفُورِ عَلَى طِيبِ الْوَطَنِ وَتَضَارَةِ الْعِيشِ  
 لَتُخَذِرُ بِالنَّفْسِ ، وَإِنَّ الْفَيْلَسُوفَ لِحَقِيقٌ أَنْ تَكُونَ هَيْبَتُهُ مَصْرُوفَةً إِلَى مَا يَحْصُنُ  
 بِهِ نَفْسَهُ مِنْ نَوَازِلِ الْمَكْرُوهِ وَلَوْ أَحَقَّ التَّخْذِيرِ وَبَدَفَعَ الْخَوْفَ لِاسْتِجْلَابِ  
 الْحُبُوبِ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنْ فَيْلَسُوفًا كَذَبَ لِنُصِيْبِهِ يَقُولُ : إِنِّ مُجَاوِرَةَ  
 رِجَالِ السُّوءِ وَالْبُصَاخَةِ لَمْ كَرَ كَرِيبَ الْبَحْرِ هُوَ إِنْ سَلِمَ مِنَ الْغَرَقِ لَمْ يَسْلَمْ  
 مِنَ الْخَوَافِ : فَإِذَا أَوْرَدَتْ نَفْسُهُ مَوَارِدَ الْهَلَاكِاتِ وَمَصَاحِرَ الْخَوَافَاتِ عُدَّ مِنْ  
 التَّحْيِيرِ الَّتِي لَا نَفْسَ لَهَا ، لِأَنَّ الْحَيَوَانَاتِ الْبَهِيمِيَّةَ قَدْ خُصَّتْ فِي طَبَائِعِهَا  
 بِمَعْرِفَةِ مَا تَكْتَسِبُ بِهِ النِّفْعَ وَتَتَوَقَّى الْمَكْرُوهَ لِذَلِكَ لَمْ تَرَهَا تُورِدُ أَنْفُسَهَا  
 مَوَارِدَافِهِ هَلَكُومًا ، وَإِنَّمَا مَتَى أَشْرَفَتْ عَلَى مَوَارِدِ مُهْلِكِ لَهَا مَالَتْ بِطَبَائِعِهَا  
 الَّتِي رَغِبَتْ فِيهَا شَغَا بِأَنْفُسِهَا وَصَبَانَةً لَهَا إِلَى النُّفُورِ وَالتَّبَاعُدِ عَنْهُ

وَقَدْ جَمَعْتُكُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ لِأَنَّكُمْ أَسْرَيْتُمْ وَمَكَانُ سِرِّي وَمَوْضِعُ مَعْرِفَتِي وَبِكُمْ  
 أَعْتَصِدُ وَعَلَيْكُمْ أَعْنِيدُ ، فَإِنَّ الْوَحِيدَ بِنَفْسِهِ وَالْمُنْفَرِدَ بِرَأْيِهِ حَيْثُ كَانَ فَهُوَ  
 ضَائِعٌ وَلَا نَاصِرَ لَهُ ، عَلَى أَنَّ الْعَاقِلَ قَدْ يَبْلُغُ بِمُجْلَيْنِهِ مَا لَا يَبْلُغُ بِالْجُنُودِ  
 وَالْمَثَلُ فِي ذَلِكَ ، أَنَّ قُنْبَرَةَ اخْتَلَتْ أُخِيَّةً وَبَاضَتْ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ الْفِيلِ  
 وَكَانَ لِلْفِيلِ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ ، فَهَرَّكَاتَ يَوْمٍ عَلَى عَادَتِهِ لِيَرِدَ مَوَارِدَهُ  
 فَوَطِئَ عَشَّ الْقُنْبَرَةِ وَهَشَّمَ بِيضَهَا وَقَتَلَ فِرَاحَهَا ، فَلَمَّا نَظَرَتْ مَا سَأَهَا  
 عَلِمَتْ أَنَّ الَّذِي نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ لَا مِنْ غَيْرِ ، فَطَارَتْ فَوَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ  
 بَاكِئَةً ، ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لِمَ هَشَّمْتَ بِيضِي وَقَتَلْتَ فِرَاحِي وَأَنَا فِي  
 جِوَارِكَ أَفَعَلْتَ هَذَا أَسِنَّصَغَارًا مِنْكَ لِأَمْرِي وَاحْتِقَارًا لِشَأْنِي قَالَ هُوَ



الذي حملني على ذلك: فتركنه وأنصرفت إلى جماعة الطير فشكت إليها ما نالها من الفيل. فقالت لها: وما عسى أن تبلغ منه ونحن طيور؟ فقالت للعقاعي والغرياني: أحب منكم أن تصرن معي فتفتان عيني فإني أحنال له بعد ذلك بحبل آخرى: فأجابوها إلى ذلك وذهبن إلى الفيل فلم يزالوا ينشرون عيني حتى ذهبا بها ونوب لا يهتدي إلى طريق مطعبيه ومشريه. فلما علمت ذلك منه جاءت إلى غدير فيه ضفادع كثيرة فشكت إليها ما نالها من الفيل. قالت الضفادع: ما جيلتنا نحن في عظم الفيل وأين تبلغ منه؟ قالت: أحب منكم أن تسبروا معي إلى هذه قرية منه فتنبوا فيها ونسجوا فإنه إذا سمع أصواتكم لم يشك في الهاء فيهيوي فيها: فأجابوها إلى ذلك واجتمعوا في الهاوية. فسمع الفيل نقيق الضفادع وقد جهده العطش فأقبل حتى وقع في الوهدة فأعظم فيها وجأت الفئرة ترقرق على رأيه وقالت: أيها الطاغبي المغتر بقوته الخفيف لا مري كيف رأيت عظم جيلني مع صغر جثتي عند عظم جثتك وصغر هيبتك

فلبش كل منكم بما يسخ له من الرأي: قالوا بأجمعهم: أيها الفيلسوف الفاضل والحكيم العادل أنت البقدم فينا والفاضل علينا وما عسى أن

<sup>١</sup> يقال للصفدع والعقرب والدجاجة والمرق أسية صامتة والافعى فح والارنب ضخم والسنور ماع والكلب سم والمختبر قبع والبيك زمر والسبع حبلب والذئب عوى والعلب ضبع والظبي بنم والغراب نعب والبازي صرصر والنسر صفر والحمام مدر والبط بيق والصفر ففتق والذباب طن والمصفر شفتق والحجل مدر والفيل صامى والمغزير والشاة ثنت والحجل خار والنرس سهل والفيل شمع والعنوق

يَكُونُ مَبْلَغُ رَأْيِنَا عِنْدَ رَأْيِكَ وَفَهْمُنَا عِنْدَ فَهْمِكَ. غَيْرَ أَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ السِّبَاخَةَ  
فِي الْهَامِشِ الْمَسَاحِ تَغْرِيبٌ وَالذَّنْبُ فِيهِ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ. وَالَّذِي  
يُتَخَرَّجُ السَّمُّ مِنْ نَابِ الْحَيَّةِ فَيَبْتَلِعُهُ فَلَيْسَ الذَّنْبُ لِلْحَيَّةِ. وَمَنْ دَخَلَ عَلَى  
الْأَسَدِ فِي غَائِبِهِ لَمْ يَأْمَنْ وَثْبَتُهُ. وَهَذَا الْمَلِكُ لَمْ تَفْرِغْهُ النَّوَائِبُ وَلَمْ تُؤَدِّبْهُ  
التَّجَارِبُ وَلَسْنَا نَأْمَنُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَنْفُسِنَا سَطَوْنَهُ. وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ  
سَوَرَتِهِ وَمُبَادَرَتِهِ بِسُوءٍ إِذَا لَقِينَهُ بِغَيْرِ مَا يَحِبُّ. فَقَالَ الْحَكِيمُ يَدْبَابًا: لَعَنِي  
لَقَدْ قُلْتُ فَأَحْسَنْتُمْ لَكِنَّ ذَا الرَّأْيِ الْخَازِمِ لَا يَدْعُ أَنْ يُشَاوِرَ مَنْ هُوَ دُونَهُ  
وَفَوْقَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ. وَالرَّأْيُ الْفَرْدُ لَا يُكْتَفَى بِهِ فِي الْخَاصَّةِ وَلَا يُتَنَفَّعُ بِهِ فِي  
الْعَامَةِ. وَقَدْ صَحَّتْ عَزِيمَتِي عَلَى لِقَاءِ دَبْشَلِيمَ وَقَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ وَتَبَيَّنَ لِي  
تَصِحَّتُكُمْ وَالْإِشْفَاقُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ. غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيَا وَعَزَمْتُ عَزْمًا  
وَسَتَعْرِفُونَ حَدِيثِي عِنْدَ الْمَلِكِ وَمَجَاوِزِي إِبَاهُ. فَإِذَا اتَّصَلَ خُرُوجِي مِنْ  
عِنْدِهِ فَاجْتَمِعُوا إِلَيَّ: وَصَرَفْتُمْ وَفَمَّ يَدْعُونَ لَهُ بِالسَّلَامَةِ

ثُمَّ إِنَّ يَدْبَابًا أَخْبَارَ يَوْمًا لِلدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ  
أَتَى عَلَيْهِ مُسَوَّحَةٌ وَهِيَ لِبَاسُ الْبَرَاهِمَةِ وَقَصَدَ بَابَ الْمَلِكِ وَسَأَلَ صَاحِبَ  
إِذْنِهِ وَكَارِشِدَهُ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَبَهُ وَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ قَصَدْتُ الْمَلِكَ فِي  
نَاصِيحَةٍ فَدَخَلَ الْإِذْنُ عَلَى الْمَلِكِ فِي وَقْتِهِ وَقَالَ: بِالْبَابِ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ  
يُقَالُ لَهُ يَدْبَابُ ذَكَرَ أَنَّ مَعَهُ لِلْمَلِكِ نَاصِيحَةٌ: فَأَخِذْ لَهُ فَدَخَلَ وَوَقَفَ بَيْنَ  
يَدَيْهِ وَكَفَّرَ وَسَجَدَ لَهُ وَأَسْتَوَسَ قَائِمًا وَسَكَتَ فَفَكَرَ دَبْشَلِيمُ فِي سُكُونِهِ  
وَقَالَ: إِنِّ هَذَا لَمْ يَنْصِدْنَا إِلَّا لِأَمْرَيْنِ. إِمَّا أَنْ يَلْتَمِسَ مِنَّا شَيْئًا يُصْلِحُ بِهِ  
حَالَهُ. أَوْ لِأَمْرِ لِحَقِّهِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِ طَاقَةٌ: ثُمَّ قَالَ: إِنْ كَانَ لِلْمُلُوكِ فَضْلٌ



فِي مَهْلِكِهَا فَإِنَّ لِلْحُكَمَاءِ فَضْلًا فِي حِكْمَتِهَا أَكْثَرَ . لِأَنَّ الْحُكَمَاءَ أَغْنِيَاءَ عَنِ  
 الْمُلُوكِ بِالْعِلْمِ وَلَيْسَ الْمُلُوكُ بِأَغْنِيَاءَ عَنِ الْحُكَمَاءِ بِالْمَالِ . وَقَدْ وَجَدْتُ  
 الْعِلْمَ وَالْحُكْمَةَ الْفَيْنِ مَتَا لَفَيْنِ لَا يَفْتَرِقَانِ مَتَى فُتِدَ أَحَدُهُمَا لَمْ يُوْجَدْ الْآخَرُ  
 كَالْمُتَصَافِينَ إِنْ أُغْنِيَتْ مِنْهَا أَحَدٌ لَمْ يَطِبْ صَاحِبُهُ نَفْسًا بِالْبَقَاءِ بَعْدَهُ  
 تَأْسَفًا عَلَيْهِ . وَمَنْ لَمْ يَسْخَرْ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَيُكْرِمَهُمْ وَيَعْرِفْ فَضْلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ  
 وَيَصْنَعَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِ الْوَهْنَةِ وَيَتَرَفَّهُمْ عَنِ الْمَوَاطِنِ الرَّذِيلَةِ كَانَتْ مِنْ  
 حُرْمِ عَقْلِهِ وَخَسَرَتْ دُنْيَاهُ وَظَلَمَ الْحُكَمَاءَ حُقُوقَهُمْ وَعَدَّ مِنَ الْجُهَالِ : ثُمَّ رَفَعَ  
 رَأْسَهُ إِلَى يَدْبَابٍ وَقَالَ لَهُ : نَظَرْتُ إِلَيْكَ يَا يَدْبَابَا سَاكِنَا لَا تَعْرِضُ حَاجَتَكَ  
 وَلَا تَذْكُرُ بُغْيَتَكَ فَقُلْتُ : إِنْ الَّذِي أَسْكَنَهُ هَيْبَةُ سَوْرَتِهِ أَوْ حَيْفَةُ أَدْرَكْتُهُ  
 وَتَأَمَّلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ طُولِ وَفُوفِكَ وَقُلْتُ : لَمْ يَكُنْ لِيَدْبَابَا أَنْ يَطْرُقَنَا  
 عَلَى غَيْرِ عَادَةٍ إِلَّا لِأَمْرِ حَرَكَةٍ لِذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ فَهَلَا  
 تَسْأَلُهُ عَنْ سَبَبِ دُخُولِهِ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ ضَمِيرِ نَالِهِ كُنْتُ أَوَّلَى مَنْ أَخَذَ يَدَهُ  
 وَسَارَعَ فِي تَشْرِيفِهِ وَتَقَدَّمَ فِي الْبُلُوغِ إِلَى مُرَادِهِ وَاعْزَازِهِ . وَإِنْ كَانَتْ  
 بُغْيَتُهُ غَرَضًا مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا أَمَرْتُ بِإِرْضَائِهِ مِنْ ذَلِكَ فِيمَا أَحَبَّ وَإِنْ  
 يَكُنْ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَمِمَّا يَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ أَنْ يَذِلُّوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَا يَنْفَاحُوا  
 إِلَيْهِ نَظَرْتُ فِي قَدْرِ عُنُوتِهِ . عَلَى أَنْ مِثْلَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَى إِدْخَالِ نَفْسِهِ  
 فِي بَابِ مَسْئَلَةِ الْمُلُوكِ . وَإِنْ كَانَتْ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الرَّعِيَةِ يُقْصَدُ فِيهِ إِلَى  
 صَرْفِ عَنَائِي إِلَيْهِمْ نَظَرْتُ مَا هُوَ . فَإِنَّ الْحُكَمَاءَ لَا يُشِيرُونَ إِلَّا بِالْخَيْرِ  
 وَالْجُهَالُ يُشِيرُونَ بِضَدِّهِ وَأَنَا قَدْ فَصَحْتُ لَكَ بِالْكَلَامِ  
 فَلَمَّا مَعَ ذَلِكَ يَدْبَابَا مِنَ الْمَلِكِ أَفْرَجَ عَنْهُ رَوْعَهُ وَسَرَى مَا كَانَ وَقَعَ فِي

نَفْسِهِ مِنْ خَوْفِهِ وَكَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ. ثُمَّ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ: أَوَّلُ مَا أَلْقَى  
 أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بَقَاءَ الْمَلِكِ عَلَى الْأَبَدِ وَدَوَامَ مُلْكِهِ عَلَى الْأَمَدِ. لِأَنَّهُ قَدْ  
 مَنَحَنِي الْمَلِكُ فِي مَقَامِي هَذَا مَحَلًّا جَعَلَهُ شَرَفًا لِي عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَعْدِي مِنَ  
 الْعُلَمَاءِ. وَذَكَرًا بَاقِيًا عَلَى الدَّهْرِ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمَلِكِ يُوَخِّيه  
 مُتَبَشِّرًا بِهِ فَرِحًا بِهَا بَدَلًا لَهُ مِنْهُ وَقَالَ: قَدْ عَظَّمَ الْمَلِكُ عَلَيَّ بِكْرِيهِ  
 وَإِحْسَانِهِ وَالْأَمْرَ الَّذِي دَعَانِي إِلَى الدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ وَحَمَلَنِي عَلَى الْخُاطَرِ  
 لِكَلَامِهِ وَالْإِفْتِدَاءَ إِلَى الْمَلِكِ نَصِيحَةً اخْتَصَصْتُهُ بِهَا دُونَ غَيْرِ وَسَبَّحْتُ  
 مَنْ يَنْصِلُنِي بِهِ ذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَقْصِرْ عَنْ غَايَةِ فِيمَا يَحِبُّ لِلْهَوَى عَلَى الْحُكَمَاءِ.  
 فَإِنْ فَجَعَ فِي كَلَامِي وَوَعَاهُ عَنِّي فَهُوَ حَقِيقٌ بِذَلِكَ وَمَا بَرَاهُ. وَإِنْ هُوَ الْقَاهُ  
 فَقَدْ بَلَغْتُ مَا يَلْزُمُنِي وَخَرَجْتُ مِنْ لَوْمٍ يَلْحَقُنِي. قَالَ الْمَلِكُ: يَا بَيْدَبَا تَكَلَّمْ  
 مَهْمَا شِئْتَ فَإِنِّي مُصْغِرٌ إِلَيْكَ وَمُقْبِلٌ عَلَيْكَ وَسَامِعٌ مِنْكَ حَتَّى أَسْتَفْرِغَ مَا  
 عِنْدَكَ إِلَى آخِرِهِ وَأُجَارِبَكَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ

قَالَ سَدَمًا: إِنَّ الْأُمُورَ الَّتِي اخْتَصَّ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ أَرْبَعَةٌ  
 أَشْيَاءٌ وَهِيَ جَمَاعُ مَا فِي الْعَالَمِ وَهِيَ: الْحِكْمَةُ وَالْعِفَّةُ وَالْعَقْلُ وَالْعَدْلُ. وَالْعِلْمُ  
 وَالْأَدَبُ وَالرُّيَّةُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْحِكْمَةِ. وَالْحِلْمُ وَالصَّبْرُ وَالْوَقَارُ دَاخِلَةٌ  
 فِي بَابِ الْعَقْلِ. وَالْحَيَاءُ وَالْكَرَمُ وَالصِّيَانَةُ وَالْأَنَفَةُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعِفَّةِ.  
 وَالصِّدْقُ وَالْإِحْسَانُ وَالْمِرَاقِبَةُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعَدْلِ.  
 وَهَذِهِ هِيَ الْحَاسِنُ وَأَضْدَادُهَا هِيَ الْمَسَاوِي فَهِيَ كَبَلَتْ هَذِهِ فِي وَاحِدٍ لَمْ  
 تُخْرِجْهُ الزِّيَادَةُ فِي نِعْمَةٍ إِلَى سُوءِ الْخَطِّ مِنْ دُنْيَاهُ وَلَا إِلَى نَقْصٍ وَلَمْ يَتَأَسَفْ  
 عَلَى مَا لَمْ يُعِنِ التَّوْفِيقُ بِبِقَائِهِ وَلَمْ يُجْزِئَهُ مَا تَجَرَّى بِهِ الْمَقَادِيرُ فِي مُلْكِهِ وَلَمْ



بَذَهْنٍ عِنْدَ مَكْرُوهِ. فَأَيْحْكُمُ كَثْرَ لَا يَنْفَى عَلَى إِنْفَاقٍ. وَخَيْرُهُ لَا يُضْرَبُ  
لَمَّا بِالْإِمْلَاقِ وَحُلَّةٌ لَا تَخْلُقُ جِدَّتِهَا وَلَذَّةٌ لَا تُصْرَمُ مَدَّتِهَا وَلَيْنٌ كُنْتُ  
عِنْدَ مُقَامِي يَنْ يَدِي الْمَلِكِ أَمْسَكْتُ عَنْ آتِدَائِهِ بِالْكَلَامِ. فَإِنَّ ذَلِكَ  
لَمْ يَكُنْ مِنِّي إِلَّا لِهَيْبَتِهِ وَالْإِجْلَالِ لَهُ. وَلَعَبْرِي إِنَّ الْهُلُوكَ لِأَهْلٍ أَنْ يَهَابُوا  
لَا سِيَّامَنْ هُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ الَّتِي حَلَّ فِيهَا الْمَلِكُ مَعَنْ مَنَازِلِ الْهُلُوكِ قَبْلَهُ. وَقَدْ  
قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: الزَّمِ السُّكُوتَ فَإِنَّ فِيهِ سَلَامَةً وَتَجَنَّبِ الْكَلَامَ الْفَارِغَ  
فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ النَّدَامَةُ

وَحِكْمِي أَنْ أَرْبَعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ ضَمُّهُمْ مَجْلِسُ مَلِكٍ فَقَالَ لَهُمْ: لِيَتَكَلَّمُ كُلُّ  
وَاحِدٍ بِكَلَامٍ يَكُونُ أَصْلًا لِلْأَدَبِ: فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَفْضَلُ خَلَّةِ الْعِلْمِ  
السُّكُوتُ: وَقَالَ الثَّانِي: إِنَّ مِنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ  
مَنْزِلَتِهِ مِنْ عَقْلِهِ: وَقَالَ الثَّالِثُ: أَنْفَعُ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِهَا  
لَا يَعْينُهُ: قَالَ الرَّابِعُ: أَرْوَجُ الْأُمُورَ عَلَى الْإِنْسَانِ التَّسْلِيمُ لِلْمَقَادِيرِ: وَاجْتَمَعَ  
فِي بَعْضِ الزَّمَانِ مُلُوكُ الْأَقَالِيمِ مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَفَارِسَ وَالرُّومِ وَقَالُوا:  
يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِكَلِمَةٍ تُدَوِّنُ عَنْهُ عَلَى غَايِرِ الدَّهْرِ: قَالَ  
مَلِكُ الصِّينِ: أَنَا عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ: قَالَ مَلِكُ  
الْهِنْدِ: عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعُهُ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ  
لَوْ بَقِيَتْهُ: قَالَ مَلِكُ فَارِسَ: أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي وَإِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ  
بِهَا مَلَكَتْهَا: قَالَ مَلِكُ الرُّومِ: مَا تَدِينْتُ عَلَى مَا لَمْ أَتَكَلَّمْ قَطُّ وَلَقَدْ تَدِينْتُ  
عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا. وَالسُّكُوتُ عِنْدَ الْهُلُوكِ أَحْسَنُ مِنَ الْهَذَرِ الَّذِي لَا  
يَرْجِعُ مِنْهُ إِلَى نَفْعٍ وَأَفْضَلُ مَا بِهِ اسْتَظَلَ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ

خَيْرَ أَنْ الْمَلِكَ أَطَالَ اللَّهُ مَدَّتَهُ لَهَا فَفَعَّحَ لِي فِي الْكَلَامِ وَأَوْسَعَ لِي فِيهِ  
 كَانَ أَوَّلِي مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ غَرَضِي أَنْ يَكُونَ ثَمَرُهُ ذَلِكَ لَهُ  
 دُونِي وَأَنَا أَخْتَصُّهُ بِالْثَنَائِذِ قَبْلِي . عَلَى أَنْ الْعُتْبَى هِيَ مَا أَفْصَدُ فِي كَلَامِي لَهُ  
 وَإِنَّمَا نَفْعُهُ وَشَرَفُهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ وَكَأَنَّ أَنَا قَضَيْتُ فَرَضًا وَجَبَ عَلَيَّ فَأَقُولُ :  
 أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّكَ فِي مَنَازِلِ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ الَّذِينَ أَسْأَلُوا  
 الْمَلِكَ قَبْلَكَ وَشَبَّدُوهُ دُونَكَ وَبَنَوْا الْفِلَاحَ وَالْمُحْصُونَ وَمَهَّدُوا الْبِلَادَ  
 وَقَادُوا الْجَبُوشَ وَاسْتَجَاشُوا الْعُدَّةَ وَطَالَتْ لَهُمُ الْهَيْئَةُ وَاسْتَكْبَرُوا مِنَ السِّلَاحِ  
 وَالْكَرَاعِ وَعَاشُوا الدُّهُورَ فِي الْغِبْطَةِ وَالسُّرُورِ . فَلَمْ يَهْنُمْ ذَلِكَ مِنْ  
 اكْتِسَابِ جَبَلِ الذِّكْرِ وَلَا فَطَعَهُمْ عَنْ أَرْزِ نِكَابِ الشُّكْرِ وَلَا اسْتَعْمَالِ  
 الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ خَوْلُوهُ وَالْإِرْفَاقِ بَيْنَ وَلَوِّهِ وَحَسَنِ السَّيْرِ فِيهَا تَقْلُدُوهُ  
 مَعَ عِظَمِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ غُرِّ الْمُلْكِ وَمَسْكِرَةِ الْإِفْتِدَالِ

وَأَنَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ جَدُّ الطَّالِعِ كَوَكَبُ سَعْدِهِ قَدَّوْرَتْ أَرْضَهُمْ  
 وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَمَنَازِلَهُمُ الَّتِي كَانَتْ عُدَّتُهُمْ فَأَقْبَتَ فِيهَا خَوْلَتْ مِنْ  
 الْمُلْكِ وَوَرِثَتْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجُنُودِ . فَلَمْ تَقُمْ بِذَلِكَ بِخَوْفٍ مَا يَجِبُ  
 عَلَيْكَ بَلْ طَغَيْتَ وَبَغَيْتَ وَعَنُوتَ وَعَلَوْتَ عَلَى الرَّعِيَّةِ وَأَمَاتَ السَّيْرَةَ  
 وَعَظَّمْتَ مِنْكَ اللَّيْلَةَ . وَكَانَ الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةُ بِكَ أَنْ تَسْلِكَ سَبِيلَ  
 أَسْلَافِكَ وَتَتَّبِعَ آثَارَ الْهُلُوكِ قَبْلَكَ وَتَقْفُو مُحَاسِنَ مَا أَبْقَوْهُ لَكَ وَتَقْلَعَ مَا  
 عَارَهُ لَازِمٌ لَكَ وَشَيْنُهُ وَافِعٌ عَلَيْكَ وَتُحْسِنَ النَّظَرَ بِرَعِيَّتِكَ وَتَسُنَّ لَهُمْ سُنَنَ  
 الْخَيْرِ الَّذِي يَنْتَفِي بِعَدَدِكَ ذِكْرُكَ وَيُعْفِيكَ الْجَمِيلَ فَخْرُكَ . وَيَكُونَ ذَلِكَ أَتْفَى  
 عَلَى السَّلَامَةِ وَأَخْذِمْ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ . فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْهَنَرَ مَنْ اسْتَعْمَلَ فِي



أُمُورِهِ الْبَطَرِ وَالْأَمْنِيَّةِ . وَالْحَارِمِ الْيَبِ مَنْ سَاسَ الْمُلُوكَ بِالْمَكْرَةِ  
وَالرَّفِي . فَأَنْظُرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ وَلَا يَنْقُلَنَّ ذَلِكَ مَعْلِكَ فَلَمْ  
أَتَكَلَّمْ أَنْتَ غَرَضٌ مُجَازِيٌّ وَلَا الْيَاسَ مَعْرُوفٌ نَكَافِيٌّ فِيهِ وَلَكِنِّي أَتَيْتُكَ  
نَاصِحًا مُشْفِقًا عَلَيْكَ

فَلَمَّا فَرَغَ يَدْبَا مِنْ مَتَالِيهِ وَقَضَى مُنَاصَحَةَ الْمَلِكِ أَرْعَبَ قَلْبَ الْمَلِكِ  
فَأَغْلَظَ لَهُ الْجَوَابَ اسْتِصْغَارًا لِأَمْرِهِ وَقَالَ : لَقَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ مَا كُنْتُ  
أُظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي يَسْتَفِيئُنِي بِهِئِلِهِ وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى مَا أَقْدَمْتَ  
عَلَيْهِ . فَكَيْفَ أَنْتَ مَعَ صِغَرِ شَأْنِكَ وَضَعْفِ بِنْتِكَ وَتَجَرُّ قُوَّتِكَ . وَلَقَدْ  
أَكْثَرْتَ إِعْجَابِي مِنْ إِقْدَامِكَ عَلَيَّ وَتَسْلُطِكَ بِلِسَانِكَ فِيمَا جَاوَزْتَ فِيهِ  
حَدَّكَ . وَمَا أَجِدُ شَيْئًا فِي تَأْدِيبِ غَيْرِكَ أَتَبْلُغُ مِنَ التَّنْكِيلِ بِكَ . فَذَلِكَ  
عَيْنٌ وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ عَسَاهُ أَنْ يَبْلُغَ وَيَرُومَ مَا رُمْتَ أَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ إِذَا  
أَوْسَعُوا لَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ وَيُصَلَّبَ . فَلَمَّا مَضَوْا بِهِ فِيمَا  
أَمَرَ فَكَّرَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ فَأَتَجَمَّ عَنْهُ . ثُمَّ أَمَرَ بِجَسَدِهِ وَتَقْيِيدِهِ

فَلَمَّا حُيِسَ أَنَّهُ يَطْلُبُ تَلَامِيذَهُ وَمَنْ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فَهَرَبُوا فِي الْبِلَادِ  
وَأَعْتَصَمُوا بِحِزَائِرِ الْبَحَارِ . فَهَكَذَا يَدْبَا فِي مَحَبَّتِهِ أَبَا مَا لَا يَسْأَلُ الْمَلِكُ عَنْهُ  
وَلَا يَلْتَفِتُ وَلَا يَحْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَهُ . حَتَّى إِذَا كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي سَهَرَ  
الْمَلِكُ سَهْرًا شَدِيدًا فَطَالَ سَهْرُهُ وَمَدَّ إِلَى الْفَلَكَ بَصَرَهُ وَتَفَكَّرَ فِي تَقَلُّبِ  
الْفَلَكَ وَحَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ . فَأَغْرَقَ الْفِكْرُ فِيهِ فَسَلَكَ بِهِ إِلَى اسْتِنْبَاطِ شَيْءٍ  
عَرَضَ لَهُ مِنْ أُمُورِ الْفَلَكَ وَالْمُسْتَلْهَةِ عَنْهُ . فَذَكَرَ عِنْدَ ذَلِكَ يَدْبَا وَتَفَكَّرَ  
فِيمَا كَلَّمَهُ بِهِ فَأَرْعَى لِذَلِكَ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَقَدْ آسَأْتُ فِيمَا صَنَعْتُ بِهِذَا

الْفَلَسُوفِ وَضَبَعَتْ وَاجِبَ حَقِّهِ وَحَمَلْنِي عَلَى ذَلِكَ سُرْعَةَ الْغَضَبِ . فَقَدْ  
قَالَتِ الْحَكَمَاءُ : أَرْبَعَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِي الْمُلُوكِ . الْغَضَبُ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ  
الْأَشْيَاءِ مُنْتًا . وَالْجُلُ فَإِنَّ صَاحِبَهُ لَيْسَ بِمَعْدُورٍ مَعَ ذَاتِ يَدِهِ . وَالْكَذِبُ  
فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُجَاوِزَهُ . وَالرِّفْقُ فِي الْمَحَاوِرَةِ فَإِنَّ السُّفَهَاءَ لَيْسَ مِنْ  
شَأْنِهَا . وَإِنِّي أَنِي إِلَى رَجُلٍ نَصَحَ لِي وَلَمْ يَكُنْ بِلَاغًا فَعَامَلْتُهُ بِضِدِّ مَا يَسْتَحِقُّ  
وَكَلَفْتُهِ مُخَالَفَ مَا يَسْتَوْجِبُ . وَمَا كَانَ هَذَا جَزَاءَهُ مِنِّي بَلْ كَانَ الْوَاجِبُ  
أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَهُ وَأَتَقَادَّ لِمَا يُشِيرُ بِهِ : ثُمَّ أَتَقَدَّدْتُ فِي سَاعَتِهِ مِنْ يَأْتِيهِ بِهِ  
فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : يَا يَدْبَا أَلَسْتَ الذِّبِّ قَصَدْتَ إِلَى تَقْصِيرِ  
هَيْبَتِي وَتَعْجِزَتِ رَأْيِي فِي سِيرَتِي بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ إِنَّمَا : فَقَالَ لَهُ يَدْبَا : أَيُّهَا الْمَلِكُ  
النَّاصِحُ الشَّفِيقُ الصَّادِقُ الرَّفِيقُ إِنَّمَا نَبَأْتُكَ بِمَا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَلِرَعِيَّتِكَ  
وَدَوَامُ مُلْكِكَ لَكَ : قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا يَدْبَا أَعِذْ عَلَيَّ كَلَامَكَ كُلَّهُ وَلَا تَدْعُ  
مِنْهُ حَرْفًا لِأَجِثَ بِهِ : فَجَعَلَ يَدْبَا يَنْتَرُ كَلَامَهُ وَالْمَلِكُ مُصَغَّرٌ إِلَيْهِ وَجَعَلَ  
دَبْشَلِيمُ كُلَّ مَا سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا يَنْكُتُ الْأَرْضَ بِشَيْءٍ فِي يَدِهِ . ثُمَّ رَفَعَ طَرَفَهُ  
إِلَى يَدْبَا وَأَمْرُهُ بِالْجُلُوسِ وَقَالَ لَهُ : يَا يَدْبَا إِنِّي قَدْ اسْتَعْدَدْتُ كَلَامَكَ  
وَحَسُنَ مَوْقِعُهُ مِنْ قَلْبِي وَأَنَا نَاطِرٌ فِي الَّذِي أَشْرْتَ بِهِ وَعَامِلٌ بِمَا أَمَرْتَ :  
ثُمَّ أَمَرَ بِقِيُودِهِ فَخُلَّتْ وَالْقِي عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِهِ وَتَلَقَّاهُ . فَقَالَ يَدْبَا : أَيُّهَا  
الْمَلِكُ إِنَّ فِي دُونِ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ نَهَايَةَ بِيْئَتِكَ : قَالَ : صَدَقْتَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ  
الْفَاضِلُ وَقَدْ وَلَيْتُكَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى جَمِيعِ أَقَاصِي مَمْلَكَتِي : فَقَالَ لَهُ :  
أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْنَيْنِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَإِنِّي لَسْتُ مُصْطَاحًا بِتَقْوِيْدِهِ : فَأَعْفَاهُ  
مِنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَنْصَرَفَ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ لَيْسَ بِرَأْسِهِ فَبَعَثَ فَرْدَهُ .



وَقَالَ إِنِّي فَكَّرْتُ فِي إِعْنَائِكَ فِيمَا عَرَضْتُ عَلَيْكَ فَوَجَدْتُهُ لَا يَقُومُ إِلَّا  
بِكَ وَلَا يَنْهَضُ بِهِ غَيْرُكَ وَلَا يَضْطَلِعُ بِهِ سِوَاكَ فَلَا تُخَالِفْنِي فِيهِ: فَأَجَابَهُ  
يُدْبَا إِلَى ذَلِكَ

وَكَانَ عَادَةً ذَلِكَ الزَّمَانِ إِذَا اسْتَكْتَبُوا وَزِيْرًا أَنْ يَعْقِدُوا عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا  
فِي أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَيُطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُنْعَلَ ذَلِكَ يُدْبَا.  
فَوُضِعَ التَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ وَرَكِبَ فِي الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ وَجَلَسَ بِمَجْلِسِ الْعَدْلِ  
وَالْإِنصَافِ بِأَخْذِ الدِّينِ مِنَ الشَّرِيفِ وَبِسَاوِي بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ  
وَرَدَّ الْمَظَالِمَ وَوَضَعَ مَنَنِ الْعَدْلِ وَكَثَرَ مِنَ الْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ. وَأَنْصَلَتْ  
الْخَبَرُ بِتَلَامِيذِهِ فَبَاقُوا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَرِحِينَ بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ مِنْ جَدِيدِ رَأْيِ  
الْمَلِكِ فِي يُدْبَا. وَشَكَرُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى تَوْفِيقِ يُدْبَا فِي إِزَالَةِ دَبْشَلِيمَ عَمَّا  
كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السَّيْرِ. وَاتَّخَذُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا يُعِيدُونَ فِيهِ هَوَّ  
إِلَى الْيَوْمِ عِيدًا عِنْدَهُمْ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ

ثُمَّ إِنَّ يُدْبَا لَهَا خَلَا فِكْرَهُ مِنْ أَشْنَعَالِهِ بِدَبْشَلِيمَ تَفَرَّغَ لِيَوْضَعَ كُتُبَ  
السِّيَاسَةِ وَتَشِطَّ لَهَا. فَعَمِلَ كُتُبًا كَثِيرَةً فِيهَا مِنْ دَفِينِ الْخَيْلِ وَمَضَى  
الْمَلِكُ عَلَى مَا رَسَمَ لَهُ يُدْبَا مِنْ حُسْنِ السَّيْرِ وَالْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ. فَارْتَبَتْ  
إِلَيْهِ الْمُلُوكُ الَّذِينَ كَانُوا فِي نَوَاحِيهِ وَأَنْقَادَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ عَلَى اسْتِوَاءِهَا.  
وَقَرِحَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ. ثُمَّ إِنَّ يُدْبَا جَمَعَ تَلَامِيذَهُ وَأَحْسَنَ صِلَتَهُمْ  
وَوَعَدَهُمْ لَمْ وَعَدًا جَمِيلًا وَقَالَ لَهُمْ: لَسْتُ أَشْكُ أَنَّهُ وَقَعَ فِي نَفُوسِكُمْ وَفَتْ  
دُخُولِي عَلَى الْمَلِكِ أَنْ قُلْتُمْ إِنَّ يُدْبَا قَدْ ضَاعَتْ حِكْمَتُهُ وَبَطَلَتْ فِكْرَتُهُ أَنْ  
عَزَمَ عَلَى الدُّخُولِ عَلَى هَذَا الْجَبَّارِ وَالطَّاغِي. فَتَذَعِلْتُمْ تَبْخَةً رَأْيِي وَصِحَّةَ

فِكْرِي وَأَنِّي لَمْ آتِهِ جَهْلًا بِهِ لِأَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ مِنَ الْحُكَمَاءِ قَبْلِي تُقُولُ إِنَّ  
 الْمُلُوكَ لَمَّا سَكَرُوا وَكَذَلِكَ الشَّبَابُ: فَالْمُلُوكُ لَا تُفِيضُ مِنَ السَّكَرَةِ إِلَّا  
 بِوَعِظِ الْعُلَمَاءِ وَأَدَبِ الْحُكَمَاءِ. وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُلُوكِ أَنْ يَتَعَضَّلُوا  
 بِوَعِظِ الْعُلَمَاءِ. وَالْوَاجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ تَقْوِيمُ الْمُلُوكِ بِالسِّتَةِ وَتَلَدِيهِهَا  
 بِحِكْمَتِهَا وَإِظْهَارُ النُّجَّةِ الْبَيِّنَةِ الْإِلْزِمَةِ لَهُمْ لِيَرْتَدُّ عَوَاغِمُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ الْأَعْوَجَاجِ  
 وَالْمُخْرُجِ عَنِ الْعَدْلِ. فَوَجَدْتُ مَا قَالَتِ الْعُلَمَاءُ فَرَضًا وَاجِبًا عَلَى الْحُكَمَاءِ  
 لِمُلُوكِهِمْ لِيُوفِظُوهُمْ مِنْ سِنَّةٍ سَكَرْتُمْ كَالطَّيِّبِ الذِّبِّ بِحَبِّ عَلَيْهِ فِي  
 صِنَاعَتِهِ حِفْظُ الْأَجْسَادِ عَلَى صِحَّتِهَا أَوْ رَدُّهَا إِلَى الصِّحَّةِ. فَكَرِهْتُ أَنْ يَمُوتَ  
 أَوْ أَمُوتَ وَلَا يَتَّقِيَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ يَدَّبَا الْفَيْلَسُوفُ فِي  
 زَمَانِ دَبْشَلِيمِ الطَّاغِي فَلَمْ يَرُدَّهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُ لَمْ يُنْكِنَهُ  
 كَلَامُهُ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ فَالْهَرَبُ مِنْهُ وَمِنْ جَوَارِهِ وَالْأَنْزِعَاجُ عَنِ الْوَطَنِ  
 شَدِيدٌ. فَرَأَيْتُ أَنَّ أَجُودَ مَحَبَّائِي فَأَكُونُ قَدْ أَتَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحُكَمَاءِ  
 بَعْدِي عُذْرًا فَحَمَلْتُهَا عَلَى التَّغْرِيبِ وَالظَّنِّ بِمَا أُرِيدُهُ. وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ مَا  
 أَنْتُمْ مُعَايِنُوهُ. فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ: إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مَرْتَبَةً إِلَّا  
 بِأَحَدِي ثَلَاثَ. إِمَّا بِمَشَقَّةٍ ثَنَالَةٍ فِي نَفْسِهِ وَإِمَّا بِوَضِيعَةٍ فِي مَالِهِ أَوْ وَكْسٍ  
 فِي دِينِهِ: مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرِّغَائِبَ. وَإِنَّ الْمَلِكَ دَبْشَلِيمَ قَدْ  
 بَسَطَ لِسَانِي فِي أَنْ أَضَعُ كِتَابًا فِيهِ مِنْ ضُرُوبِ الْحِكْمَةِ. فَلْيَضَعْ كُلُّ وَاحِدٍ  
 مِنْكُمْ فِي أَيِّ فَنٍّ شَاءَ وَلْيَعْرِضْهُ عَلَيَّ لِأَنْظُرَ مِقْدَارَ عَقْلِهِ وَأَتَيْتُ بَلَّغَ مِنْ  
 الْحِكْمَةِ فَهَمُّهُ: قَالُوا: أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ وَاللَّيِّبُ الْعَاقِلُ وَالَّذِي وَهَبَ  
 لَكَ مَا مَنَحَكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ وَالْأَدَبِ وَالْخَبِيلَةِ مَا خَطَرَ هَذَا



بَقُولِ بِنَاقِطٍ وَأَنْتَ رَئِيسُنَا وَفَاضِلُنَا وَعَلَى بَدِكَ أَنْتَعَشْنَا وَلَكِنْ سَجَّهَدُ  
أَنْفُسَنَا فِيمَا أَمَرْتَ

وَمَكَثَ الْمَلِكُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ السَّيَرَةِ زَمَانًا يَتَوَلَّى ذَلِكَ لَهُ يَدَبًا  
وَيَقُومُ بِهِ. ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ دَبَّسَلِيمَ لَهَا اسْتَقَرَّ لَهُ الْمَلِكُ وَسَقَطَ عَنْهُ النَّظَرُ  
فِي أُمُورِ الْأَعْدَاءِ بِهَا قَدْ كَفَاهُ ذَلِكَ يَدَبًا صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى النَّظَرِ فِي  
الْكَتَبِ الَّتِي وَضَعَهَا فَلَا سِنَّةَ الْهِنْدِ لِأَبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ. فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنْ  
يَكُونَ لَهُ أَيْضًا كِتَابٌ مَشْرُوحٌ بِنَسَبِ إِلَيْهِ تُذَكِّرُ فِيهِ أَيَّامَهُ كَمَا ذَكَرَ آبَاؤُهُ  
وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلِهِ. فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِذَلِكَ إِلَّا بِيَدَبٍ  
فَدَعَاهُ وَخَلَايَهُ وَقَالَ لَهُ: يَا يَدَبًا إِنَّكَ حَكِيمُ الْهِنْدِ وَفِيلَسُوفُهَا وَإِنِّي فَكَّرْتُ  
وَنَظَرْتُ فِي خَزَائِنِ الْحِكْمَةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْمُلُوكِ قَبْلِي فَلَمْ أَرِ فِيهِمْ أَحَدًا إِلَّا  
وَقَدْ وَضَعَ كِتَابًا يَذَكِّرُ فِيهِ أَيَّامَهُ وَسِيرَتَهُ وَيُنَبِّئُ عَنْ أَدْبِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ.  
فَمِنْهُ مَا وَضَعَهُ الْمُلُوكُ لِأَنْفُسِهِمَا وَذَلِكَ لِفَضْلِ حِكْمَةٍ فِيهَا. وَمِنْهُ مَا وَضَعَتْهُ  
حُكَمَاؤُهَا. وَأَخَافُ أَنْ يُلْحَقَنِي مَا لِحِقَ أَوْلِيكَ مَا لَا حِيلَةَ لِي فِيهِ وَلَا يُوجَدُ فِي  
خَزَائِنِي كِتَابٌ أَذَكِّرُ فِيهِ بَعْدِي وَأُنْسِبُ إِلَيْهِ كَمَا ذَكَرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي بِكُتُبِهِمْ.  
وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَضَعَ لِي كِتَابًا يَلِيغَا تَسْتَفْرِغُ فِيهِ عَقْلَكَ. يَكُونُ ظَاهِرُهُ  
مِيَاسَةَ الْعَامَةِ وَتَأْدِيبَهَا وَبَاطِنُهُ أَخْلَاقَ الْمُلُوكِ وَسِيَاسَتَهَا لِلرَّعِيَّةِ عَلَى طَاعَةِ  
الْمَلِكِ وَخِدْمَتِهِ فَيَسْقُطَ بِذَلِكَ عَنِّي وَعَنْهُمْ مَا مَخْتَلَجُ إِلَيْهِ فِي مُعَانَاةِ الْمَلِكِ.  
وَأُرِيدُ أَنْ يَبْقَى لِي هَذَا الْكِتَابُ بَعْدِي ذِكْرًا عَلَى غَايِرِ الدُّهُورِ  
فَلَمَّا سَمِعَ يَدَبًا كَلَامَهُ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ  
السَّعِيدُ جَدُّ عَلَا نَجْمُكَ وَغَابَ نَحْسُكَ وَدَامَتْ أَيَّامُكَ. إِنَّ الَّذِي قَدْ

طُيْعَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ مِنْ جُودَةِ الْفَرِيحَةِ وَوُفُورِ الْعَنَلِ حَرَكَةُ لِعَالِي الْأُمُورِ  
وَمَمَتْ بِهِ نَفْسُهُ وَهَيَّئَتْهُ إِلَى أَشْرَفِ الْمَرَاتِبِ مَنَزَلَةً وَأَبْعَدَهَا غَايَةً. وَأَدَامَ  
اللَّهُ سَعَادَةَ الْمَلِكِ وَأَعَانَهُ عَلَى مَا عَزَمَ مِنْ ذَلِكَ وَأَعَانَنِي عَلَى بُلُوغِ مُرَادِهِ.  
فَلْيَأْمُرِ الْمَلِكُ بِمَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنِّي صَائِرٌ إِلَى غَرَضِهِ مُجْتَهِدٌ فِيهِ بِرَأْيِي.  
قَالَ لَهُ الْمَلِكُ: يَا يَدْبَارُ لَمْ تَزَلْ مَوْصُوفًا بِحُسْنِ الرَّأْيِ وَطَاعَةِ الْمُلُوكِ فِي  
أُمُورِهِمْ. وَقَدْ أَخْبَرْتُ مِنْكَ ذَلِكَ وَأَخْتَرْتُ أَنْ تَضَعَ هَذَا الْكِتَابَ  
وَتَعْمَلَ فِيهِ فِكْرَكَ وَتَجْهَدَ فِيهِ نَفْسَكَ بِغَايَةِ مَا تَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ. وَلَكِنْ  
مُسْتَبِيلًا عَلَى اتِّحَادِ وَالْهَزْلِ وَاللَّهْوِ وَالْحِكْمَةِ وَالْفَلَسَفَةِ: فَكَفَّرَ لَهُ يَدْبَارًا وَسَجَدَ  
وَقَالَ: قَدْ أَجَبْتُ الْمَلِكَ أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ إِلَى مَا أَمَرَنِي بِهِ وَقَدْ جَعَلْتُ بَيْنِي  
وَبَيْنَهُ أَجَلًا: قَالَ: وَكَمْ هُوَ الْأَجَلُ: قَالَ: سَنَةٌ: قَالَ: قَدْ أَجَلْتُكَ: وَأَمَرَ لَهُ  
بِجَائِزٍ سَنِيَّةٍ تُعِينُهُ عَلَى عَمَلِ الْكِتَابِ

فَبَنِيَ يَدْبَارًا مُفَكِّرًا فِي الْأَخْذِ فِيهِ وَفِي أَيِّ صُورَةٍ يَتَدَبَّرُ فِيهِ وَفِي وَضْعِهِ.  
ثُمَّ إِنَّ يَدْبَارًا جَمَعَ تَلَامِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ نَدَانِي لِأَمْرِ فِيهِ فَخَرَبَ  
وَفَخَّرَكُمْ وَفَخَّرَ بِلَادَكُمْ وَقَدْ جَمَعْتُكُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ: ثُمَّ وَصَفَ لَهُمْ مَا سَأَلَ الْمَلِكُ  
مِنْ أَمْرِ الْكِتَابِ وَالْغَرَضِ الَّذِي قَصَدَ فِيهِ فَلَمْ يَقَعْ لَهُ الْفِكْرُ فِيهِ. فَلَمَّا لَمْ  
يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَا يُرِيدُ فَكَّرَ بِفَضْلِ حِكْمَتِهِ وَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ يَمُتُّ بِاسْتِغْرَاغِ  
الْعَقْلِ وَأَعْمَالِ الْفِكْرِ وَقَالَ: أَرَى السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي فِي الْبَحْرِ إِلَّا بِالْمَلَّاحِينَ  
لَأَنَّهُمْ يُعَدُّونَهَا نَائِمًا نَسَاكَ الْجَلَّةِ يَهْدِيهَا الَّذِي تَقَرَّدُ بِأَمْرِهَا. وَمَتَى  
تُخِجَتْ بِالرُّكَّابِ الْكَثِيرِينَ وَكُنْتُ مَلَا حَوْهَا لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْغَرَقِ: وَلَمْ  
يَزَلْ يُفَكِّرُ فِيمَا يُعْمَلُ فِي بَابِ الْكِتَابِ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى الْأَنْفِرَادِ بِنَفْسِهِ مَعَ



رَجُلٍ مِنْ تَلَامِيذِهِ كَانَ يَتَّقِي بِهِ فَنَحَلَا بِهِ مُنْفَرِدًا بَعْدَ أَنْ أَعَدَّ مِنَ الْوَرَقِ  
 الَّذِي تَكْتُبُ الْهِنْدُ فِيهِ شَيْئًا وَمِنْ الْقَوِيتِ مَا يَقُومُ بِهِ هُوَ وَتَلِيْبُهُ نِلْكَ  
 الْهِنْدُ. وَجَلَسَا فِي مَنُصُورَةٍ وَرَدَا عَلَيْهَا الْبَابَ. ثُمَّ بَدَأَا فِي نَظْمِ الْكِتَابِ  
 وَتَصْنِيفِهِ وَلَمْ يَزَلْ هُوَ يُبْلِي وَتَلِيْبُهُ يَكْتُبُ وَيَرْجِعُ هُوَ فِيهِ حَتَّى اسْتَفَرَ  
 الْكِتَابُ عَلَى غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْكَامِ. وَرَتَّبَ فِيهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ بَابًا كُلُّ  
 بَابٍ مِنْهَا قَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَفِي كُلِّ بَابٍ مَسْئَلَةٌ وَالْجَوَابُ عَنْهَا لِيَكُونَ لِمَنْ  
 نَظَرَ فِيهِ حَظٌّ. وَضَمَّنَ تِلْكَ الْأَبْوَابَ كِتَابًا وَاحِدًا وَمَسَاءَهُ كِتَابَ كَلِيلَةٍ  
 وَدِينَةٍ. ثُمَّ جَعَلَ كَلَامَهُ عَلَى السَّنَنِ الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ لِيَكُونَ  
 ظَاهِرٌ لَهُوَ الْخَوَاصُّ وَالْعَوَامُّ وَبَاطِنُهُ رِيَاضَةٌ لِعُنُوقِ الْمُخَاصَّةِ. وَضَمَّنَهُ أَيْضًا  
 مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ بِمَحْضِهِ عَلَى  
 حُسْنِ طَاعَتِهِ لِلْمُلُوكِ وَبُحْنَتِهِ مَا تَكُونُ مُجَابَنَتُهُ خَيْرًا لَهُ. ثُمَّ جَعَلَهُ بَاطِنًا  
 وَظَاهِرًا كَرَنَمِ سَائِرِ الْكُتُبِ الَّتِي يَرِثُهَا الْحِكْمَةُ. فَصَارَ الْخَيَوَانُ لَهُوَ وَمَا  
 يَنْطِقُ بِهِ حِكْمًا وَآدَبًا. فَلَمَّا أَبْدَأَ يَدَبًا بِذَلِكَ جَعَلَ أَوَّلَ الْكِتَابِ  
 وَصْفَ الصَّدِيقِ وَكَيْفَ يَكُونُ صَدِيقَانِ وَكَيْفَ تُقَطَّعُ الْمَوَدَّةُ بَيْنَهُمَا بِحِيلَةٍ ذِي  
 النَّبِيَةِ. وَأَمَّا تَلِيْبُهُ أَنْ يَكْتُبَ عَلَى لِسَانٍ يَدَبًا مِثْلَ مَا كَانَ الْمَلِكُ شَارِطَهُ  
 فِي أَنْ يَجْعَلَهُ لَهُوَ وَحِكْمَةً. فَذَكَرَ يَدَبًا أَنَّ الْحِكْمَةَ مَتَى دَخَلَهَا كَلَامُ  
 الْغَفْلَةِ أَفْسَدَهَا وَاسْتَجْهَلَ حِكْمَتَهَا. فَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَتَلِيْبُهُ يُعِيلَانِ الْفِكْرَ فِيمَا  
 سَأَلَهُ الْمَلِكُ حَتَّى فَتَقَ لَهَا الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهَا عَلَى لِسَانٍ بَيِّنَتَيْنِ.  
 فَوَقَعَ لَهَا مَوْضِعُ اللَّهْوِ وَالْهَزْلِ بِكَلَامِ الْبَهَائِمِ وَكَانَتِ الْحِكْمَةُ مَا نَطَقَ بِهِ.  
 فَأَصْغَتْ الْحِكْمَةُ إِلَى حِكْمَتِهِ وَتَرَكَوا الْبَهَائِمَ وَاللَّهْوَ وَعَلِمُوا أَنَّهَا السَّبَبُ فِي

الذي وضع لهم. ومآلت إليه أنجهال عجباً من محاوره بهيئين ولم يشكوا في ذلك وأخذوه لهم وتركوا معنى الكلام أن يفهموه ولم يعلموا الغرض الذي وضع له. لأن الفيلسوف إنما كان غرضه في الباب الأول أن يخبر عن تواصل الإخوان كيف تناسخه المودة بينهم على التحفظ من أهل السعاية والتحرز من يوقع العداوة بين المتحايين ليحري بذلك نفعاً إلى نفسه

فلم يزل يبدأ وتليده في المقصورة حتى استتم عمل الكتاب في مدة سنة. فلما تم التحول أئذ إليه الملك: أن قد جاء الوعد فإذا صنعت: فأئذ إليه يبدأ: إني على ما وعدت الملك فلما مرني بحمله بعد أن يجتمع أهل المملكة لتكون فرائدي هذا الكتاب يحضرنهم: فلما رجع الرسول إلى الملك سر بذلك ووعد يوماً يجتمع فيه أهل المملكة. ثم نادى في أقاصي بلاد الهند ليحضروا فراءة الكتاب. فلما كان ذلك اليوم أمر الملك أن ينصب ليدبا سريد مثل سريد وكراسي لابناء الملوك والعلماء وأئذ فأخضر. فلما جاءه الرسول قام فليس الباب التي كان يلبسها إذا دخل على الملوك وهي المسوخ السوداء وحمل الكتاب تليده. فلما دخل على الملك وثب الخلائق بأجمعهم وقام الملك شاكرًا. فلما قرب من الملك كفر له وسجد ولم يرفع رأسه. قال له الملك: يا يدبا أرفع رأسك فإن هذا يوم هناء وفرح وسرور وأمره أن يجلس. فحين جلس لفراءة الكتاب. سأله الملك عن معنى كل باب من أبواب الكتاب وإلى أي شيء قصد فيه. فأخبره بغرضه فيه وفي كل باب. فأزاد



الملك منه تعجبا وسرورا فقال له: يا يَدَبَا ما عَدَوْتَ الذي في نفسي وهذا الذي كنت اطلب فاطلب ما شئت ونحكم: فدعا له يَدَبَا بالسعادة وطول التجدد وقال: ايها الملك اما المال فلا حاجة لي فيه. واما الكسوة فلا اخنار على لباسي هذا شيئا ولست اخلّي الملك من حاجة: قال الملك: يا يَدَبَا ما حاجتك. فكل حاجة لك قبلنا مقضية. قال: يا امر الملك ان يدون كتابي هذا كما دون اباؤه واجدادهم كتبهم ويأمر بالاحياء عليه. فاني اخاف ان يخرج من بلاد الهند فيتناوله اهل فارس اذا علموا به. فلما امر الملك ان لا يخرج من بيت الحكمة: ثم دعا الملك تلاميذه واحسن لهم الجوائز. ثم لانه لما ملك كسرى انوشروان وكانت مستبشرا بالكتب والعلم والادب والنظر في اخبار الاولين وقع له خبر الكتاب فلم يفر قراره حتى بعث برزويه الطبيب حتى اخرجته من بلاد الهند فاقص في خراسان فارس

مِنْ كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدَيْتَةِ

فِي بَعْتِهِ بَرَزُورِيهِ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ

وَقَدْ رَزَقَ اللَّهُ الْمَلِكَ السَّعِيدَ أَنْشُرَوَانَ مِنَ الْعَقْلِ أَفْضَلَهُ وَمِنَ الْعِلْمِ  
أَجْزَلَهُ وَمِنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْأُمُورِ أَضْوَجَهَا وَسَدَّدَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ أَسَدَّهَا وَمِنَ  
الْبَحْثِ عَنِ الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ أَنْفَعَهُ. وَبَلَغَهُ مِنْ فُنُونِ اخْتِلَافِ الْعِلْمِ  
وَبُلُوغِ مَنَازِلَةِ الْفَلَسَفَةِ مَا لَمْ يَبْلُغَهُ مَلِكٌ قَطُّ مِنَ الْهَلُوكِ قَبْلَهُ. حَتَّى كَانَ فِي  
مَا طَلَبَ وَبَحَثَ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ بَلَغَهُ عَنْ كِتَابِ الْهِنْدِ عِلْمٌ أَنَّهُ أَضَلُّ  
كُلِّ أَدَبٍ وَرَأْسُ كُلِّ عِلْمٍ وَالذَّلِيلُ عَلَى كُلِّ مَنَافِعَةٍ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ وَزِيرَهُ  
بَرَزُجَهَرَ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ أَدِيبٍ عَاقِلٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ بِصِيرٍ  
بِلِسَانِ الْفَارِسِيَّةِ مَاهِرٍ فِي كَلَامِ الْهِنْدِيِّ وَيَكُونُ بَلِيغًا بِاللِّسَانَيْنِ جَمِيعًا. حَرِيصًا  
عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ مُجْتَهِدًا فِي امْتِنَاعِهَا لِالْأَدَبِ مُبَادِرًا فِي الْعِلْمِ وَالْبَحْثِ عَنْ  
كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ. فَأَنَاهُ بِرَجُلٍ أَدِيبٍ كَامِلٍ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ مَعْرُوفٍ  
بِصِنَاعَةِ الطِّبِّ مَاهِرٍ فِي الْفَارِسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ يُقَالُ لَهُ بَرَزُورِيهِ

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ كَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: يَا بَرَزُورِيهِ إِنِّي  
قَدْ اخْتَرْتُكَ لِمَا بَلَغَنِي مِنْ فَضْلِكَ وَعِلْمِكَ وَعَقْلِكَ وَحِرْصِكَ عَلَى طَلَبِ  
الْعِلْمِ حَيْثُ كَانَ. وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ كِتَابِ الْهِنْدِ مَخْزُونٍ فِي خَزَائِنِهِمْ: وَقَصَّ  
عَلَيْهِ مَا بَلَغَهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ: تَجَهَّزْ فَإِنِّي مُرَحِّلُكَ إِلَى أَرْضِ الْهِنْدِ فَتَلَطَّفَ  
بِعَقْلِكَ وَحُسْنِ أَدَبِكَ وَنَافِدِ رَأْيِكَ لِاسْتِخْرَاجِ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ خَزَائِنِهِمْ  
وَقِيلَ عَلَيْهِمْ فَتَسْتَفِيدُ مِنْ ذَلِكَ وَتُعِيدُنَا. وَمَا قَدِرتَ عَلَيْهِ مِنْ كُتُبِ



الهند ما ليس في خزائنها شيء فاحمله معك وخذ معك من المال ما  
تحتاج إليه وعجل ذلك ولا تقصر في طلب العلوم . وإن اكدت فيه  
النفقة فإن جميع ما في خزائني مبدول لك في طلب العلوم وأمر بإحضار  
المتبحرين فاختاروا له يوماً يسير فيه وساعة صالحة يخرج فيها  
وحمل معه من المال عشرين جراباً كل جراب فيه عشرة آلاف دينار  
فلما قدم برزوبه بلاد الهند طاف ياب الملك ومجالس السوقة وسأل  
عن خواص الملك والأشراف والعلماء والفلاسة . فجعل يستأمن في  
منزلهم ويتلقاهم بالتيمة ويخبرهم بأنه رجل غريب قديم بلادهم لطلب  
العلوم والآداب . وأنه يحتاج إلى معاونتهم في ذلك . فلم يزل كذلك  
رماناً طويلاً يتأدب عن علماء الهند بها هو عالم بجميعه وكأنه لا يعلم  
منه شيئاً وهو فيما بين ذلك يسر بغيبته وحاجته . واتخذ في تلك الحالة  
لطول مقامه أصدقاءً كثيرين من الأشراف والعلماء والفلاسة والسوقة  
ومن أهل كل طبقة وصناعة . وكان قد اتخذ من بين أصدقائه رجلاً  
واحداً قد اتخذ له سريراً وما يحب مشاورته فيه للذي به ظهر له من فضله  
وآدبه واستبان له صحة إخائيه وكان مشاوره في الأمور ويحتاج إليه في  
جميع ما أمه إلا أنه كان يكتم منه الأمر الذي قديم من أخيه لكي  
يكن مختبئاً وينظر هل هو أهل أن يطلعه على سره  
فقال له يوماً وجالسا : يا أخي ما أريد أن أكنمك من أمري فوق  
الذي كنمك . فأعلم أنني لأمر قد رمت وهو غير الذي يظهر مني والعاقل  
يكنني من الرجل بالعلامات من نظري حتى يعلم سر نفسه وما يضر قلبه

عَلَيْهِ . قَالَ لَهُ الْهِنْدِيُّ : إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بِدَا تُكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا جِئْتُ لَهُ  
وَأَيَّاهُ تُرِيدُ وَأَنْتَ تَكْتُمُ أَمْرًا تَطْلُبُهُ وَتُظْهِرُ غَيْرَهُ . فَأَخْفَيْتُ عَلَى ذَلِكَ مِنْكَ  
وَلَكِنِّي لِرَغْبَتِي فِي إِخَائِكَ كَرِهْتُ أَنْ أُوْجِهَكَ بِهِ وَأَنْتَ قَدْ اسْتَبَانَ مَا  
تُخْفِيهِ مِنِّي . فَأَمَّا إِذْ قَدْ أَظْهَرْتَ ذَلِكَ وَأَفْصَحْتَ بِهِ وَبِالْكَلَامِ فِيهِ فَإِنِّي  
مُخْبِرُكَ عَنْ نَفْسِكَ وَمُظْهِرُكَ لِكَ سِرِّكَ وَمُعْلِيكَ بِحَالِكَ الَّتِي قَدِمْتَ  
لَهَا بِأَدْنَا لِسْلَبِنَا كُنُوزَنَا الْفَيْسَةَ فَتَذْهَبَ بِهَا إِلَى بِلَادِكَ وَتَسْرِبَهَا  
مِلْكَكَ وَكَانَ قُدُومُكَ بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ . وَلَكِنِّي لَهَا رَأَيْتُ صَبْرَكَ  
وَمُواظَبَتَكَ عَلَى طَلَبِ حَاجَتِكَ وَالْتِحَظَّ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ مِنْكَ الْكَلَامُ مَعَ  
طُولِ مُكْنِكَ عِنْدَنَا بِشَيْءٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى سِرِّكَ وَأُمُورِكَ أَرَدَدْتُ  
رَغْبَةً فِي إِخَائِكَ وَثِقَةً بِعَقْلِكَ فَأَحْبَبْتُ مَوَدَّتَكَ . فَإِنِّي لَمْ أَرِ فِي  
الرِّجَالِ رَجُلًا هُوَ أَرْضَنُ مِنْكَ عَقْلًا وَلَا أَحْسَنُ أَدْبًا وَلَا أَصْبَرَ عَلَى طَلَبِ  
الْعِلْمِ وَلَا أَكْثَمُ لِسَرِّكَ وَلَا سِيًّا فِي بِلَادِ غُرَبَةٍ وَمَمْلَكَةٍ غَيْرِ مَمْلَكَتِكَ  
وَعِنْدَ قَوْمٍ لَا تَعْرِفُ سُنَنَهُمْ . وَلَكِنْ عَقْلُ الرَّجُلِ لَيَبِينُ فِي ثَنَانِي خِمَالِ  
الْأُولَى مِنْهَا الرِّفْقُ . وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَعْرِفَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فَيَحْفَظَهَا . وَالثَّالِثَةُ  
طَاعَةُ الْمُلُوكِ وَالْتِمَازُ بِمَا يُرْضِيهِمْ . وَالرَّابِعَةُ مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ مَوْضِعَ سِرِّهِ  
وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ صَدِيقُهُ . وَالْخَامِسَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِ  
الْمُلُوكِ أَدِيبًا مَلِيقَ اللِّسَانِ . وَالسَّادِسَةُ أَنْ يَكُونَ لِسَرِّهِ وَسِرِّ غَيْرِهِ حَافِظًا .  
وَالسَّابِعَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى لِسَانِهِ قَاضِرًا فَلَا يَكْلَمُ إِلَّا بِمَا يَأْمَنُ تَبِعَتَهُ . وَالثَّامِنَةُ  
أَنْ يَكُونَ بِالْخَفْلِ لَا يَكْلَمُ إِلَّا بِمَا يُسَالُّ عَنْهُ . فَهَبْ أَجْمَعْتَ فِيهِ هَذِهِ  
الْخِصَالَ كَانَ هُوَ الدَّلَاعِي الْخَيْرُ إِلَى نَفْسِهِ وَهَذِهِ الْخِصَالَ كُلُّهَا قَدْ أَجْمَعْتَ



فِيكَ وَبَايْتُ لِي مِنْكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بِحِفْظِكَ وَبِعَيْنِكَ عَلَى مَا قَدِمْتَ لَهُ  
فَبَصَادِقُكَ لِبَايَ لِسَانِي كَثْرِي وَفَخْرِي وَعِلْيِي. فَإِنَّكَ أَهْلٌ لِأَنْ تُسَعَفَ  
بِحَاجَتِكَ وَتُسْنَعَ بِطَلَبِكَ وَتُعْطَى سُؤْلَكَ

فَقَالَ لَهُ بَرَزُو بِهِ: إِنِّي قَدْ كُنْتُ مِمَّنْ كَلَّمَا كَثِيرًا وَشَعَبْتُ لَهُ شُعُوبًا  
وَأَنْشَأْتُ لَهُ أَصُولًا وَطُرُقًا. فَلَمَّا أَنْتَهَيْتُ إِلَى مَا بَدَأْتَنِي بِهِ مِنْ إِطْلَاعِكَ عَلَى  
أَمْرِي وَالَّذِي قَدِمْتُ لَهُ وَالْقَبِيحَ عَلَيَّ مِنْ خَلَاتِ نَفْسِكَ وَرَغْبَتِكَ فِي مَا أَلْقَيْتَ  
مِنْ الْقَوْلِ أَكْتَفَيْتُ بِالْإِسْبَارِ مِنَ الْخِطَابِ مَعَكَ وَعَرَفْتُ الْكَبِيرَ مِنْ  
أُمُورِي بِالصَّغِيرِ مِنَ الْكَلَامِ وَأَقْتَصَرْتُ بِمَعَكَ عَلَى الْإِيجَارِ وَرَأَيْتُ مِنْ  
إِسْعَافِكَ لِبَايَ بِحَاجَتِي مَا دَلَّنِي عَلَى كَرَمِكَ وَحُسْنِ وَقَائِكَ. فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا  
أَلْفِيَ إِلَى الْفَيْلَسُوفِ وَالسِّرِّ إِذَا اسْتَوْجِعَ إِلَى الْإِسْبَارِ الْحَافِظِ فَقَدْ حُصِّنَ  
وَبُلِّغَ بِهِ نَهَابَةُ أَمَلٍ صَاحِبِهِ كَمَا بَحِصَّنُ النَّفْسُ فِي الْفِلَاحِ الْحَصِينَةِ:  
قَالَ الْهِنْدِيُّ: لَا شَيْءَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَمَنْ خَلَصَتْ مَوَدَّتُهُ كَانَ أَهْلًا  
أَنْ يَخْلِطَهُ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَدْخُرَ عَنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكْتُمَهُ سِرًّا. فَإِنْ حِفْظَ  
السِّرِّ رَأْسُ الْأَدَبِ فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ الْأَمِينِ الْكُنُومِ فَقَدْ أَخْزَرَ مِنَ  
التَّضْيِيعِ مَعَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ لَا يَكْلَمَ بِهِ وَلَا يَتِمَّ سِرِّيَّتَ أَتَمِّينَ قَدْ عَلِمَاهُ  
وَتَقَاوَضَاهُ. فَإِذَا نَكَلَمَ بِالسِّرِّ اثْنَانِ فَلَا بُدَّ مِنْ ثَالِثٍ مِنْ جِهَةِ أَحَدِهِمَا أَوْ  
مِنْ جِهَةِ الْآخَرِ فَإِذَا صَارَ إِلَى الثَّلَاثَةِ فَقَدْ شَاعَ وَدَاعَ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ  
صَاحِبُهُ أَنْ يَخْتَصَّ وَيَكَايِرَ عَنْهُ كَالْغَيْمِ إِذَا كَانَ مُنْقَطِعًا فِي السَّمَاءِ. فَقَالَ  
قَائِلُ غَيْمٍ مُنْقَطِعٍ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى تَكْنِيسِهِ. وَأَنَا فَقَدْ بَدَأْتُ خِلْفِي مِنْ مَوَدَّتِكَ  
وَخَلَطْتُكَ سُرُورًا لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ. وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَطْلُبُهُ مِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ

مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي لَا تُكْتَمُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَنْشُورَ وَيُظْهَرَ حَتَّى يَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ .  
فَإِذَا قُشِيَ فَقَدْ سَعَتْ فِي هَلَاكِ هَلَاكَ لَا أَقْدِيرُ عَلَى الْفِدَاءِ مِنْهُ بِأَمَالٍ وَإِنْ  
كَثُرَ . لِأَنَّ مَلِكَنَا فَظٌ غَلِيظٌ يُعَاقِبُ عَلَى الذَّنْبِ الصَّغِيرِ أَشَدَّ الْعِقَابِ  
فَكَيْفَ يَمْلِكُ هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ وَإِذَا حَمَلْتَنِي الْمَوَدَّةُ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ  
فَأَسْعَفْتِكَ بِحَاجَتِكَ لَمْ يَرُدَّ عِقَابُهُ عَنِّي شَيْئاً

قَالَ بَرْزُوبِيهِ: إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ مَدَحَتِ الصَّدِيقَ إِذَا كَتَمَ سِرَّ صَدِيقِهِ  
وَأَعَانَهُ عَلَى الْفَوْرِ وَهَذَا الْأَمْرُ الذِّبَاءُ قَدِمْتُ لَهُ لِيَهْلِكَ ذَخْرَتُهُ وَبِكَ  
أَرْجُو بُلُوغَهُ وَأَنَا وَارِثُ بَكْرَمِ طِبَاعِكَ وَوَفُورِ عَنَلِكَ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَخْشَى  
مِنْهُ وَلَا تَخَافُ أَنْ أَبْدِيَهُ بَلْ تَخْشَى أَهْلَ بَيْتِكَ الطَّائِفِينَ بِكَ وَبِالْمَلِكِ أَنْ  
يَسْعَوْا بِكَ . وَأَنَا أَرْجُو أَنْ لَا يَشِيعَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ لِأَنِّي أَنَا ظَالِمٌ  
وَأَنْتَ مُقِيمٌ وَمَا أَفْنَتْ فَلَا تَالِكَ يَتَنَّا . فَنَعَاهِدَا عَلَى هَذَا جَمِيعاً : فَأَجَابَهُ  
الْهِنْدِيُّ إِلَى ذَلِكَ الْكِتَابِ وَإِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ فَأَكْتَبَ عَلَى تَفْسِيرِهِ  
وَنَقْلِهِ مِنَ اللِّسَانِ الْهِنْدِيِّ إِلَى اللِّسَانِ الْفَارِسِيِّ وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ وَأَنْصَبَ بَدَنَهُ  
لَيْلاً وَنَهَاراً وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ وَجِلٌ وَقَرَعٌ مِنْ مَلِكِ الْهِنْدِ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ  
مِنْ أَنْ يَذْكُرَ الْمَلِكُ الْكِتَابَ فِي وَقْتٍ وَلَا بُصَادِقَهُ فِي خِزَانَتِهِ

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ انْتِسَاخِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِ مِمَّا أَرَادَ مِنْ سَائِرِ الْكُتُبِ كَتَبَ  
إِلَى أُنُوشِيرْوَانَ بَعْلِمَهُ بِذَلِكَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ سُرَّ بِذَلِكَ سُرُوراً  
شَدِيداً ثُمَّ تَخَوَّفَ مُعَاجَلَةَ الْمَقَادِيرِ أَنْ تُنْقِصَ عَلَيْهِ فَرَحَهُ فَكَتَبَ إِلَى بَرْزُوبِيهِ  
بِأَمْرٍ يُتَعَجَّلُ الْقُدُومَ . فَسَارَ بَرْزُوبِيهِ مُوَجَّهاً نَحْوَ كِسْرَى . فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ  
مَا قَدْ سَسَّهُ مِنَ الشُّحُوبِ وَالنَّعْبِ وَالنَّصَبِ قَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ النَّاصِحُ



الذي يَأْكُلُ ثَمَرَهُ مَا قَدْ غَرَسَ آبَاؤُنَا فَيَأْتِي مُشْرِفُكَ بِأَيْدِيكَ  
أَفْضَلَ دَرَجَةٍ وَأَمْرٌ أَنْ يُرِيحَ بَدَنَهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ  
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ السَّابِعُ أَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يَجْتَمِعَ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ. فَلَمَّا  
اجْتَمَعُوا أَمَرَ بِرُزْوِيهِ بِالْحُضُورِ فَحَضَرَ مَعَهُ الْكُتُبُ فَفَتَحَهَا وَفَرَّاهَا عَلَى مَنْ  
حَضَرَ مِنْ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ. فَلَمَّا سَمِعُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ فَرَحُوا فَرَحًا شَدِيدًا  
وَشَكَرُوا اللَّهَ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ وَمَدَحُوا بِرُزْوِيهِ وَأَثَمُوا عَلَيْهِ وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ  
يُفْتَحَ لِبِرْزْوِيهِ خَزَائِنُ الْوَلَدِ وَالزَّبَرَجَدِ وَالْيَاقُوتِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَمَرَ  
أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْخَزَائِنِ مَا شَاءَ مِنْ مَالٍ وَكُتُوفٍ وَقَالَ: يَا بِرْزْوِيهِ إِنِّي قَدْ  
أَمَرْتُ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى مِثْلِ سَرِيرِي هَذَا وَتَلْبَسَ ثَلَجًا وَتَقْرَأَ عَلَيَّ جَمِيعَ  
الْأَشْرَافِ: فَجَعَلَ بِرْزْوِيهِ لِلْمَلِكِ وَدَعَا لَهُ وَطَلَبَ مِنَ اللَّهِ وَقَالَ: أَكْرَمَ اللَّهُ  
تَعَالَى الْمَلِكَ كَرَامَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْآخِرِينَ وَأَحْسَنَ عَنِّي ثَوَابَهُ وَجَزَاءَهُ. فَيَأْتِي بِجَهْدِ  
اللَّهِ مُسْتَعْنٍ عَنِ الْمَالِ بِمَا رَزَقَنِي اللَّهُ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْحَمْدُ الْعَظِيمُ  
الْمَلِكِ وَلَا حَاجَةَ لِي بِالْمَالِ. لَكِنْ لَبَّأْتُ كَلْفَنِي ذَلِكَ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَسْرُهُ أَنْ  
أَمْضِيَ إِلَى الْخَزَائِنِ فَأَخُذَ مِنْهَا طَلَبًا لِبِرْزَوَانِهِ وَأَمْتًا لِأَنْفُسِهِ: ثُمَّ قَصَدَ  
خِزَانَةَ الْبَابِ فَأَخَذَ مِنْهَا خُفًا مِنْ ظُرَائِفِ خُرَّاسَانَ وَمِنْ مَلَابِسِ الْمُلُوكِ  
فَلَمَّا قَبِضَ بِرْزْوِيهِ مَا اخْتَارَهُ وَرَضِيَهُ مِنَ الثِّيَابِ قَالَ: أَكْرَمَ اللَّهُ الْمَلِكَ  
وَمَدَّ فِي عُمُرِهِ أَبَدًا أَبَدًا. إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَكْرَمَ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ وَإِنْ  
كَانَ قَدْ اسْتَوْجَبَهُ نَعْمًا وَمَشَقَّةً فَقَدْ كَانَ فِيهَا لِرِضَا الْمَلِكِ. وَمَا أَنَا فَا  
لِقِيَّتُهُ مِنْ عَنَاءٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ الشَّرَفَ بِأَهْلِ هَذَا  
الْبَيْتِ فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ تَائِبًا رِضًا كَمَا أَرَى الْعَبِيدَ فِيهِ يَسِيرًا

وَالشَّاقُّ هُنَا وَالنَّصَبَ وَالْأَذَى سُورًا وَلَذَّةٌ لِّمَا أَتَمُّ أَنْ لَكُمْ فِيهِ رِضَى  
وَقُرْبَةٌ عِنْدَكُمْ. وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَاجَةً تُسَعِّفُنِي بِهَا وَتُعْطِينِي فِيهَا  
سُؤْلِي فَإِنْ حَاجَتِي بَسِيرَةٌ وَفِي قَضَائِهَا فَائِدَةٌ كَثِيرَةٌ: قَالَ أُنُوشَرَوَانُ:  
فَكُلُّ حَاجَتِكَ لَكَ فَبَلَّغْنَا مَقْصِدَهُ فَإِنَّكَ عِنْدَنَا عَظِيمٌ وَلَوْ طَلَبْتَ مُشَارَكَتَنَا فِي  
مُلْكِنَا لَفَعَلْنَا وَلَمْ نَرُدَّ طَلِبَتَكَ فَكَيْفَ مَا يَسُوءُ ذَلِكَ قَوْلَ وَلَا تَحْتَشِمُ فَإِنْ  
الْأُمُورَ كُلَّهَا مَبْدُوءَةٌ لَكَ

قَالَ بَرْزُويه: أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَنْظُرْ إِلَى عَنَائِي فِي رِضَاكَ وَأَنْكِسَافِي فِي  
طَاعَتِكَ. فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ بِلِزْمِي بِذَلِكَ مُتَجَبِّئِي فِي رِضَاكَ وَلَوْ لَمْ تَجْزِنِي لَمْ  
يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدِي عَظِيمًا وَلَا وَاجِبًا عَلَى الْمَلِكِ. وَلَكِنْ لِكَرَمِهِ وَشَرَفِ  
مَنْصِبِهِ عَمَدًا إِلَى مُجَازَاتِي وَخَصَنِي وَأَهْلَ بَيْتِي يُعْلَوُ الْمَرْتَبَةُ وَرَفَعَ الدَّرَجَةُ  
حَتَّى لَوْ قَدَّرَ أَنْ يَجْمَعَ لَنَا بَيْنَ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَفَعَلَ فَجَزَاهُ اللَّهُ عَمَّا  
أَفْضَلَ أَنْجَزَاهُ: قَالَ أُنُوشَرَوَانُ: أَذْكَرَ حَاجَتَكَ فَعَلِي مَا يَسُرُّكَ: فَقَالَ  
بَرْزُويه: حَاجَتِي أَنْ يَأْمُرَ الْمَلِكُ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَبِّهُ بَرْزَجَهْرَ بْنِ  
الْجَنْجَكَانَ وَيُقَسِّمَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْمَلَ فِكْرُهُ وَيَجْمَعَ رَأْيُهُ وَيَجْهَدَ طَاقَتُهُ وَيُفْرِغَ  
قَلْبَهُ فِي نَظْمِ تَأْلِيفِ كَلَامٍ مُتَقَنٍ مُحْكَمٍ وَيَجْعَلَهُ بَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَمْرِي وَيَصِفُ  
حَالِي وَلَا يَدَّعُ مِنَ الْهَبَالِغَةِ فِي ذَلِكَ أَقْصَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَأْمُرُهُ إِذَا  
اسْتَمَّ أَنْ يَجْعَلَهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ الَّتِي تُقْرَأُ قَبْلَ بَابِ الْأَسَدِ وَالْثُورِ. فَإِنْ  
الْمَلِكُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ بَلَغَ لِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ الشَّرَفِ وَأَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَبْنَى  
لَنَا مَا لَا يَزَالُ ذِكْرُهُ بَاقِيًا عَلَى الْأَبَدِ حِينَ قُرِئَ هَذَا الْكِتَابُ

فَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى أُنُوشَرَوَانُ وَالْعُظَمَاءُ مَقَالَتَهُ وَمَا سَمِعَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ



حَبَّةُ إِبْنَاءِ الذِّكْرِ وَاسْتَحْسِنُوا طَلِبَتَهُ وَأَخْيَارُهُ قَالَ كِسْرَى: حُبًّا وَكَرَامَةً لَكَ  
 يَا بُرْزُوبِي إِنَّكَ لِأَهْلٌ أَنْ تُسَعِّفَ بِحَاجَتِكَ فَمَا أَقْلٌ مَا قَنِعْتَ بِهِ وَأَيْسَرُ  
 عِنْدَنَا وَإِنْ كَانَ خَطَرُكَ عِنْدَكَ عَظِيمًا: ثُمَّ أَقْبَلَ أَنُوشِيرَوَانُ عَلَى وَزِيرِهِ  
 بُرْزُجْمَهَرٍ، فَقَالَ لَهُ: قَدْ عَرَفْتَ مُنَاصَحَةَ بُرْزُوبِي لَنَا وَنَجَّشَتُهُ الْخُفَاوِفَ  
 وَالْمَهَالِكَ فِي مَا يَقْرَبُهُ مِنَّا وَإِنْعَابَهُ بِدَنِّهِ فِي مَا يَسُرُّنَا وَمَا آتَى بِهِ الْبَنَانِ  
 الْمَعْرُوفَ وَمَا أَفَادَنَا اللَّهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ الْبَاقِي لَنَا فَنَحْمَدُ وَمَا  
 عَرَضْنَا عَلَيْهِ مِنْ خَزَائِنِنَا لِنَجْزِيَهُ بِذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، فَلَمْ تَيْلُ نَفْسُهُ إِلَى  
 شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ يُغَيِّثُهُ وَطَلِبَتُهُ مِنَّا أَمْرًا بِسِيرَارٍ هُوَ الثَّوَابُ مِنَّا لَهُ  
 وَالْكَرَامَةُ الْجَلِيلَةُ عِنْدَهُ، فَلَمَّا نِيَّ أَحِبُّ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ وَتُسَعِّفَهُ بِحَاجَتِهِ  
 وَطَلِبَتِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَسُرُّنِي وَلَا تَدْعُ شَيْئًا مِنَ الْإِجْتِهَادِ وَالْمُبَالَغَةِ  
 إِلَّا بَلَّغْتَهُ وَإِنْ نَالَكَ فِيهِ مَشَقَّةٌ وَهُوَ أَنْ تُكْتُبَ بِلَا مُضَارِعَةٍ لِنِلِّكَ الْأَبْوَابِ  
 الَّتِي فِي الْكِتَابِ وَتَذْكُرَ فِيهِ فَضْلَ بُرْزُوبِي وَكَيْفَ كَانَ أَيْدِيَهُ أَمِيرٍ وَشَأْنِهِ  
 وَتَنْسِبُهُ إِلَيْهِ وَإِلَى حَسَبِهِ وَصِنَاعَتِهِ وَتَذْكُرَ فِيهِ بَعْثَهُ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ فِي  
 حَاجَتِنَا وَمَا أَفَدَنَا عَلَى يَدِهِ مِنْ هُنَاكَ وَشَرَّفَنَا بِهِ وَفَضَّلَنَا عَلَى غَيْرِنَا وَكَيْفَ  
 كَانَ حَالُ بُرْزُوبِي وَقُدُومُهُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ، فَقُلْتُ مَا أَتَقْدِيرُ عَلَيْهِ مِنْ  
 التَّنْزِيطِ وَالْإِطْنَابِ فِي مَدْحِهِ وَبَالِغٍ فِي ذَلِكَ أَفْضَلَ الْمُبَالَغَةِ وَاجْتِهَادِ فِي  
 ذَلِكَ أَجْتِهَادًا يَسُرُّ بُرْزُوبِي وَأَهْلَ الْمَمْلَكَةِ، فَإِنَّ بُرْزُوبِي أَهْلٌ لِذَلِكَ  
 مِنِّي وَمِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَمِنْكَ أَيْضًا لِعَيْنِكَ لِلْعُلُومِ، وَاجْهَدْ أَنْ  
 يَكُونَ غَرَضُ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَى بُرْزُوبِي أَفْضَلَ مِنْ أَغْرَاضِ  
 تِلْكَ الْأَبْوَابِ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ وَأَشَدَّ مُشَاكَلَةً بِحَالِ هَذَا الْعِلْمِ، فَإِنَّكَ

أَسْعَدُ النَّاسِ كُلِّهِمْ بِذَلِكَ لِإِنْفِرَادِكَ بِهِذَا الْكِتَابِ وَاجْعَلْهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ  
فَإِذَا أَنْتَ عَمِلْتَهُ وَوَضَعْتَهُ فِي مَوْضِعِهِ فَأَعْلِنِي لِأَجْمَعِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَتَقْرَأَهُ  
عَلَيْهِمْ فَيُظْهِرَ فَضْلَكَ وَاجْتِهَادَكَ فِي تَحْقِيقِنَا فَيَكُونَ لَكَ بِذَلِكَ فَخْرٌ

فَلَمَّا سَمِعَ بَرْزَجَهْرُ مَنَالَهُ الْمَلِكُ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَقَالَ: أَدَامَ اللَّهُ لَكَ أَيْهَا  
الْمَلِكُ الْبَقَاءَ وَبَلْغَكَ أَفْضَلَ مَنَازِلِ الصَّالِحِينَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى لَقَدْ  
شَرَّفَنِي بِذَلِكَ شَرَفًا بَاقِيًا إِلَى الْأَبَدِ: ثُمَّ خَرَجَ بَرْزَجَهْرٌ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ  
فَوَصَفَ بَرْزُوبَهُ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَفَعَهُ أَبَوَاهُ إِلَى الْعِلْمِ وَمَضِيَّتِهِ إِلَى بِلَادِ  
الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْعَفَافِ وَالْأَذْوِيَّةِ وَكَيْفَ تَعَلَّمَ خُطُوطَهُمْ وَلَغْنَهُمْ إِلَى أَنْ  
بَعَثَهُ أُنُوشِيرَوَانُ إِلَى الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْكِتَابِ وَلَمْ يَدْعُ مِنْ فَضَائِلِ بَرْزُوبِهِ  
وَحِكْمَتِهِ وَخَلَاتِقِهِ وَمَنْهَجِهِ أَمْرًا إِلَّا وَنَسَفَهُ وَأَتَى بِهِ بِأَجُودِ مَا يَكُونُ مِنَ  
الْمُشْرِحِ: ثُمَّ أَظْهَرَ الْمَلِكُ بِفَرَاغِهِ مِنْهُ. فَجَمَعَ أُنُوشِيرَوَانُ أَشْرَافَ قَوْمِهِ وَأَهْلَ  
مَمْلَكَتِهِ وَأَدْخَلَهُمْ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بَرْزَجَهْرَ بِفَرَاغَةِ الْكِتَابِ وَبَرْزُوبِهِ فَأَتَمَّ إِلَى  
جَانِبِ بَرْزَجَهْرٍ وَأَبْتَدَأَ يَوْصِفُ بَرْزُوبَهُ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى آخِرِهِ. فَفَرَحَ  
الْمَلِكُ بِمَا أَتَى بِهِ بَرْزَجَهْرٌ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ. ثُمَّ أَتَى الْمَلِكُ وَجَمِيعُ مَنْ  
حَضَرَ عَلَى بَرْزَجَهْرٍ وَشَكَرُوهُ وَمَدَحُوهُ وَأَمَرَهُ الْمَلِكُ بِمَا لِي جَزِيلٍ وَكُسُوفٍ  
وَحُلِيِّ وَأَوَانٍ. فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا غَيْرَ كُسُوفٍ كَانَتْ مِنْ ثِيَابِ  
الْمُلُوكِ. ثُمَّ شَكَرَ لَهُ ذَلِكَ بَرْزُوبَهُ وَقَبِلَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ وَأَقْبَلَ بَرْزُوبَهُ عَلَى  
الْمَلِكِ وَقَالَ: أَدَامَ اللَّهُ لَكَ الْبُلْكَ وَالسَّعَادَةَ فَتَذْ بَلَّغْتَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ  
الشَّرَفِ بِمَا أَمَرْتَ بِهِ بَرْزَجَهْرٌ مِنْ صَنْعَةِ الْكِتَابِ فِي أَمْرِي وَابْتِقَاءِ ذِكْرِي



نُجَّة

مِنْ تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَأَعْمَارِهِمْ  
وَالْكَائِنِ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
تَأْلِيفُ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدٍ بْنِ جَرِيرٍ بْنِ يَزِيدَ الطَّبَرِيِّ

فِي انْتِصَاحِ الشَّامِ

مَعْرَكَةُ الْوَاقُوصَةِ

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ مَبِشِيرٍ وَسَهْلٍ وَأَبِي عُمَرَ عَنْ  
خَالِدٍ وَعُبَادَةَ وَأَبِي حَارِثَةَ. قَالُوا وَلَوْ عَبَّ الْفُؤَادُ بِالنَّاسِ نَحْوَ الشَّامِ وَعِكْرِمَةُ  
رِذْلًا لِلنَّاسِ وَبَلَغَ الرُّومَ ذَلِكَ فَكَتَبُوا إِلَى هِرَقْلَ وَخَرَجَ هِرَقْلُ حَتَّى  
بَنَزَلَ بِحَيْضَ فَأَعَدَّ لَهُمُ الْجُنُودَ وَعَمِيَ لَهُمُ الْعَسَاكِرُ وَلَرَادَةُ أَشْتَغَالَ بَعْضُهُمْ  
بِبَعْضٍ عَنْ بَعْضٍ لِكثَرَةِ جُنْدِهِ وَفُضُولِ رِجَالِهِ وَأُرْسِلَ إِلَى عَمْرِو أَخَاهُ  
تَذَارِيقَ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ. فَخَرَجَ نَحْوَهُمْ فِي ثَمَانِينَ أَلْفًا وَبَعَثَ مَنْ يَسُوقُهُمْ حَتَّى  
نَزَلَ صَاحِبُ السَّافَةِ ثَنِيَّةَ جِلْقٍ بِأَعْلَى فِلَسْطِينَ وَبَعَثَ جَرَجَةَ بْنَ نُوحْرَةَ  
نَحْوَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفِينَةَ فَعَسَكَرَ بِأَزَائِهِ وَبَعَثَ الدَّرَافِصَ فَاسْتَقْبَلَ  
شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ وَبَعَثَ الْقُبَارَ بْنَ نَسْطُوسَ فِي سِتِّينَ أَلْفًا نَحْوَ أَبِي  
عَمِيَّةَ. فَهَاجَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَجَمِيعُ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا سِوَى  
عِكْرِمَةَ فِي سِتِّينَ أَلْفٍ فَفَرَّغُوا جَمِيعًا بِالْكَتْبِ وَبِالرُّسْلِ إِلَى عَمْرِو أَنْ مَا  
الرَّأْيُ وَكَاتِبُهُمْ وَرَأْسُهُمْ أَنْ الرَّأْيُ الْإِجْتِمَاعُ وَذَلِكَ أَنَّ مِثْلَنَا إِذَا اجْتَمَعْنَا لَمْ  
تَغْلِبْ مِنْ قِلَّةٍ وَإِذَا نَحْنُ تَفَرَّقْنَا لَمْ يَبْقَ الرَّجُلُ مِنَّا فِي عَدَدٍ يُفَرِّقُ فِيهِ لِأَحَدٍ

مِنْ أَسْتَفْلِهِ. وَأَمَدَ لَنَا لِكُلِّ طَائِفَةٍ مِّنَا جُنْدًا فَأَتَعَدُّوا الْيَرْمُوكَ لِيَجْتَمِعُوا  
 بِهِ وَقَدْ كُتِبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَهْدِي مَا كَانُوا بِهِ عَمْرًا فَطَلَعَ عَلَيْهِمْ كِتَابُهُ يَهْدِي  
 رَأْيَ عَمْرٍو وَبَلَغَ ذَلِكَ هِرَقْلَ فَكُتِبَ إِلَى بَطَارِقَتِهِ أَنْ اجْتَمِعُوا لَهُمْ فَأَنْزِلُوا  
 بِالرُّومِ مِثْلًا وَاسِعَ الْعَطَنِ وَاسِعَ الْمَطَرِ ضَيْقَ الْمَهْرَبِ. وَعَلَى النَّاسِ  
 الْخَذَارِقُ وَعَلَى الْمَقْدُمَةِ جَرَجَةٌ وَعَلَى مُجْتَمِعَتِهِ بَاهَانُ وَالْأَرَاغِصُ وَعَلَى الْحَرْبِ  
 قَيْقَارٌ وَقَالَ أَبْشِرُوا فَإِنَّ بَاهَانَ فِي الْإِثْرِ مِمَّا لَكُمْ. فَفَعَلُوا فَتَزَلُّوا الْوَاقُوصَةَ  
 وَهُوَ عَلَى خَفَةِ الْيَرْمُوكِ وَصَارَ الْوَالِي خَذَقًا لَهُمْ وَهُوَ لَبٌّ لَا يُدْرِكُ. وَإِنَّمَا  
 أَرَادَ بَاهَانُ وَأَصْحَابُهُ أَنْ يَسْتَفْتِيَتِ الرُّومُ وَيَأْتَسُوا بِالْمُسْلِمِينَ وَتَرْجِعَ إِلَيْهِمْ  
 أَقِيدَتُهُمْ عَنْ طَرَفَيْهَا. وَانْقَلَبَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ عَسْكَرِهِمُ الَّذِي اجْتَمَعُوا فِيهِ  
 فَتَزَلُّوا عَلَيْهِمْ يَهْدِي أَعْيُنَهُمْ عَلَى طَرَفَيْهِمْ وَلَيْسَ لِلرُّومِ طَرِيفٌ إِلَّا عَلَيْهِمْ. فَقَالَ  
 عَمْرٍو: أَيُّهَا النَّاسُ أَبْشِرُوا حُصِرَتِ الرُّومُ وَاللَّهُ وَقَلَّ مَا جَاءَ مُحْصُورٌ  
 بِخَيْرٍ. فَأَقَامُوا يَزَارِعُهُمْ وَعَلَى طَرَفَيْهِمْ وَخَرَجَهُمْ صَفَرٌ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ  
 وَشَهْرِي رَجَبٍ لَا يُقْدِرُونَ مِنَ الرُّومِ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِمْ. وَاللَّهِبُ  
 وَهُوَ الْوَاقُوصَةُ مِنْ وَرَائِهِمْ وَالْخَنْدَقُ مِنْ أَمَامِهِمْ. وَلَا يَخْرُجُونَ خَرَجَةً إِلَّا  
 أُدْبِلَ مِنْهُمْ الْمُسْلِمُونَ. حَتَّى إِذَا سَلَكُوا شَهْرَ رَجَبِ الْأَوَّلِ وَقَدْ اسْتَبَدُّوا أَبَا  
 بَكْرٍ وَأَعْلَمُوا الشَّأْنَ فِي صَفَرٍ. فَكُتِبَ إِلَى خَالِدٍ لِيَلْحَقَ بِهِمْ وَأَمَرَ أَنْ يُخْلِفَ  
 عَلَى الْعِرَاقِ الْمَشِيُّ فَوَافَقَهُمْ فِي رَجَبِ الْآخِرِ

كُتِبَ إِلَى السُّرَيْبِ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سَيْبٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَعَمْرٍو  
 وَاللَّهَبِ قَالُوا: وَلَهَا تَزَلُّ الْمُسْلِمُونَ الْيَرْمُوكَ وَاسْتَبَدُّوا أَبَا بَكْرٍ قَالَ  
 خَالِدٌ أَقْوَى لَهَا. فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِالْعِرَاقِ وَعَزَمَ عَلَيْهِ وَأَسْتَفْلَهُ فِي السَّيْرِ



فَفَنَدَ خَالِدٌ لِدَيْكَ فَطَلَعَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ وَطَلَعَ بَاهَانُ عَلَى الرُّومِ وَقَدْ قَدَّمَ  
 قُدَامَةَ الثَّمَامَةِ وَالرُّهْبَانَ وَالْفَيْسِيَّينَ يُغِيرُونَهم وَيَحْضُونَهم عَلَى الْقِتَالِ .  
 وَوَأَقْبَقَ قُدُومُ خَالِدٍ قُدُومَ بَاهَانَ فَخَرَجَ بِهِمْ بَاهَانُ كَأَلْبَتَدِيرٍ قَوْلِي خَالِدُ  
 قِتَالَهُ وَقَاتَلَ الْأَمْرَأَةَ مِنْ بِلَازِائِهِمْ فَهَزِمَ بَاهَانُ وَتَتَابَعَ الرُّومُ عَلَى الْهَزِيمَةِ  
 فَأَتَقَعُوا خَنْدَقَهُمْ . وَتَبَيَّنَتِ الرُّومُ بِبَاهَانَ وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِخَالِدٍ وَحَرَدَ  
 الْمُسْلِمُونَ وَحَرَدَ الرُّومُ وَهُمْ أَرْبَعُونَ وَمِائَتَا أَلْفٍ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ أَلْفَ  
 مِئَةٍ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ مُسَلَّحٍ لِلْمَوْتِ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا مَرَّطُونَ بِالْعِصَاهِ  
 وَثَمَانُونَ أَلْفَ رَاغِلٍ وَالْمُسْلِمُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا مِنْهُمْ كَانَ مِنْهُمْ  
 إِلَى أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ فِي تِسْعَةِ أَلْفٍ فَخَصَّارُوا سِنَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا وَمِئَةً  
 أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي جُمَادَى الْأُولَى وَتَوَفَّى لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ  
 قَبْلَ الْفَتْحِ بِعَشْرِ لَيَالٍ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ سَمِيَ لِكُلِّ أَمِيرٍ مِنْ أُمَرَاءِ الشَّامِ كُورَةً .  
 فَسَمِيَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجُرَّاحِ خَمْسَ . وَلِيزِيدَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ  
 دِمَشْقَ . وَلِشُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ الْأَرْثُوثِ . وَلِعَبْرَةَ بْنِ الْعَاصِ وَلِعَلْفَةَ بْنِ  
 مِحْصَنٍ فِلَسْطِينَ . فَلَمَّا فَرَغَا مِنْهَا نَزَلَ عُلْفَةُ وَسَارَ إِلَى مِصْرَ . فَلَمَّا سَارُوا  
 الشَّامَ دَخَلَ كُلُّ أَمِيرٍ مِنْهُمْ قَوْمَ كَثِيرٍ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَجْتَبِعُوا بِهَكَانَ  
 وَاحِدًا وَأَنْ يَلْقَوْا جَمَعَ الرُّومِ بِجَمْعِ الْمُسْلِمِينَ

مُرُورُ خَالِدٍ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ

كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى خَالِدٍ وَهُوَ بِأَنْجَبِ بَأْسُ أَنْ يَبْدَأَ أَهْلَ الشَّامِ بِهِمْ  
 مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْقُوَّةِ وَيَخْرُجَ فِيهِمْ وَيَتَخَلَّفَ عَلَى ضَعْفَةِ النَّاسِ رَجُلًا مِنْهُمْ .

فَلَمَّا آتَى خَالِدًا كِتَابُ أَبِي بَكْرٍ بِذَلِكَ قَالَ خَالِدٌ: هَذَا عَمَلُ الْأَعْبَسِ ابْنِ  
أُمِّ ثَمَلَةَ يَعْنِي عُمرَ بْنَ الْخَطَّابِ حَسَدَنِي أَنْ يَكُونَ قَعُ الْعِرَاقِ عَلَى يَدَيَّ.  
فَسَارَ خَالِدٌ بِأَهْلِ الْفُوقِ مِنَ النَّاسِ وَرَدَّ الضُّعْفَةَ وَالنِّسَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ  
وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عُمرُ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيَّ وَاسْتَخْلَفَ خَالِدٌ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ  
بِالْعِرَاقِ مِنْ رِبْعَةٍ وَغَيْرِهِمُ الْهَشَنِيُّ بْنُ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيَّ ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ  
عَلَى عَيْنِ الثَّمَرِ فَأَغَارَ عَلَى أَهْلِهَا فَأَصَابَ مِنْهُمْ وَرَابِطًا حِصْنًا بِهَا فِيهِ مُقَاتِلَةٌ  
كَانَ كِسْرَى وَضَعَهُمْ فِيهِ حَتَّى اسْتَرْكَمُوا. فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ وَسَيَّ مِنْ عَيْنِ  
الثَّمَرِ وَمِنْ أَبْنَاءِ ذَلِكَ الْهَرَابِطَةِ سَبَايَا كَثِيرَةً فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ. فَكَانَ  
مِنْ ذَلِكَ السَّبَايَا أَبُو عَمْرٍةَ مَوْلَى شُبَّانَ وَهُوَ أَبُو عَبْدِ الْأَعْلَى ابْنُ أَبِي عَمْرٍةَ  
وَعَيْنَةُ مَوْلَى الْهَمْنِيِّ مِنَ الْأَنْصَارِيِّينَ ابْنُ زُرَيْفٍ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى زُهْرَةَ  
وَحَبِيبُ مَوْلَى أَبِي دَاوُدَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي مَازِنَ بْنِ النُّجَّارِ وَبَسَارُ  
وَهُوَ جَدُّ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ مَوْلَى قُبَيْسِ بْنِ حِزْمَةَ بْنِ الْهَاطِلِيِّ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ  
وَأَفْلَحُ مَوْلَى أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي مَلِكِ بْنِ النُّجَّارِ وَحَمْرَانُ  
بْنُ أَبَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ. وَقَتَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ هِلَالَ بْنَ عُقْبَةَ بْنِ  
بِشْرِ النَّيْرِيِّ وَصَلَبَهُ بِعَيْنِ الثَّمَرِ. ثُمَّ أَرَادَ السَّيْرَ مُغَوَّرًا مِنْ قُرَافٍ وَهُوَ مَاءٌ  
لِكَلْبٍ إِلَى سَوَى وَهُوَ مَاءٌ لِيَهْرَةَ يَنْهَا خَمْسُ لَيَالٍ. فَلَمْ يَهْتِدِ خَالِدُ  
الطَّرِيقَ فَالْتَمَسَ دَلِيلًا فَدَلَّ عَلَى رَافِعِ بْنِ عَمِيرَةَ الطَّلَاطِيَّ فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ:  
أَنْطَلِقْ بِالنَّاسِ فَقَالَ لَهُ رَافِعٌ: إِنَّكَ لَنْ تُطِيقَ ذَلِكَ بِالتَّحِيلِ وَالْأَثْقَالِ  
وَاللَّهِ إِنْ الرَّائِبَ الْمَفْرَدَ لِيَخَافُهَا عَلَى نَفْسِهِ وَمَا يَسْلُكُهَا إِلَّا مُغَوَّرًا. إِنَّهَا لَخَمْسُ  
لَيَالٍ جِيَادٍ لَا يُصَابُ فِيهَا مَاءٌ مَعَ مَضَلِّهَا. فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: وَبِمَكَ إِنَّهُ وَاللَّهِ



لَمْ يَلِي بُدٌّ مِنْ ذَلِكَ إِنَّهُ قَدْ أَتَنِي مِنَ الْأَمِيرِ عَزْمَةٌ بِذَلِكَ فَهَرَّ بِأَمْرِكَ. قَالَ  
 اسْتَكَثِرُوا مِنَ الْهَاءِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَصْرَأُخْتَ نَاقَتِهِ عَلَى مَاءٍ فَلْيَفْعَلْ  
 فَإِنَّهَا الْمَهَالِكُ إِلَّا مَا دَفَعَ اللَّهُ. وَالْقِي عِشْرِينَ جَزُورًا عِظَامًا سِيَانًا مَشَارِفَ.  
 قَاتَاهُ بَيْنَ خَالِدٍ وَعَبْدِ الْيَمَنِ رَافِعٌ فَظَلَمَاهُنَّ حَتَّى إِذَا أَجْهَدَهُنَّ عَطَشًا  
 أَوْرَدَهُنَّ فَشَرِبْنَ حَتَّى إِذَا تَهَلَّأَتْ عِبْدَ الْيَمَنِ فَتَطَعَ مَشَافِرَهُنَّ ثُمَّ  
 كَسَهُنَّ لِيْلًا يَجْتَرِرْنَ. ثُمَّ أَخْلَى أَذْبَارَهُنَّ. ثُمَّ قَالَ لِحَالِدِ بْنِ سَرَفَسَارٍ خَالِدٍ مَعَهُ  
 مِغْدًا بِالنَّحُولِ وَالْأَثْقَالِ. فَكَلِمًا نَزَلَ مِثْلًا أَقْنَطَ أَرْبَعًا مِنْ تِلْكَ الشَّوَارِفِ  
 فَأَخَذَ مَا فِي أَكْرَاشِهَا فَسَفَّاهُ النَّحْلَ. ثُمَّ شَرِبَ النَّاسُ مِمَّا حَمَلُوا مَعَهُمْ مِنَ  
 الْهَاءِ. فَلَمَّا خِثِيَ خَالِدٌ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الْمَفَازَةِ قَالَ لِرَافِعِ  
 بْنِ عَمِيرَةَ وَهُوَ أَرْمَدُ: وَيَحْتَكَ بِأَرَفِعَ مَا عِنْدَكَ: قَالَ أَخْرَجْتُ الرَّبْعَ إِنْ  
 شَاءَ اللَّهُ. فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْعَلَمِينَ قَالَ لِلنَّاسِ: أَنْظَرُوا هَلْ تَرَوْنَ شَجِيرَةً مِنْ  
 عَوْجٍ كَعِصَةِ الرَّجُلِ: فَقَالُوا مَا نَرَاهَا: فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.  
 هَلَكْتُمْ وَاللَّهِ إِذَا وَهَلَكْتُ. أَنْظَرُوا. فَطَلَبُوهَا فَوَجَدُوهَا فُطِطَتْ وَبَقِيََتْ مِنْهَا  
 بَقِيَّةٌ. فَلَمَّا رَأَاهَا الْمُسْلِمُونَ كَبَرُوا وَكَبِرَ رَافِعُ بْنُ عَمِيرَةَ ثُمَّ قَالَ: أَخْبِرُوا  
 فِي أَصْلِهَا: فَتَحَنَّنُوا فَاسْتَخَرُوا عَيْنًا فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَى النَّاسُ فَأَنْصَلَتْ بَعْدَ  
 ذَلِكَ لِحَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمَنَارِلُ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا وَرَدْتُ هَذَا الْهَاءَ قَطُّ  
 إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً وَرَدَّتْهُ مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ. فَقَالَ شَاعِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

لِلَّهِ عَيْنَا رَافِعُ أَنِّي أَهْتَدَى      فَوَزَّ مِنْ فُرَاقِهِ إِلَى سَوْءِ  
 خِيسَاءٍ إِذَا مَا سَارَهُ أَتَجَشَّ بَكِي      مَا سَارَهَا فَبَلَكَ إِنْسِي بِرُءِ  
 فَلَمَّا أَتَنَى خَالِدٌ إِلَى سَوْءِ أَغَارَ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ بِهَرَاءِ قَبْلِ الضُّحَى وَنَاسٌ

مِنْهُمْ بَشَرُونَ خَرَأْلَمُ فِي جَنَّةٍ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَيْهَا وَمَغْنِيمٌ يَقُولُ  
 أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ لَعَلَّ مَنَابَنَا قَرِيبٌ وَمَا تَذَرِي  
 أَلَا عَلَّلَانِي بِالزُّجَاجِ وَكَثْرًا عَلَيَّ كُتِبَتِ اللَّوْنُ صَافِيَةً تَجْرِي  
 أَلَا عَلَّلَانِي مِنْ مُلَاقَةِ نَهْوَةٍ نَسَى هُمُومَ النَّفْسِ مِنْ جَيْدِ الْخَمْرِ  
 أَظُنُّ خُبْرَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدًا سَطَرُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْبُشْرِ  
 قَهْلُكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ فِتَالِهِمْ وَقَبْلَ خُرُوجِ الْبُعْصَرَاتِ مِنَ الْخُدْرِ  
 قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَغْنِيمٌ ذَلِكَ قِيلَ تَحْتَ الْغَارَةِ فَسَالَ دَمُهُ  
 فِي تِلْكَ الْجَنَّةِ. ثُمَّ سَارَ عَلَى وَجْهِهِ ذَلِكَ حَتَّى أَغَارَ عَلَى غَسَّانٍ يَهْرَجُ رَاهِطٍ  
 ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى قَنَاةٍ بَصْرَى وَعَلَيْهَا أَبُو عَيْنَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَشُرَحْبِيلُ  
 بْنُ حَسَنَةَ وَبَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهَا فَرَابَطُوا حَتَّى صَالَحَتْ  
 بَصْرَى عَلَى الْبُحْرَيْنِ وَفَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَكَانَتْ أَوَّلَ مَدِينَةٍ مِنْ  
 مَدَائِنِ الشَّامِ كُتِبَتْ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ

### مَعْرَكَةُ أَجْنَادِينَ

ثُمَّ سَارُوا جَمِيعًا إِلَى فِلَسْطِينَ مَدَدًا لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَعَمْرُو مَغْنِيمٌ  
 بِالْعَرَبَاتِ مِنَ غَوْرِ فِلَسْطِينَ وَسَمِعَتِ الرُّومُ بِهِمْ فَأَنْكَشَفُوا عَنْ جِلْقٍ إِلَى  
 أَجْنَادِينَ وَعَلَيْهِمْ تَذَارِقُ أَخُو هِرْقُلَ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ وَأَجْنَادِينَ بَلَدٌ بَيْنَ الرَّمْلَةِ  
 وَبَيْتِ حَبْرِينَ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ. وَسَارَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حِينَ سَمِعَ بِأَبِي  
 عَيْنَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَشُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ وَبَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ حَتَّى لَقِيَهُمْ  
 فَاجْتَمَعُوا بِأَجْنَادِينَ حَتَّى عَسَكُوا عَلَيْهِمْ

حَدَّثَنَا أَبُو حَمْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُحَمَّدٍ



بَنِي جَعْفَرٍ يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ عَلَى الرُّومِ  
 رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ الْقَنْقَلَارُ كَانَ هِرَقْلُ أَمْتَحَلَهُمْ وَأَسْخَلَهُ عَلَى أَمْرِ السَّلَامِ  
 حِينَ سَارَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَإِلَيْهِ أَنْصَرَفَ تَذَارِيقُ بَنِي مَعَهُ مِنَ الرُّومِ  
 فَأَمَّا عَلَيْهِمُ الشَّامَ فَبَزَعُوهُنَّ أَمَّا كَانَتْ عَلَى الرُّومِ تَذَارِيقُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.  
 حَدَّثَنَا ابْنُ حُجْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ  
 بَنِي الزُّبَيْرِ عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: لَمَّا تَدَايَ الْعَسْكَرَانِ بَعَثَ الْقَنْقَلَارُ رَجُلًا غَرِيبًا  
 فَقَالَ فَحَدَّثْتُ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ مِنْ بَنِي يَزِيدَ بْنِ حَبِشَانَ  
 يُقَالُ لَهُ ابْنُ هَزَارِيقَ فَقَالَ: أَدْخُلْ فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَلَقِمَ فِيهِمْ يَوْمًا وَلَيْلَةً  
 ثُمَّ أَتَيْتَنِي بِخَبَرِهِمْ. قَالَ فَدَخَلَ فِي النَّاسِ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ لَا يُنْكِرُ وَأَقَامَ فِيهِمْ  
 يَوْمًا وَلَيْلَةً ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: مَا وَرَأَيْتُكَ. قَالَ: بِالْإِذْنِ رُحْبَانٌ وَبِالنَّهَارِ فُرْسَانٌ  
 وَلَوْ سَرَقَ ابْنُ مَلِكِهِمْ قُطِعَتْ يَدُهُ وَلَوْ زَكِيَ رُجِمَ لِإِقَامِهِ أُنْحَقَ فِيهِمْ. قَالَ  
 الْقَنْقَلَارُ: لَيْتَنِي كُنْتُ صَدَقْتَنِي لَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ لِقَاءِ هَؤُلَاءِ عَلَى  
 ظُهُورِهَا وَلَوْ دَدْتُ أَنَّ حَظِي مِنَ اللَّهِ أَنْ يُخْلِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَلَا يَنْصُرَنِي عَلَيْهِمْ  
 وَلَا يَنْصُرَهُمْ عَلَيَّ. قَالَ: ثُمَّ تَزَاوَحَتِ النَّاسُ فَأَقْتَتَلُوا. فَلَمَّا رَأَى الْقَنْقَلَارُ مَا  
 رَأَى مِنْ فِتَالِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ لِلرُّومِ لِنُورِ أَسِي بِشَوْبٍ. قَالُوا لَهُ لِمَ. قَالَ  
 يَوْمَ الْيُسْرِ لَا أَحِبُّ أَنْ أَرَاهُ فَأَرَأَيْتُ فِي الدُّنْيَا أَشَدَّ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ. قَالَ:  
 فَأَخْتَرُ الْمُسْلِمُونَ رَأْسَهُ وَإِنَّهُ لَكُلْفٌ. وَكَانَتْ وَفَعَةُ أَجْنَادِهِمْ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ  
 عَشْرَةَ لِلْبَلْتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ جُلَادَى الْأَوَّلَى وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ  
 جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ سَلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ الْبَغِيرَةِ وَهَبَارُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ  
 وَنَعِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّحَّاسُ وَهِشَامُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ وَجَمَاعَةٌ أُخَرُ مِنْ

فَرِيْشٍ . قَالَ : وَلَمْ يُسَمَّ النَّاسُ مِنْ الْأَنْصَارِ أَحَدًا أُصِيبَ بِهَا ، وَفِيهَا تُوفِّي  
أَبُو بَكْرٍ لِشَهَانٍ لَيْثٍ بَيْنَ أَوْسَعِ بَيْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ  
فِي أَفْتِنَاجِ دِمَشْقَ .

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ سَبَبٍ عَنْ أَبِي عُمَرَ عَنْ خَالِدٍ وَأَبِي عُبَادَةَ  
قَالَا : وَلَمَّا جَاءَ عُمَرُ الْكِتَابُ عَنْ أَبِي عِيْنَةَ بِالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَدْنَاهُ  
كَتَبَ إِلَيْهِ . أَمَّا بَعْدُ فَأَنْبَدُوا بِدِمَشْقَ وَأَنْهَدُوا فَإِنَّمَا حِصْنُ الشَّامِ وَبَيْتُ  
مَمْلَكَتِهِمْ وَأَسْغَلُوا عَنْكُمْ أَهْلَ فَحْلٍ بِمَجْلٍ تَكُونُ بِأَرْأْسِهِمْ فِي نُحُورِهِمْ . وَأَهْلَ  
فِلَسْطِينَ وَأَهْلَ حِصَصَ . فَإِنْ فَتَحَهَا اللَّهُ قَبْلَ دِمَشْقَ فَذَاكَ الَّذِي يَجِبُ وَإِنْ  
تَأَخَّرَ فَتَحَهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ دِمَشْقَ فَلْيَنْزِلْ بِدِمَشْقَ مَنْ يَسِيْرُ بِهَا وَدَحْرُهَا  
وَأَنْطَلِقِ أَنْتَ وَسَائِرُ الْأُمَرَاءِ حَتَّى تُغَيِّرُوا عَلَى فَحْلٍ . فَإِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ  
فَأَنْصَرِفْ أَنْتَ وَخَالِدٌ إِلَى حِصَصَ وَدَعِ شُرَحْبِيلَ وَعُمَرَ وَخَلِيْفَتَهُمَا بِالْأَرْضَيْنِ  
وَفِلَسْطِينَ . وَأَمِيرُ كُلِّ بَلَدٍ وَجُنْدِهِ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يُخْرِجَ مِنْ إِمَارَتِهِمْ .  
فَسَرَّحَ أَبُو عِيْنَةَ إِلَى فَحْلٍ أَحَدَ عَشَرَ قُوَادًا أَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيَّ وَعَبْدَ  
الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَامِرٍ الْأَحْمَرِيَّ وَعَامِرَ بْنَ حَنْبَلَةَ وَعُمَرَ بْنَ كَلْبٍ مِنْ  
بَحْصَ وَغُمَارَةَ بْنَ الصَّعِقِيِّ بْنِ كَعْبٍ وَصَفِيَّ بْنَ عَلْبَةَ بْنَ شَامِلٍ . وَعُمَرَ  
بْنَ فُلَانٍ وَالْحَبِيبَ بْنَ عَمْرِو وَرَبِيعَةَ بْنَ عَامِرٍ بْنَ خُثَيْمَةَ وَبِشَرَ بْنَ عِصْمَةَ  
وَعُمَارَةَ بْنَ مُخَنِّيٍّ قَائِدَ النَّاسِ . وَمَعَ كُلِّ رَجُلٍ قُوَادٌ وَكَانَتِ الرُّؤَسَاءُ  
تَكُونُ مِنَ الصَّحَابَةِ حَتَّى لَا يَجِدُوا مَنْ يَحْتَمِلُ ذَلِكَ . فَسَارُوا مِنَ الصُّفَرِ  
حَتَّى نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْ فَحْلٍ . فَلَمَّا رَأَتْ الرُّومُ أَنَّ الْجُنُودَ تُرِيدُهُمْ بَقُوا الْبِيَاهُ  
نَحْوَلِ فَحْلٍ فَأَرْكَعَتِ الْأَرْضُ ثُمَّ وَحِلَتْ وَأَغْتَمَّ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ



فَحَبَسُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِهَا ثَلَاثِينَ أَلْفَ فَارِسٍ وَكَانَ أَوَّلَ مُحْصُورٍ بِالشَّامِ  
أَهْلُ فَحْلٍ ثُمَّ أَهْلُ دِمَشَقَ

وَبَعَثُوا الْأَمْرَأَةَ وَبَعَثَ أَبُو عُبَيْدَةَ خَا الْكَلَاعِ حَتَّى كَانَ بَيْنَ دِمَشَقَ  
وَحِصْنِ رَدٍّ أَوْ بَعَثَ عَطَنَةَ بَنَ حَكِيمٍ وَمَسْرُوقًا وَكَانَا بَيْنَ دِمَشَقَ  
وَفِلَسْطِينَ وَالْأَمِيرَ بَزِيدَ فَفَصَلَ وَفَصَلَ بِأَبِي عُبَيْدَةَ مِنَ الْمَرْجِ وَقَدِيرَ  
خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَلَى مُجَنَّبَتِهِ عَدُوًّا أَبُو عُبَيْدَةَ وَعَلَى الْخَيْلِ عِيَاضٌ وَعَلَى  
الرَّجُلِ شُرَحْبِيلٌ فَقَدِسُوا عَلَى دِمَشَقَ وَعَلَيْهِمْ تَسْطَاسُ بْنُ نِسْطُوسَ فَحَصَرُوا  
أَهْلَ دِمَشَقَ وَزَلُّوا حَوْلَهَا فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى نَاحِيَةٍ وَعَدُوٌّ عَلَى نَاحِيَةٍ  
وَبَزِيدُ عَلَى نَاحِيَةٍ وَهَرَقْلُ يُوْنُسُ بْنُ مَحْبُصَ وَمَدِينَةُ حِصْنٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ  
فَعَاصَرُوا أَهْلَ دِمَشَقَ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ لَيْلَةً حِصَارًا شَدِيدًا بِالزُّحُوفِ  
وَالنَّارِ وَالْحَائِنِ وَهُمْ مُعْتَصِمُونَ بِالْمَدِينَةِ يَرْجُونَ الْغِيَاثَ وَهَرَقْلُ بِهِمْ  
قَرِيبٌ وَقَدْ اسْتَمَدُّوهُ وَخَوَّ الْكَلَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ حِصْنٍ عَلَى رَأْسِ  
لَيْلٍ مِنْ دِمَشَقَ كَأَنَّهُ يُرِيدُ حِصْنَ وَجَاءَتْ خُبُولُ هَرَقْلَ مُبَشِّرَةً لِأَهْلِ دِمَشَقَ  
فَأَنْجَسَتْهَا الْخُبُولُ الَّتِي مَعَ ذِي الْكَلَاعِ وَشَغَلَتْهَا عَنِ النَّاسِ فَأَرَزُوا وَتَزَلُّوا  
بِأَزَائِهِ وَأَهْلُ دِمَشَقَ عَلَى حَالِهِمْ فَلَمَّا أَتَيْنَ أَهْلُ دِمَشَقَ أَنَّ الْأَمْلَاقَ  
لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ فَحَلُّوا وَهَنُوا وَابْتَسَوْا وَازْدَادَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمْ طَمَعًا وَقَدْ  
كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهَا كَالْفَارِ يَاتِ قَبْلَ ذَلِكَ إِذَا هَمَّ الْبَرْدُ قَتَلَ النَّاسُ فَسَقَطَ  
الْفَخْمُ وَالْقَوْمُ مُقْبِلُونَ

فَعِنْدَ ذَلِكَ انْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ وَتَدَسَّسُوا عَلَى دُخُولِ دِمَشَقَ وَوُلِدَ لِلْبَطْرِيْقِ  
الَّذِي عَلَى أَهْلِ دِمَشَقَ مَوْلُودٌ فَصَنَعَ عَلَيْهِ فَاكِلَ الْقَوْمِ وَشَرِبُوا وَعَدَلُوا عَنْ

مَوَاقِفِهِمْ وَلَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خَالِدٍ فَإِنَّهُ  
 كَانَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنِيمُ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ. عِيُونُهُ ذَاكِيَةٌ وَهُوَ  
 مُعْنَى بِهَا بَلِيَّةٌ. قَدْ اتَّخَذَ حِجَابًا لَكَهَيْئَةِ السَّلَامِ وَأَوْهَاقًا. فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ  
 ذَلِكَ الْيَوْمِ تَهَضَّ وَمِنْ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهِ الَّذِينَ قَدِمَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ وَتَقَدَّمَ لَهُمْ هُوَ  
 وَالْقُعْنَقُ بْنُ عَمِيْرٍ وَمَذْعُورُ بْنُ عَدِيٍّ وَامثالُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي أَوَّلِ بَوْدِهِ  
 وَقَالُوا: إِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا عَلَى السُّورِ فَارْقُوا إِلَيْنَا وَانْهَدُوا إِلَى الْبَابِ:  
 فَلَمَّا أَتَوْا إِلَى الْبَابِ الَّذِي بَلِيَّةٌ هُوَ وَأَصْحَابُهُ الْمُتَقَدِّمُونَ رَمَوْا بِالْحِجَالِ  
 الشَّرَفَ وَعَلَى ظُهُورِهِمُ الْقِرْبُ الَّتِي قَطَعُوا بِهَا خَنْدَقَهُمْ. فَلَمَّا ثَبَتَ لَمْ يَسْقَانِ  
 تَسْلُقَ فِيهَا الْقُعْنَقُ وَمَذْعُورٌ. لَمْ يَدْعَا أَحَدٌ إِلَى تَبَنَّاها وَلَا أَوْهَاقَ  
 بِالْشَّرَفِ. وَكَانَ الْبَكَانُ الَّذِي أَفْتَحُوا مِنْهُ أَحْصَنَ مَكَانٍ يُحِيطُ بِدِشَنِ  
 أَكْثَرِ مَا وَأَسَدُهُ مَدْخَلًا وَتَوَافَوْا لِذَلِكَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ فَخْلٌ مَعَهُ إِلَّا  
 رَقِيٌّ أَوْ دَنَانٌ مِنَ الْبَابِ حَتَّى إِذَا اسْتَوْفَا عَلَى السُّورِ حَذَرَ عَامَّةَ أَصْحَابِهِ وَانْحَدَرَ  
 مَعَهُمْ وَخَلَفَ مَنْ يَحْيِي ذَلِكَ الْبَكَانَ لِيَنْبَرِّتِي. وَأَمَرَهُمُ بِالتَّكْبِيرِ فَكَبَّرَ  
 الَّذِينَ عَلَى رَأْسِ السُّورِ. فَهَذَا الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْبَابِ وَمَالَ إِلَى الْيَمِينِ  
 بَشَرٌ كَثِيرٌ قَوَّيُوا فِيهَا وَأَتَى خَالِدٌ إِلَى مَنْ بَلِيَّةٌ فَأَنَامَهُمْ وَانْحَدَرَ إِلَى  
 الْبَابِ فَقَتَلُوا الْبَوَائِينَ وَثَارَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَفَزِعَ سَائِرُ النَّاسِ. فَأَخَذُوا  
 مَوَاقِفَهُمْ وَلَا يَدْرُونَ مَا الشَّانُ وَشَاغَلَ أَهْلُ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِمَا يَلِيهِمْ. وَقَطَعَ  
 خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَمَنْ مَعَهُ أَغْلَقَ الْبَابَ بِالسُّيُوفِ وَفَتَحُوا لِلْمُسْلِمِينَ  
 وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ دَاخِلٍ حَتَّى مَا نَبِيَّ مَا بَلِيَّ بَابَ خَالِدٍ مُتَابِلٌ إِلَّا أَنَّهُمْ  
 وَلَمَّا شَدَّ خَالِدٌ عَلَى مَنْ بَلِيَّةٌ وَبَلَغَ مِنْهُمْ الَّذِي أَرَادَ عَنُوقَهُ وَلَزِمَ مَنْ



أَفَلَتَ إِلَى الْأَبْوَابِ الَّتِي تَلِي غَيْبَهُ. وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ دَعَوْهُمْ إِلَى  
الْمَنَاطِرِ فَأَبَوْا وَتَعَدُّوا فَلَمْ تَنْجَاهُمْ إِلَّا وَهُمْ يَبْهَمُونَ لَمْ يَصْلَحُوا. فَأَجَابُوهُمْ  
وَقِيلُوا مِنْهُمْ وَفَتَحُوا لَمْ الْأَبْوَابِ وَقَالُوا: أَدْخُلُوا فَأَمْنَعُونَا مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ  
الْبَابِ: وَدَخَلَ أَهْلُ كُلِّ بَابٍ بِصُلْحٍ مِنْ بَلِيهِمْ وَدَخَلَ خَالِدٌ مِمَّا بَلِيَهُ عَنْوَةً.  
فَأَلْفَقَ خَالِدٌ وَالْقَوَادِ فِي وَسْطِهَا هَذَا اسْتِعْرَاضًا وَانْتِهَابًا وَهَذَا صُلْحًا وَتَسْكِينًا  
فَأَجْرًا نَاحِيَةَ خَالِدٍ مُجْرَى الصُّلْحِ. فَصَارَ صُلْحٌ وَكَانَ صُلْحٌ دِمَشْقَ عَلَى  
مُقَاسِمَةِ الدِّينَارِ وَالْعُقَارِ وَالدِّينَارِ عَلَى كُلِّ رَأْسٍ. فَأَقْتَسَمُوا الْأَسْلَابَ  
فَكَانَ أَصْحَابُ خَالِدٍ فِيهَا كَأَصْحَابِ سَائِرِ الْقَوَادِ وَجَرَى عَلَى الدِّينَارِ مِنْ بَنِي  
فِي الصُّلْحِ جَرِيبٌ مِنْ كُلِّ جَرِيبٍ أَرْضٍ وَوَقَفَ مَا كَانَ لِلْمُلُوكِ وَمَنْ  
صَوَّبَ مَعَهُمْ فِيمَا وَقَسَمُوا لِذِي الْكَلَاعِ وَمَنْ مَعَهُ وَلَئِي الْأَعْرَبِ وَمَنْ مَعَهُ  
وَلِشِيرٍ وَمَنْ مَعَهُ وَبَعَثُوا بِالْإِشَارَةِ إِلَى عَهْدٍ

فِي أَفْتِنَاجِ بِلَادِ فَارِسَ

وَقَعَةُ الْفَرَفِيسِ

وَقَعَةُ الْفَرَفِيسِ وَيُقَالُ لَهَا الْقَسُ فُسُ النَّاطِقِ وَيُقَالُ لَهَا أَنْجَسُ وَيُقَالُ لَهَا  
الْمُرُوحَةُ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ. كَتَبَ إِلَى السُّرِيِّ عَنْ  
شُعْبَةَ عَنْ سَيْفٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ بِإِسْنَادِهِمْ قَالُوا: وَلَهَا رَجَعِ  
الْجَالِنُوسُ إِلَى رُسْتَمٍ وَمَنْ أَفَلَتَ مِنْ جُنُودِهِ قَالَ رُسْتَمٌ: أَبِئْسَ الْعَمَلِ أَشَدُّ  
عَلَى الْعَرَبِ فِيمَا تُرَوْنَ: قَالُوا: بَهْمُ جَادُوِيهِ. فَوَجَّهَهُ وَمَعَهُ فِيهِ وَرَدَّ  
الْجَالِنُوسَ مَعَهُ: فَقَالَ لَهُ: قَدِيمُ الْجَالِنُوسِ فَإِنْ عَادَ لِيْثْلُهَا فَأَضْرِبْ عَنْقَهُ.  
فَأَقْبَلَ بِهِمْ جَادُوِيهِ وَمَعَهُ دِرْقَسُ كَايِيَانِ رَايَةً كِسْرَى وَكَانَتْ مِنْ

جُلُودِ الْمَرِ عَرَضَ ثَمَانِي أَذْرُعٍ فِي طُولِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ذِرَاعًا . فَأَقْبَلَ أَبُو  
عُيَيْدٍ حَتَّى نَزَلَ الْمَرْوَحَةَ مَعَ الْبُرُوجِ وَالْعَاقُولِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهِنُ جَاذُونِيهِ .  
إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَتَدْعَعَكُمْ وَالْعُبُورَ . وَإِمَّا أَنْ تَدْعُونَا نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ . فَقَالَ  
النَّاسُ : لَا تَعْبُرْ يَا أَبَا عُيَيْدٍ إِنَّا نَنْهَاكَ عَنِ الْعُبُورِ . قَالُوا لَهُ : قُلْ لَمْ فَلْيَعْبُرُوا  
وَكَانَ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ سَلِيطٌ . فَلَمَّ أَبُو عُيَيْدٍ وَتَرَكَ الرَّأْيَ وَقَالَ :  
لَا يَكُونُوا أَجْرًا عَلَى الْمَوْتِ مِنَّا بَلْ نَعْبُرُ إِلَيْهِمْ . فَعَبَرُوا إِلَيْهِمْ فِي مَنْزِلٍ ضَيْقِ  
الْمَطَرِ وَالْمَذْهَبِ فَأَقْتَنَلُوا يَوْمًا وَأَبُو عُيَيْدٍ فِيهَا بَيْنَ السَّنَةِ وَالْعَشْرِ حَتَّى  
إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ وَاسْتَبْطَأَ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفِ الْفَخِّ وَآلَفَ بَيْنَ النَّاسِ  
فَتَصَافَحُوا بِالسُّيُوفِ

فَعَبَرُوا إِلَيْهِمْ وَعَاضَتِ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا وَآلَمَ النَّاسُ الْحَرْبَ . فَلَمَّا  
نَظَرَتْ الْخَيُْولُ إِلَى الْفِيلَةِ عَلَيْهَا الثَّجَلُ وَالْخَيْلُ عَلَيْهَا التَّجَافِيفُ وَالْفُرْسَانِ  
مَلِكِهِمُ الشَّعْرُ رَأَتْ شَيْئًا مُنْكَرًا لَمْ تَكُنْ تَرَى مِثْلَهُ . فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا  
حَمَلُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يُقْدِمُ خَيُْولَهُمْ . فَإِذَا حَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْفِيلَةِ وَالْجَلَاجِلِ  
فَرَفَّتْ بَيْنَ كَرَادِسِهِمْ لَا تَقُومُ لَهَا الْخَيْلُ إِلَّا عَلَى نِفَارٍ وَخَرَقَهُمُ الْفُرسُ  
بِالنُّشَابِ وَعَضَّ الْمُسْلِمِينَ الْآلَمَ وَجَعَلُوا لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِمْ . فَتَرَجَّلَ  
أَبُو عُيَيْدٍ وَتَرَجَّلَ النَّاسُ . ثُمَّ مَشَوْا إِلَيْهِمْ فَصَافَحُوهُمْ بِالسُّيُوفِ . فَجَعَلَتِ  
الْفِيلَةُ لَا تَحِيلُ عَلَى جَاعَةٍ إِلَّا دَفَعَتْهُمْ . فَتَادَسَ أَبُو عُيَيْدٍ : أَحْتَرِشُوا الْفِيلَةَ  
وَقَطِّعُوا بَطْنَهَا وَأَقْلِبُوا عَنْهَا أَهْلَهَا : وَوَائِبَ هُوَ الْفِيلَ الْآبِضَ . فَتَعَلَّقَ  
بِطَانِهِ قَتِيعَهُ وَقَطَّعَ الَّذِينَ عَلَيْهِ وَقَعَلَ النَّوْمُ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَتَرَكُوا فِيلًا إِلَّا  
مَحَطُوا أَهْلَهُ وَقَتَّلُوا أَصْحَابَهُ فَأَهْوَسَ الْفِيلُ لِأَبِي عُيَيْدٍ فَتَنَحَّحَ مِشْفَعًا بِالسُّبُوفِ



فَأَتَاهُ الْفِيلُ يَدِيهِ فَوَقَعَ فَخَبَطَهُ الْفِيلُ وَقَامَ عَلَيْهِ. فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ النَّاسُ نَحَتَ  
الْفِيلُ خَشَعَتِ أَنْفُسُهُمْ وَأَخَذَ الْيَلُوءُ الَّذِي كَانَ أَمْرُهُ بَعْدَهُ فَقَاتَلَ الْفِيلَ  
حَتَّى نَفَى عَنْ أَبِي عَيْدٍ فَأَجْتَرَهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَأَحْرَزُوا وَشَلَوْهُ وَنَجَرَهُ  
ثُمَّ الْفِيلُ يَدِيهِ كَانَتْ أَبِي عَيْدٍ وَخَبَطَهُ الْفِيلُ وَقَامَ عَلَيْهِ وَتَابَعَ سَبْعَةً مِنْ  
تَقِيفٍ كُلُّهُمْ بِأَخَذِ الْيَلُوءِ وَيُقَاتِلُ حَتَّى يَهُوتَ. ثُمَّ أَخَذَ الْيَلُوءُ الْهَيْثُ وَهَرَبَ  
النَّاسُ

فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْثَدٍ التَّقِيَّ مَا لَفِيَ أَبُو عَيْدٍ وَخَلْفَاؤُهُ وَمَا بَصَنَعَ  
النَّاسُ بَادَرَهُمْ أَنْجِسَرَ فَنَطَعَهُ وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ مُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ  
أَمْرَاؤُكُمْ أَوْ تَنْظُرُوا وَأَجَارَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنْجِسَرَ وَجَمِيعَ نَاسٍ  
فَتَوَلَّوْا فِي الْفَرَاتِ فَفَرَّقَ مَنْ لَمْ يَصِيرَ وَأَسْرَعُوا فِيهِمْ صَبْرًا وَحَى الْهَيْثُ  
وَقُرَّسَانٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ النَّاسَ وَنَادَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا دُونَكُمْ فَأَعْبَرُوا  
عَلَى هَيْئَتِكُمْ وَلَا تَذْهَبُوا فَإِنَّا لَنَنْزِيلٌ حَتَّى نَرَاكُمْ مِنْ ذَلِكَ الْأَنْجَابِ وَلَا  
تَغْرَبُوا أَنْفُسَكُمْ: فَوَجَدُوا أَنْجِسَرَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْثَدٍ قَائِمٌ عَلَيْهِ يَمْنَعُ النَّاسَ  
مِنَ الْعُبُورِ. فَأَتَوَاهُ الْهَيْثُ فَضْرَبَهُ وَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ: قَالَ  
لِيُقَاتِلُوا. وَنَادَى مَنْ عَبَرَ. فَجَاوَزُوا يَبْلُوجُ فَضَمُّوا إِلَى السَّفِينَةِ الَّتِي قَطَعُوا  
سَفَائِئَهَا وَعَبَرَ النَّاسُ. وَكَانَ آخِرُ مَنْ قُتِلَ عِنْدَ أَنْجِسَرَ سَلِيطُ بْنُ فَيْسٍ وَعَبَرَ  
الْهَيْثُ وَحَى جَانِبَهُ فَأَضْطَرَبَ عَسْكَرُهُ وَرَأَاهُمْ ذُو الْأَحْجَابِ فَلَمْ يَقْدِرْ  
عَلَيْهِمْ. فَلَمَّا عَبَرَ الْهَيْثُ وَحَى جَانِبَهُ أَرْفَضَ عَنْهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَبَقِيَ الْهَيْثُ فِي  
فِلَةٍ. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ رَجُلٍ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ  
الْهَنْدِيِّ قَالَ: هَلَكَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةُ أُلُوفٍ وَهَرَبَ أَلْفَانِ وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ أُلُوفٍ

## وَقَعَةُ الْبُؤَيْبِ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيعَةِ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سَيْفٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ  
 بِإِسْنَادِهِمْ قَالُوا: وَبِعَثَ الْهَنْثَى بَعْدَ أَنْجَسِ فَيَمَنْ يَلِيهِ مِنَ الْمُهَذَّبِينَ  
 فَتَوَافُوا إِلَيْهِ فِي جَمْعٍ وَبَلَغَ رُسُومُ وَالْفِيرْزَانَ ذَلِكَ وَأَتَتْهُمُ الْعَبُودُ بِهِ وَبِهَا  
 يَنْتَظِرُونَ مِنَ الْإِمْلَادِ وَاجْتَمَعَا عَلَى أَنْ يَسْعَا مَهْرَانُ الْهَبْدَانِي حَتَّى يَرِيَا مِنْ  
 رَأْيِهَا. فَخَرَجَ مَهْرَانُ فِي الْخَيُْولِ وَأَمْرَأَتُهُ بِالنَّجِيرَةِ وَبَلَغَ الْهَنْثَى الْخَبْرَ وَهُوَ  
 مَعْسُكِرٌ بِهَرَجِ السَّبَاخِ بَيْنَ الْقَادِيسِيَّةِ وَخَفَّاتٍ فِي الَّذِينَ أَمَدُوهُ مِنَ  
 الْعَرَبِ عَنْ خَيْرِ بَشِيرٍ وَكَثَانَةَ وَبَشِيرٍ يَوْمَئِذٍ بِالنَّجِيرَةِ. فَاسْتَبَطْنَ فُرَاتَ  
 بَادَقِيٍّ وَارْسَلَ إِلَى جَرِيدٍ وَمَنْ مَعَهُ إِنْ جَاءَهُ نَاأَمْرٌ لَمْ نَسْتَطِعْ مَعَهُ الْفِيَامَ حَتَّى  
 تَقْدَمُوا عَلَيْنَا فَعَجَلُوا الْحَقَ بِنَا وَمَوْعِدُكُمْ الْبُؤَيْبُ وَكَانَ جَرِيدٌ مُبْدِلًا لَهُ.  
 وَكَتَبَ إِلَى عِصْمَةَ وَمَنْ مَعَهُ وَكَانَ مُبْدِلًا لَهُ يَبْنُلُ ذَلِكَ وَإِلَى كُلِّ قَائِدٍ أَظْلَهُ  
 يَبْنُلُ ذَلِكَ وَخُذُوا عَلَى الْخُوفِ. فَسَلَكُوا عَلَى الْقَادِيسِيَّةِ وَالْخُوفِ وَمَنْ  
 مَلَكَ مَعَهُ طَرِيقَهُ فَأَنْتَهَوْا إِلَى الْهَنْثَى وَهُوَ عَلَى الْبُؤَيْبِ مَا بَلَى، وَضَعَ الْكُوفَةَ  
 الْيَوْمَ وَعَلَيْهِمُ الْهَنْثَى وَهُوَ بِأَزَاهِ مَهْرَانٍ وَعَسْكَرِهِ. فَقَالَ الْهَنْثَى لِرَجُلٍ مِنْ  
 أَهْلِ السَّوَادِ: مَا يُقَالُ لِلرُّقْعَةِ الَّتِي فِيهَا مَهْرَانٌ وَعَسْكَرُهُ؟ قَالَ بُسْطِيَا. فَقَالَ  
 أَكْدَى مَهْرَانٌ وَهَلَكَ عَسْكَرُهُ نَزَلَ مَتْرًا هُوَ السُّومُ. وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ حَتَّى  
 كَاتَبَهُ مَهْرَانُ إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَلِمَّا أَنْ تَعْبُرَ إِلَيْكُمْ. فَقَالَ الْهَنْثَى: أَعْبُرُوا  
 فَعَبَرَ مَهْرَانٌ فَتَزَلَّ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ مَعَهُمْ فِي الْهَلْطِاطِ. فَقَالَ الْهَنْثَى:  
 كَذَلِكَ لِلرَّجُلِ. مَا يُقَالُ لِهَذِهِ الرُّقْعَةِ الَّتِي تَزَلُّهَا مَهْرَانٌ وَأَصْحَابُهُ وَعَسْكَرُهُ  
 قَالَ شُومِيَا. وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ. فَتَادَى فِي النَّاسِ أَنْهَدُوا لِعَدُوِّكُمْ.



فَتَنَاهَدُوا وَقَدْ كَانَ الْهَيْئَةُ عَنِ الْجَيْشِ. فَجَعَلَ عَلَى مُجَنَّبِيهِ مَدْعُورًا وَالنَّسِيرَ  
وَعَلَى الْجُرْدَةِ عَاصِمًا وَعَلَى الطَّلَاحِ عِصْمَةً وَأَصْطَفَى الْفَرِيقَانِ وَقَامَ الْهَيْئَةُ  
فِيهِمْ خَطِيبًا فَقَالَ: إِنَّكُمْ صَوَامٌ وَالصُّومُ مَرْقَةٌ وَمَضْعَنَةٌ وَإِنِّي أَرَى مِنَ الرَّأْيِ  
أَنْ تَفْطَرُوا. ثُمَّ نَفَوْا بِالطَّعَامِ عَلَى فِتَالٍ عَدُوِّكُمْ: قَالُوا نَعَمْ: فَأَفْطَرُوا  
فَأَبْصَرَ رَجُلًا يَسْتَوْفِرُ وَيَسْتَنْتِلُ مِنَ الصَّفِّ فَقَالَ: مَا بَالُ هَذَا: فَقَالُوا:  
مِنْ فَرَمِنَ الزَّخْفِ يَوْمَ الْحُسْرِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَنْتِلَ فَقَرَعَهُ بِالرُّمْحِ وَقَالَ:  
لَا أَبَا لَكَ الزَّمْ مَوْفِكَ فَإِذَا أَتَاكَ فِرْنُكَ فَأَغْنِهِ عَنْ صَاحِبِكَ وَلَا  
تَسْتَنْتِلْ. قَالَ: إِنِّي بِذَلِكَ لَجِدِيرٌ فَاسْتَفَرَّ وَلَزِمَ الصَّفَّ. كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ  
عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ مِنْهُ

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحِصِنٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ  
الْحَمَّ لَهَا أُذُنَ لَمْ فِي الْعُبُورِ تَزَلُّوا شُومِيَا مَوْضِعَ دَارِ الرِّزْقِ. فَتَعَبُوا لَهَا  
جَاؤُوا هُنَالِكَ. فَأَقْبَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي صُفُوفٍ ثَلَاثَةٍ مَعَ كُلِّ صَفٍّ  
فِيْلٌ وَرَجُلٌ أَمَامَ فَيْلِهِمْ وَجَاؤُوا لَمْ زَجَلٌ. فَقَالَ الْهَيْئَةُ لِلْمُسْلِمِينَ: الَّذِي  
تَسْمَعُونَ فَشَرٌّ فَالْزُمُوا الصَّمْتَ وَاتَّشِرُوا بَيْنَكُمْ هَسًا. قَدَتُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ  
وَجَاؤُوا مِنْ قُبُلِ نَهْرٍ نِي سَلِيمٍ نَحْوَ مَوْضِعِ نَهْرٍ نِي سَلِيمٍ الْيَوْمَ. فَلَمَّا  
دَنَوُا رَحَنُوا وَصَفَّ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا بَيْنَ نَهْرٍ نِي سَلِيمٍ الْيَوْمَ وَمَا وَرَاءَهُ

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ قَالَا نَوَّكَانَ عَلَى مُجَنَّبِيهِ  
الْهَيْئَةُ بِشِيرٍ وَبِشَرِّ بْنِ أَبِي رَهْمٍ وَعَلَى جُرْدَتِهِ الْهَيْئَةُ وَعَلَى الرَّجُلِ مَسْعُودٌ  
وَعَلَى الطَّلَاحِ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ النَّسِيرُ وَعَلَى الرِّخْهِ مَدْعُورٌ وَكَانَ عَلَى  
مُجَنَّبِيهِ مَهْرَاتُ ابْنِ الْأَزَادِيهِ مَرْزُبَانُ الْيَحْيَى وَمَرْدَانِشَاهُ. وَلَهَا خَرَجَ

الْمُهَنَّى طَافَ فِي صُفُوفِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ عَهْدَهُ وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ الشَّمُوسِ وَكَانَ  
يُدْعَى الشَّمُوسَ مِنْ لَيْلٍ عَرَبِيٍّ وَلِبَاسِهِ. فَكَانَ إِذَا رَكِبَهُ فَاتْلَ وَكَانَ  
لَا يَرْكَبُهُ إِلَّا لِقِتَالٍ يُودِعُهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِتَالٌ. فَوَقَفَ عَلَى الرَّايَاتِ رَايَةً  
رَايَةً بِحُضْضِهِمْ وَبِأَمْرِهِمْ بِأَمْرٍ وَبِهِمْ بِمَا فِيهِمْ تَحْضِضًا لَمْ وَلِكُلِّهِمْ يَقُولُ:  
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تُؤْتَى الْعَرَبُ مِنْ قَبْلِكُمْ الْيَوْمَ. وَاللَّهِ مَا بَسُرَنِي الْيَوْمَ لِنَفْسِي  
شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ بَسُرَنِي لِعَامَتِكُمْ. فَيَجِيبُونَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ. وَأَنْصَحُ الْمُهَنَّى فِي  
الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَخَلَطَ النَّاسَ فِي الْهَكْرَةِ وَالْحُبُوبِ. فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ  
مِنْهُمْ أَنْ يَعْيبَ لَهُ قَوْلًا وَلَا عَمَلًا. ثُمَّ قَالَ: إِنِّي مُكَبِّرٌ فَلَمَّا فَهِمُوا ثُمَّ أَجْلُوا  
مَعَ الرَّايَةِ: فَلَمَّا كَبُرَ أَوَّلَ تَكْبِيرِهِ رَكَدَتْ خَيْلُهُمْ وَحَزَبُهُمْ مَلِيًّا. فَلَمَّا رَأَى  
الْمُهَنَّى خَلَا فِي بَعْضِ صُفُوفِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا وَقَالَ: إِنَّ الْأَمِيرَ  
يُقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَيَقُولُ: لَا تَفْضَحُوا الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ: فَقَالُوا نَعَمْ: وَاعْتَدَلُوا  
وَجَعَلُوا قَبْلَ ذَلِكَ بَرُونَهُ وَهُوَ يَهْدِي لِحَيْتِهِ لِمَا يَرَى مِنْهُمْ فَأَعْنَبُوا بِأَمْرٍ لَمْ  
يَخْبُرْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فَرَمَوْهُ فَرَأَوْهُ يَضْحَكُ فَرَحًا وَالنُّومُ يَنْ  
عَجَلٌ وَمَا وَرَاءَهَا

فَلَمَّا طَالَ الْفِتَالُ وَاشْتَدَّ عَهْدُ الْمُهَنَّى إِلَى أَنَسِ بْنِ هِلَالٍ فَقَالَ: يَا أَنَسُ  
إِنَّكَ أَمْرٌ عَرَبِيٌّ وَإِنْ لَمْ تَكُ عَلَى دِينِنَا. فَإِذَا رَأَيْتَنِي قَدْ حَمَلْتُ عَلَى مِهْرَانَ  
فَاتَّحِلْ مَعِيَ: وَقَالَ لِابْنِ ذِي السَّهْبَيْنِ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَجَابَهُ. فَحَمَلَ الْمُهَنَّى  
عَلَى مِهْرَانَ فَازَالَهُ حَتَّى دَخَلَ فِي مَبْتَتِهِ. ثُمَّ خَالَطُوهُمْ فَاجْتَمَعَ الْقَلْبَانِ  
وَأَرْتَفَعَ الْغَبَارُ وَالْجَنَابَاتُ تُقْتَلُ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْرُغُوا لِنَصْرِ أَمِيرِهِمْ  
لَا الْبُشْرُكُونَ وَلَا الْمُسْلِمُونَ. وَلَزُتْ مَسْعُودٌ يَوْمَئِذٍ وَقَوَادِمُ مِنْ قَوَادِمِ



المُسْلِمِينَ وَقَدْ كَانَ قَالَ لَهُمْ: إِذَا رَأَيْتُمُونَا أُصْبْنَا فَلَا تَدْعُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ  
فَإِنَّ أَحَدَ الْجَبَشِيِّينَ يَنْكُشِفُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ وَأَغْنُوا غَنَاءَهُ مَنْ يَلِيكُمْ: وَأَوْجَعَ  
قَلْبُ الْمُسْلِمِينَ فِي قَلْبِ الْمُشْرِكِينَ وَقَتَلَ غُلَامٌ مِنَ التَّغْلِييِّينَ نَصْرَانِيَّ  
مِهْرَانَ فَأَسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ. فَجَعَلَ الْمَثْنَى سَلْبَهُ لِصَاحِبِ خَيْلِهِ. وَكَذَلِكَ  
إِذَا كَانَ الْمُشْرِكُ فِي خَيْلٍ رَجُلٍ فَقَتَلَ وَسَلَبَ فَهُوَ لِلَّذِي هُوَ أَمِيرٌ عَلَى مَنْ  
قَتَلَهُ وَكَانَ لَهُمْ فَاثِدَانِ أَحَدُهُمَا جَرِيدٌ وَالْآخَرُ ابْنُ الْهُوَيْرِ فَأَقْسَمَا

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَخْفَرٍ بْنِ  
ثَعْلَبَةَ قَالَ: جَلَبَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَ أَفْرَامًا. فَلَمَّا اتَّفَقَ الرَّحْطَانُ يَوْمَ  
الْبُؤَيْبِ قَالُوا: لَا تُقَاتِلُ الْعَرَبَ مَعَ الْعَجْرِ فَأَصَابَ أَحَدُهُمْ مِهْرَانٌ يَوْمَئِذٍ  
وَمَهَّدَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ وَرَدٍ مُجْتَنِبٍ يَخْشَوْنَ أَصْفَرَيْنَ عَيْنَيْهِ هَلَالٌ وَعَلَى دَنْيِهِ  
أَهْلَةٌ فَأَسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ ثُمَّ انْتَهَى فَقَالَ: أَنَا الْغُلَامُ التَّغْلِيُّ أَنَا قَتَلْتُ  
الْمَرْزُبَانَ: فَأَتَاهُ جَرِيدٌ وَابْنُ الْهُوَيْرِ فِي قَوْمِهِمَا فَأَخَذَا بِرِجْلَيْهِ فَأَنْزَلَاهُ. كَتَبَ  
إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ أَنَّ جَرِيدًا  
وَالْمُنْدِيرَ أَشْرَكَ فِيهِ فَأَخْضَمَا فِي سِلَاحِهِ فَتَقَاضِيَا إِلَى الْمَثْنَى. فَجَعَلَ سِلَاحَهُ  
بَيْنَهُمَا وَالْمِنْطَقَةَ وَالسَّوَارِينَ بَيْنَهُمَا وَأَقْنُوا قَلْبَ الْمُشْرِكِينَ. كَتَبَ إِلَى  
السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ أَبِي رَوْحٍ قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَأْتِي  
الْبُؤَيْبَ فَنَرِي فِيهَا بَيْنَ مَوْضِعِ السُّكُونِ وَبَيْنِ سُلَيْمٍ عِظَامًا بِيضًا تُلَوِّحُ  
مِنْ هَامِئِهِمْ وَأَوْصَالِهِمْ يُعْتَبَرُ بِهَا. قَالَ وَحَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ شَهِدَهَا أَنَّهُمْ كَانُوا  
يَخْرُجُونَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَلْفِ قَتِيلٍ مِنَ الْعَجْرِ وَمَا عُيِبَ عَلَيْهَا حَتَّى دَفَنُوا أَذْفَانُ  
الْيُؤَيْبِ

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ عَطِيَّةَ بْنِ الْحَرِثِ  
 قَالَ: لَهَا أَهْلَكَ اللَّهُ مَهْرَانِ اسْتَمَكَنَّ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْغَارَةِ عَلَى السَّوَادِ فِيمَا  
 بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ دِجْلَةَ فَخَرُّوْهَا لَا يَخَافُونَ كَيْدًا وَلَا يَلْفُونَ فِيهِ مَانِعًا. وَانْتَقَضَتْ  
 مَسَاحُ الْعَجْرِ فَرَجَعَتْ إِلَيْهِمْ وَأَعْتَصَمُوا بِسَابِاطٍ وَسَرَّهْمُ أَنْ يَتْرُكُوا مَا وَرَاءَهُ  
 دِجْلَةَ. فَكَانَتْ وَقْعَةُ الْبُوَيْبِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشَرَ قَتَلَ اللَّهُ مَهْرَانَ  
 وَجَيْشَهُ وَأَفْعَمُوا جَنْبِي الْبُوَيْبِ عِظَامًا حَتَّى اسْتَوَى وَمَا عَنَى عَلَيْهَا النَّزَابُ  
 أَزْمَانِ الْفِتْنَةِ وَمَا يُنَارُ هُنَا لِكَ شَيْءٍ إِلَّا وَتُعَوِّمُنَهَا عَلَى شَيْءٍ. وَهُوَ مَا بَيْنَ  
 السُّكُونِ وَمَرْهَبَةِ وَبَنِي سُلَيْمٍ وَكَانَ مَغِيضًا لِلْفَرَاتِ أَزْمَانِ الْأَكَا سِرِّ  
 يَصُبُّ فِي الْجُوفِ. وَقَالَ الْأَعْوَرُ الْعَبْدِيُّ الشَّيْءُ

وَأَسْتَبَدَلْتُ بَعْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ خَفَانَا	هَاجَتْ لِأَعْوَرَ دَارُ الْأَحْيِ إِحْنَانَا
إِذْ بِالْجَيْلَانَةِ قَتَلْتُ جُنْدَ مَهْرَانَا	وَقَدْ أَرَانَا هَا وَالْشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ
فَقَتَلَ الزَّخْفَ مِنْ فُرْسٍ وَجَيْلَانَا	أَزْمَانِ سَارِ الْمُنَى بِالْحَبُولِ لَمُرٌ
حَتَّى أَبَادَهُمْ مُنَى رَوْحَدَانَا	مَمَا لِيَهْرَانَ وَالْجَيْشِ الذِّبِ مَعَهُ



مِنْ كِتَابِ الْغُرِّيِّ فِي الْأَدَابِ السُّلْطَانِيَّةِ  
وَالدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
ذِكْرُ خِلَافَةِ هُرُونِ الرَّشِيدِ<sup>١</sup>

بُويعَ بِأَخِيْلَانَةِ فِي سَنَةِ سَعِيْنٍ وَمِئَةٍ. كَانَ الرَّشِيدُ مِنْ أَفَاضِلِ الْخُلَفَاءِ  
وَقُصَّائِمِ وَعُلَمَائِهِمْ وَكُرَمَائِهِمْ كَانَ يَخُجُّ سَنَةً وَيَغْزُو سَنَةً. كَذَلِكَ مَدَّةَ  
خِلَافَتِهِ إِلَّا مِئِينَ قَلِيلَةً. قَالُوا: وَكَانَ يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ رَكْعَةٍ. وَحَجَّ  
مَائِيًا. وَلَمْ يَخُجَّ خَلِيفَةً مَائِيًا غَيْرُهُ. وَكَانَ إِذَا حَجَّ حَجَّ مَعَهُ مِئَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ  
وَالْبَنَاءِ. وَإِذَا لَمْ يَخُجَّ أَحَدٌ تَلَيْفَتُهُ رَجُلٌ بِالنِّفْتَةِ السَّائِفَةِ. وَالْكَسُوفِ  
الظَّالِمَةِ. وَكَانَ يَتَشَبَّهُ فِي أَعْمَالِهِ بِالْمَنْصُورِ إِلَّا فِي بَذْلِ الْمَالِ. فَإِنَّهُ لَمْ يَبْرُدْ  
خَلِيفَةً أَسَمِعَ مِنْهُ بِالْمَالِ. وَكَانَ لَا يَضِيعُ عِنْدَهُ إِحْسَانٌ مُحْسِنٍ وَلَا يُؤَخَّرُ.  
وَكَانَ يُحِبُّ الشُّعْرَ وَالشُّعْرَاءَ وَيَبِيلُ إِلَى أَهْلِ الْأَدَبِ وَالنِّفَةِ. وَيَكْرَهُ

<sup>١</sup> امامهرون الرشيد احد الخلفاء العباسيين فقد ولد في سنة ٧٦٥ في ري من مملكتها  
وتوفي في ٨٠٩ في طوس. وقد اشتهر هذا الخليفة بمهارته بجوش الملكة ايرينا في اسما  
الصغرى لما قام مقام اخيه موسى الهادي على السدة الملوكية في سنة ٧٨٦. فشق على موسى  
فلاي اخيه مارون فنصد قتله. فلما رأت والتهما ان لا بد من قتل احد ولديها اختارت  
موت موسى على مارون الذي رفع شأن دولة العباسيين الى اعلى ذرى العظمة والمجد.  
فقد اتروحات الشهيرة في اسيا وحارب مرارا ايرينا وبكفورا الى ان اجبرها على اداء الجزية  
واتسعت اتصالاته حتى المغرب. ونجحت مع كارلوس الكبير ملك فرنسا. وبما امتاز به  
هذا الخليفة حسن النفاة الى العلوم والصنائع فازهرت في ايام دولته. فخط العلماء والادباء  
عصا الى حال عد له طه. غير انه كثيرا ما اهدى من القساوة المكونة لاسيا ضد البرامكة  
الذين كانوا قد حاربوا الموالاة العامة

• • •  
البراءة في الدين. وكانت حُبُّ المديح لا سيما من شاعرٍ فصيحٍ. ويُجزلُ  
العطاة عليه

قال الأصمعي: صنع الرشيدُ طعامًا وزخرفَ مجالسَهُ وأحضرَ أبا  
العنابهية وقال له: صِفْ لنا ما نحنُ فيه من نعيمٍ هذه الدنيا: فقال أبو  
العنابهية:

عِشْ ما بدا لك سَالِبًا      في ظِلِّ شاهنة القصورِ  
فقال الرشيدُ: أحسنتَ ثمَّ ماذا: فقال:

بُغِيَ عَلَيْكَ بِهَا أَشْنَهتَ      لدى الرواحِ أو البكورِ  
فقال: حسنٌ ثمَّ ماذا: فقال:

فإذا النفوسُ تَقَفَعَتْ      في ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ

فَهاكْ نَعَلَرُ مَوْفِنًا      ما كُنْتَ إِلَّا في غُرُورِ

فبكى الرشيدُ. فقال الفضلُ بنُ يحيى: بعثَ إليك أميرُ المؤمنينَ  
ليُسِّرَ فخرتَهُ: فقال الرشيدُ: دَعَهُ فَإِنَّهُ رَأَى فِي عَمِي فِكْرَهُ أَنْ يَزِيدَنَا مِنْهُ  
وَكَانَ الرَّشِيدُ يَتَوَاضَعُ لِلْعُلَمَاءِ. قال أبو معاوية الضريدي: وكانت من  
عُلَمَاءِ النَّاسِ. أَكَلْتُ مَعَ الرَّشِيدِ يَوْمًا. فَصَبَّ عَلَى يَدَيِ الْهَاءِ رَجُلٌ فَقَالَ  
لِي: يَا أَبَا مُعَاوِيَةَ. أَتَدْرِي مَنْ صَبَّ الْهَاءُ عَلَى يَدِكَ: فَقُلْتُ لَا يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ أَنَا. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا إِجْلَالًا  
لِلْعِلْمِ. قَالَ نَعَمْ

في أبيه خرج يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي  
طالب. شرح كُفَيْيَةَ الْحَالِ فِي ذَلِكَ



كَانَ بَيْحِي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ خَافَ مَا جَرَى عَلَى أَخَوَيْهِ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ  
وَابْرَاهِيمَ قَبِيلِ بَاخْمَرِي. فَمَضَى إِلَى الدَّيْلَمِ. فَأَعْتَقَهُ وَفِيهِ اسْتِحْقَاقُ الْإِمَامَةِ  
وَبَايَعُوهُ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْأَمْصَارِ وَقَوِيَّتْ شَوْكَتُهُ. فَأَغْنَمَ الرَّشِيدُ  
لِذَلِكَ. وَنَدَبَ إِلَيْهِ الْفَضْلَ بْنَ بَيْحِي فِي خَمْسِينَ أَلْفًا وَوَلَّاهُ جُرْجَانَ  
وَطَبْرِسْتَانَ وَالرِّيَّ وَغَيْرَ ذَلِكَ. فَتَوَجَّهَ الْفَضْلُ بِالْجُنُودِ. فَلَطَفَ بَيْحِي  
بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَحَلْمُهُ وَخَوْفُهُ وَرَغْبَةُ. فَقَالَ بَيْحِي إِلَى الصُّلْحِ وَطَلَبَ أَمَانًا  
بِحِطِّ الرَّشِيدِ وَأَنْ يُشْهِدَ عَلَيْهِ فِيهِ الْقُضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ وَجِلَّةُ بَنِي هَاشِمٍ.  
فَأَجَابَهُ الرَّشِيدُ إِلَى ذَلِكَ وَسَرَّ بِهِ وَكَتَبَ لَهُ أَمَانًا بِلِغَا بَيْحِي. وَشَهِدَ عَلَيْهِ  
فِيهِ الْقُضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ وَمَشَاجِخُ بَنِي هَاشِمٍ وَسِيرَ الْأَمَانُ مَعَ هَدَايَا وَتُخَفٍ.  
فَقَدِمَ بَيْحِي مَعَ الْفَضْلِ. فَلَنِةَ الرَّشِيدُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ بِكُلِّ مَا أَحَبَّ. ثُمَّ  
حَبَسَهُ عِنْدَهُ وَاسْتَفْنَى الْفُقَهَاءَ فِي نَقْضِ الْأَمَانِ. فَمِنْهُمْ مَنْ أَفْتَى بِصِحِّهِ  
فَحَاجَهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ أَفْتَى بِطُلَانِيهِ فَأَبْطَلَهُ. ثُمَّ قَتَلَهُ بَعْدَ ظُهُورِ آيَةٍ لَهُ عَظِيمَةٍ  
شَرَحَ الْآيَةَ أَنِّي ظَهَرْتُ فِي قَضِيَّةِ بَيْحِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

حَضَرَ رَجُلٌ مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ مِنَ الْعَوَامِ عِنْدَ الرَّشِيدِ وَسَعَى بَيْحِي وَقَالَ:  
إِنَّهُ بَعْدَ الْأَمَانِ فَعَلَ وَصَنَعَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ. فَأَحْضَرَهُ الرَّشِيدُ  
مِنْ مَحْبِسِهِ وَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الزُّبَيْرِيِّ. وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَنْكَرَ. فَوَاقَفَهُ  
الزُّبَيْرِيُّ فَقَالَ لَهُ بَيْحِي: إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَأَحْلِفْ: فَقَالَ الزُّبَيْرِيُّ: وَاللَّهِ  
الطَّالِبِ الْغَالِبِ وَأَرَادَ أَنْ يُنِيمَ الْبَيِّنَ: فَقَالَ لَهُ بَيْحِي: دَعِ هَذِهِ الْبَيِّنَ  
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا مَجَّدَ الْعَبْدَ لَمْ يُعْجَلْ عُقُوبَتُهُ. وَلَكِنْ أَحْلِفْ لِي بِبَيِّنِ  
الْبَرَاءَةِ. وَفِي بَيِّنٍ عَظْمَى صُورَتَاهَا أَنْ يَقُولَ عَنْ نَفْسِهِ: بَرِيٌّ مِنْ حَوْلِ

اللَّهُ وَقُوَّتِهِ . وَدَخَلَ فِي حَوْلِ نَفْسِهِ وَقُوَّتَهَا إِنْ كَانَ كَذَّاءً وَكَذَّاءً فَلَمَّا سَمِعَ  
 الزُّبَيْرِيُّ هَذِهِ الْيَمِينَ أَرْتَاعَ لَهَا وَقَالَ : مَا هَذِهِ الْيَمِينَ الْغَرِيبَةُ وَامْتَنَعَ مِنْ  
 الْحَلْفِ بِهَا : فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : مَا مَعْنَى امْتِنَاعِكَ . إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَقُولُ  
 فَأَخْرُفَكَ مِنْ هَذِهِ الْيَمِينَ : فَحَلَفَ بِهَا . فَأَخْرَجَ مِنَ الْمَجْلِسِ حَتَّى ضَرَبَ  
 بِرِجْلِهِ وَمَاتَ . وَقِيلَ مَا أَنْتَ النَّهَارُ حَتَّى مَاتَ . فَحَبَلُوهُ إِلَى الْقَبْرِ وَحَطُّوهُ  
 فِيهِ وَارَادُوا أَنْ يَطْبُؤُوا الْقَبْرَ بِالنَّارِ . فَكَانُوا ذُلُمًا جَعَلُوا التُّرَابَ فِيهِ  
 دَهَبَ التُّرَابُ وَلَا يَنْطُمُ الْقَبْرُ فَعَلِمُوا أَنَّهَا آيَةُ سَاوِيَةٍ . فَسَقُّوا الْقَبْرَ  
 وَرَاحُوا . وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ أَبُو فِرَاسٍ بْنُ حَمْدَانَ فِي مِيسَرِهِ بِقَوْلِهِ :  
 يَا جَاهِلَنَا فِي مَسَاوِيهِمْ يُكَيِّتُهُمَا غَدْرُ الرَّشِيدِ بَيْحِي كَيْفَ بَنَكُمُ  
 ذَاقَ الزُّبَيْرِيُّ غِبَّ الْجَنَّتِ وَأَنْكَشَتْ عَنِ ابْنِ فَاطِمَةَ الْأَقْوَالُ وَالنَّهْمُ  
 وَمَعَ ظُهُورِ مِثْلِ هَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ قُتِلَ بَيْحِي فِي الْحَبْسِ شَرَّ قِتْلَةٍ  
 وَكَانَتْ حَوْلَةَ الرَّشِيدِ مِنْ أَحْسَنِ الدُّوَلِ وَكَثَرَتْهَا وَقَارًا وَرَوْنًا وَخَيْرًا  
 وَلَوْ سَهَا رُقْعَةً مَبْلُوكَةً . جَبَى الرَّشِيدُ مُعْظَمَ الدُّنْيَا . وَكَانَ أَحَدُ عَالِيهِ  
 صَاحِبَ بَصْرَ . وَلَمْ يَمْنَعْ عَلَى بَابِ خَلِيفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْفُقَهَاءِ  
 وَالْفُرَّاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْكَتَّابِ وَالنَّدَمَاءِ وَالْبَغِيِّينَ مَا أَجْتَمَعَ عَلَى بَابِ الرَّشِيدِ .  
 وَكَانَ يَصِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَجْزَلَ صَلَوةٍ وَرُقْعَةٍ إِلَى أَعْلَى دَرَجَةٍ . وَكَانَ  
 فَاضِلًا شَاعِرًا رَاوِيَةً لِلْأَخْبَارِ وَالْأَثَارِ وَالْأَشْعَارِ . صَحِيحَ الذُّوقِ وَالْتِمِيزِ  
 مَهِيًا عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ . فَبَضَّ عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهَا السَّلَامُ .  
 وَأَخْضَرَ فِي قُبَّةٍ إِلَى بَغْدَادَ . فَحَبَسَهُ بِدَارِ السِّنْدِيِّ بْنِ شَاهَكَ . ثُمَّ قُتِلَ  
 وَظَهَرَ أَنَّهُ مَاتَ حَتَفَ أَتْنِهِ



شرح كيفية التحال في ذلك. كان بعض حُساد موسى بن جعفر من  
أقاربه قد وُقي به إلى الرشيد وقال له: إن الناس يحملون إلى موسى  
بُخس أموالهم ويعتقدون بامانته وإنه على عزم الخروج عليك. وأكثر في  
القول فوقع ذلك عند الرشيد بموقع أهبة وأقلقه. ثم أعطى الواشي مالا  
أحاله به على البلاد. فلم يستنبح به وما وصل المال من البلاد إلا وقد  
مضى مَرَضَة شديدة ومات فيها. وأما الرشيد فإنه حج في تلك السنة.  
فلما ورد المدينة قبض على موسى بن جعفر وحمله في قُبَّة إلى بغداد.  
فحبسه عند السندي بن شاهك وكان الرشيد بالرقبة. فأمر بقتله فقتل  
قتلا خفيا. ثم أدخلوا عليه جماعة من العدول بالكرخ لِشاهدته إظهار  
أنه مات حنفاً أنه. صلوات الله عليه وسلامه. ومات الرشيد بطوس.  
وكان خرج إلى خراسان لمُباربة رافع بن الليث بن نصر بن سيار.  
وكان هذا رافع قد خرج وخلق الطاعة وتغلب على مرقند وقتل عاملها  
وملكها وقويت شوكتُه فخرج الرشيد بنفسه إليه. فأتى بطوس في سنة  
ثلاث وتسعين ومئة

### شرح حال الوزارة في أيامه

لما بويع بالخلافة استوزر كانية قبل الخلافة يحيى بن خالد بن  
برمك وظهرت قولة بني برمك منذ حينه  
شرح أحوال الدولة البرمكية وذكر مبدأها وما لها. كانوا قديما على  
دين الجوس. ثم أسلم من أسلم منهم وحسن إسلامهم. وهذه الدولة  
البرمكية كانت غرة في جبهة الدهر وتاجا على مفريق العصر. ضربت

بمكارها الأمثال . وشدت إليها الرِّحال . ونيطت بها الأمال . وبذلت  
لها الدنيا أفلاذ أكبادها . ومحنها أوفر إسعادها . فكانت بجي وشو  
كالنجوم زاهرة . والجور زاخرة . والسُّول قافعة . والغوث ماطرة . أسواق  
الأدب عندهم نافعة . ومرائب حوسب المحرمات عندهم عالية . والدنيا  
في أيامهم عامرة . وأبهة المملكة ظاهرة . وهم ملجأ اللبيب ومعتصم الطريد .  
ولهم يقول أبو نواس :

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا قُدِّمْتُ      نَبِيَّ بَرَمَكِ مِنْ رَاحِيَةٍ وَغَادِ  
ذِكْرُ وَزَارَةِ بَجِي بْنِ خَالِدٍ لِلرَّشِيدِ . لَمَّا جَلَسَ الرَّشِيدُ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكَةِ  
اسْتَوَزَرَ بَجِيَّ بْنَ خَالِدٍ بْنِ بَرَمَكٍ . وَكَانَ كَانِيَةً وَنَائِيَةً وَوَرِيدَةً قَبْلَ الْخِلَافَةِ .  
فَنَهَضَ بَجِيَّ بْنُ خَالِدٍ بِأَعْيَانِ الدَّوْلَةِ أَمَّ هَوْضٍ . وَحَدَّ الشُّجُورَ . وَتَنَارَكَ  
الْمُحَلَّلَ . وَجَعَى الْأَمْوَالَ . وَغَبَرَ الْأَطْرَافَ . وَأَظْهَرَ رَوْنَقَ الْخِلَافَةِ . وَتَصَدَّى  
لِيَهْمَاتِ الْمَلِكَةِ . وَكَانَ كَانِيًا بَلِيغًا لَبِيًّا أَدِيبًا شَدِيدًا صَائِبَ الْأَرَاءِ  
حَسَنَ التَّنْذِيرِ . ضَاطِطًا لِمَا تَحْتَ يَدِهِ . قَوِيًّا عَلَى الْأُمُورِ . جَوَادًا بِمَارِي  
الرَّيْحِ كَرَمًا وَجُودًا . مُبْدَحًا بِكُلِّ لِسَانٍ . حَلِيمًا عَنِيْفًا وَقُورًا مَهِيْبًا وَلَهُ  
يَقُولُ الْقَائِلُ :

لَا تَرَانِي مُصَاحِمًا كَفَّ بَجِي      إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ ضَبَعْتُ مَالِي  
لَوْ بَسَّ الْبَغِيلُ رَاحَةَ بَجِي      لَسَخْتُ نَفْسُهُ يَدْلُ النَّوَالِ  
وَمِنْ أَرَاءِ بَجِي السَّيِّئَةِ مَا قَالَهُ لِلْهَادِي . وَقَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَخْلَعَ  
أَخَاهُ هُرُونَ مِنَ الْخِلَافَةِ وَيُبَايِعَ لِابْنِهِ جَعْفَرِ بْنِ الْهَادِي . وَكَانَ بَجِي كَاتِبَ  
الرَّشِيدِ وَهُوَ يَدْرَجِي أَنْ يَهْوَلَ هُرُونَ الْخِلَافَةَ فَبَصِيرَ هُوَ وَزِيرَ الدَّوْلَةِ .



فَخَلَا الْمَادِي بِبَيْتِي وَوَهَبَ لَهُ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَحَادَثَهُ فِي خَلْعِ  
هُرُونَ أَخِيهِ وَالْبَيَاعَةِ لِجَعْفَرٍ ابْنِهِ . فَقَالَ لَهُ بَيْتِي : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ  
فَعَلْتَ حَمَلْتَ النَّاسَ عَلَى نَكْتِ الْأَيْمَانِ وَتَقْضِي الْعُهُودِ . وَتَجْرَأُ النَّاسُ عَلَى  
مِثْلِ ذَلِكَ . وَلَوْ تَرَكْتَ أَخَاكَ هُرُونَ عَلَى وِلَايَةِ الْعَهْدِ ثُمَّ بَايَعْتَ لِجَعْفَرٍ  
بَعْدَهُ كَانَ ذَلِكَ أَوْكَدَ فِي بَيْعِهِ : فَتَرَكَ الْمَادِي بِهَذَا ذَلِكَ مَدَّةً . ثُمَّ غَلَبَ  
عَلَيْهِ حُبُّ الْوَلَدِ . فَأَخْضَرَ بَيْتِي مَرَّةً ثَانِيَةً وَفَاوَضَهُ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ  
بَيْتِي : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . لَوْ حَدَّثْتُ بِكَ حَدِيثُ الْمَوْتِ وَقَدْ خَلَعْتَ أَخَاكَ  
وَبَايَعْتَ لِابْنِكَ جَعْفَرٍ وَهُوَ صَغِيرٌ دُونَ الْبُلُوغِ . أَفَتَرَى كَانَتْ خِلَافَتُهُ  
تَصِيحٌ . وَكَانَ مَشَاجِجُ بَنِي هَاشِمٍ يَرْضَوْنَ ذَلِكَ وَيُسَلِّمُونَ الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ :  
فَالَا . قَالَ بَيْتِي : فَدَعِ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى ثَانِيَةَ عَنَاءٍ . وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْمَهْدِيُّ  
بَايَعَ لِهُرُونَ لَوَجِبَ أَنْ تُبَايَعَ أَنْتَ لَهُ لِيَلَّا تَخْرُجَ الْخِلَافَةُ مِنْ بَنِي أَبِيكَ :  
فَصَوَّبَ الْمَادِي رَأْيَهُ . وَكَانَ الرَّشِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ يَرَى هُنَا مِنْ أَكْثَرِ  
أَيَادِي بَيْتِي بْنِ خَالِدٍ عِنْدَهُ

وَمِنْ مَكَارِمِهِ . قِيلَ إِنَّ الرَّشِيدَ لَمَّا نَكَبَ الْبَرَامِكَةَ وَاسْتَأْصَلَ شَافِقَتَهُمْ .  
حَرَّمَ عَلَى الشُّعْرَاءِ أَنْ يَرْتَوْهُمْ وَأَمَرَ بِالْمُؤَاخَذَةِ عَلَى ذَلِكَ . فَأَجْنَزَ بَعْضُ  
الْحُرَمِ بَعْضَ الْخُرَبَاتِ . فَرَأَى إِنْسَانًا وَاقِفًا وَفِي يَدِهِ رُقْعَةٌ فِيهَا شِعْرٌ  
يَقْضِي رِثَاءَ الْبَرَامِكَةِ وَهُوَ بِشِدَّةٍ وَيَبْكِي . فَأَخَذَهُ الْحُرَمُ وَأَتَى بِهِ إِلَى  
الرَّشِيدِ وَقَصَّ عَلَيْهِ الصُّورَةَ . فَاسْتَحْضَرَ الرَّشِيدُ وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ .  
فَاعْتَرَفَ بِهِ . فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : أَمَا سَمِعْتَ تَحْرِيمِي لِرِثَائِهِمْ . لَأَفْعَلَنَّ بِكَ  
وَلَأَصْنَعَنَّ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَذِنْتَ لِي فِي حِكَايَةِ حَالِي حَكَايَتَهَا

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْتَ وَرَأَيْكَ. قَالَ قُلْ. قَالَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ أَصْغَرِ كُتَّابِ  
يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ وَلَمْ أَفْقِهْ حَالًا. فَقَالَ لِي يَوْمًا: أُرِيدُ أَنْ تُضَيِّفَنِي فِي دَارِكَ  
يَوْمًا فَقُلْتُ: يَا مَوْلَانَا أَنَا حُونَ ذَلِكَ وَدَارِي لَا تَصْلُحُ لِهَذَا. قَالَ: لَا بُدَّ مِنْ  
ذَلِكَ. قُلْتُ: فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَأَمْلِي مِدَّةً حَتَّى أَصْلِحَ شَأْنِي وَمَتِّرِي. ثُمَّ بَعْدَ  
ذَلِكَ أَنْتَ وَرَأَيْكَ. قَالَ: كَمْ أَتَمَّلْتُكَ. قُلْتُ سَنَةً. قَالَ كَثِيرٌ. قُلْتُ فَشُهورًا.  
قَالَ نَعَمْ. فَهَضَبْتُ وَشَرَعْتُ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْزِلِ وَتَهْيِئَةِ أَسْبَابِ الدَّعْوَةِ.  
فَلَمَّا تَهَيَّأَتِ الْأَسْبَابُ أَتَمَّلْتُ الْوَزِيرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: نَحْنُ غَدَا عِنْدَكَ.  
فَهَضَبْتُ وَتَهَيَّأْتُ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ. فَحَضَرَ الْوَزِيرُ فِي  
غَدَا وَمَعَهُ ابْنَاهُ جَعْفَرٌ وَالْفَضْلُ وَعِدَّةٌ يَسِيرَةٌ مِنْ خَوَاصِّ أَتْبَاعِهِ. فَتَلَّ  
عَنْ دَائِيهِ وَنَزَلَ وَلَدَاهُ جَعْفَرٌ وَالْفَضْلُ وَمَنْ مَعَهُ وَقَالَ: يَا فُلَانُ أَنَا جَائِعٌ  
فَعِجِّلْ لِي بِشَيْءٍ. فَقَالَ لِي الْفَضْلُ ابْنُهُ: الْوَزِيرُ يُحِبُّ الْفَرَارِجَ الْمَشْوِيَّةَ.  
فَعِجِّلْ مِنْهَا مَا حَضَرَ. فَدَخَلْتُ وَأَحْضَرْتُ شَيْئًا. فَأَكَلَ الْوَزِيرُ ثُمَّ قَامَ  
يَتَمَشَّى فِي الدَّارِ وَقَالَ: يَا فُلَانُ قَرِّجْنَا فِي دَارِكَ. قُلْتُ: يَا مَوْلَانَا هَذِهِ فِي  
دَارِي لَيْسَ لِي غَيْرُهَا. قَالَ بَلَى لَكَ غَيْرُهَا. قُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ سِوَاهَا.  
قَالَ: هَاتُوا بَنَاءً. فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ: أَفْتَحْ فِي هَذَا التَّحَاطُطِ بَابًا. فَهَضَى  
لِيَفْتَحَ. قُلْتُ: يَا مَوْلَانَا كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَفْتَحَ بَابٌ إِلَى بُيُوتِ النُّجَبَرَانِ وَاللَّهِ  
أَوْصَى بِحِفْظِ التُّجَارِ. قَالَ: لَا بَأْسَ فِي ذَلِكَ ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ. فَتَقَامَ الْوَزِيرُ  
وَأَتَانِي فَقَدْ خَلُوا فِيهِ وَأَنَا مَعَهُمْ فَخَرَجَ مِنْهُ إِلَى بُسْتَانٍ حَسَنِ كَثِيرِ الْأَشْجَارِ  
وَالْمَاءِ يَدْفُقُ فِيهِ وَبِهِ مِنَ الْمُنَاصِيرِ وَالْمَسَاكِينِ مَا يَرُوفُ كُلُّ نَاطِلٍ وَفِيهِ مِنَ  
الْأَلَاتِ وَالْفُرُشِ وَالْمُتَخَدِّمِ وَالْمُجَوَّارِي كُلُّ جَمِيلٍ بِدِيعٍ فَقَالَ: هَذَا الْمَنْزِلُ



وَجَمِيعُ مَا فِيهِ لَكَ . فَتَقَبَّلْتُ يَدَهُ وَدَعَوْتُ لَهُ وَتَحَقَّقْتُ الْقِصَّةَ . فَإِذَا هُوَ مِنْ  
يَوْمٍ حَادَثَنِي فِي مَعْنَى الدَّعْوَةِ . قَدْ أَرْسَلَ وَأَشْتَرَى الْأَمْلاكَ الْجَاوِرَةَ  
لِي . وَغَيْرَهَا دَارًا حَسَنَةً وَنَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ وَكُنْتُ أَرَى  
الْعِبَارَةَ وَأَحْسِبُهَا لِبَعْضِ النُّجَبَرَانِ . فَقَالَ لِأَبْنِهِ جَعْفَرٍ : يَا بُنَيَّ هَذَا مِثْلُ  
وَعِيَالٍ . فَأَلَمَّا دَخَلَ مِنْ أَتَمَّنْ تَكُونُ لَهُ . قَالَ جَعْفَرٌ : قَدْ أَعْطَيْتُهُ الضَّبْعَةَ الْفَلَانِيَّةَ  
بِمَا فِيهَا وَمَا كُتِبَ لَهُ بِذَلِكَ كِتَابًا . فَالْتَمَسْتُ إِلَى أَبْنِيهِ الْفَضْلِ وَقَالَ لَهُ :  
يَا بُنَيَّ . فَمِنْ الْآنِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ دَخَلَ هَذِهِ الضَّبْعَةُ مَا الذِّبْ يَنْفِقُ . فَقَالَ  
الْفَضْلُ : عَلَيَّ عَشْرَةُ آلَافٍ دِينَارٍ أَحْمِلُهَا إِلَيْهِ . فَقَالَ : فَجِئْنَا لَهُ مَا قُلْنَا .  
فَكَتَبَ لِي جَعْفَرٌ بِالضَّبْعَةِ . وَحَمَلَ الْفَضْلُ إِلَى الْمَالِ فَأَثَرَيْتُ وَلَزَقْتُ  
حَالِي وَكَسَبْتُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَهُ مَا لَا طَائِلَ أَنَا أَتَقَلَّبُ فِيهِ إِلَى الْيَوْمِ . فَوَاللَّهِ  
بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَجِدُ فُرْصَةً أَتِمَّ كُنْ فِيهَا مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمُ وَالِدُعَاءِ  
لَهُمْ إِلَّا أَنْتَهَزْتُمَا مَكَافَاةً لَهُمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ وَلَنْ أَقْدِرَ عَلَى مِثْلِهِ . فَإِنْ كُنْتُ  
فَانِي عَلَى ذَلِكَ . فَأَفْعَلُ مَا بَدَأَ لَكَ . فَرَفَّقَ الرَّشِيدُ لِذَلِكَ وَأَطْلَعَهُ وَأَذِنَ  
لِجَمِيعِ النَّاسِ فِي رِثَائِهِمْ

فَقِيلَ إِنَّ هُرُونَ الرَّشِيدَ حَجَّ . وَمَعَهُ بَيْحِيُّ بْنُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ . وَمَعَهُ وَلَدَاهُ  
الْفَضْلُ وَجَعْفَرٌ . فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ جَلَسَ الرَّشِيدُ وَمَعَهُ بَيْحِيُّ . فَأَعْطَا  
النَّاسَ . وَجَلَسَ الْأَمِينُ وَمَعَهُ الْفَضْلُ بْنُ بَيْحِي فَأَعْطَا النَّاسَ . وَجَلَسَ  
الْهَامُونُ وَمَعَهُ جَعْفَرٌ فَأَعْطَا النَّاسَ . فَأَعْطَوْا فِي تِلْكَ السَّنَةِ ثَلَاثَ  
أَعْطِيَّاتٍ ضَرِبَتْ بِكَثَرَتِهَا الْأَمْثَالُ . وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ عَامَ الْأَعْطِيَّاتِ الثَّلَاثِ  
وَأَثَرَى النَّاسُ بِسَبَبِ ذَلِكَ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ

أَنَا بَنُو الْأَمْوَالِ مِنْ آلِ بَرْمَلِكٍ      فَيَاطِيبَ أَخْبَارٍ وَيَا حُسْنَ مَنْظَرٍ  
لَمْ رِحْلَةً فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى الْعِدَّةِ      وَآخَرَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَبِيِّ الْبُسْتَرِ  
إِذَا تَزَلُّوا بَطْحَةً مَكَّةَ أَشْرَقَتْ      بِحَبِيٍّ وَبِالْفَضْلِ بْنِ بَحِيٍّ وَجَعْفَرِ  
فَتُظْلِمُ بَعْدًا وَتَجْلُو لَنَا الدَّجَى      بِمَكَّةَ مَا تَعْمُو ثَلَاثَةَ أَفْهَرِ  
فَمَا خِلْتِ إِلَّا لِيُجُودِ أَكُنْهُمْ      وَأَقْدَامُهُمْ لَا لِأَعْوَادِ مَنِيرِ  
إِذَا رَاضَ بِحَبِيٍّ الْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ      وَنَاهِيكَ مِنْ رَاحٍ لَهُ وَمُدِيرِ  
كَانَ بِحَبِيٍّ يَقُولُ: مَا خَاطَبَنِي أَحَدٌ إِلَّا هَيْئَةً      حَتَّى يَنْكَلِمَ. فَإِذَا نَكَلِمَ كَانَ  
بَيْنَ اثْنَيْنِ. إِمَّا أَنْ تَزِيدَ هَيْئَتَهُ أَوْ تَصْغِلَ.      وَكَانَ يَقُولُ: الْمَوَاعِيدُ شِبَاكُ  
الْكَرَامِ يَصِيدُونَ بِهَا تَحَامِيدَ الْأَحْرَارِ.      كَانَ بِحَبِيٍّ إِذَا رَكِبَ يُعَدُّ صُرَرًا فِي  
كُلِّ صَرْعٍ مَشَا دِرْهَمٍ يَدْفَعُهَا إِلَى الْمُتَعَرِّضِينَ لَهُ  
سِبْرَةً وَلِلَّهِ الْفَضْلُ بْنُ بَحِيٍّ

كَانَ الْفَضْلُ مِنْ كِرَامِ الدُّنْيَا وَأَجْوَادِ أَهْلِ عَصْرِهِ.      وَكَانَ قَدْ أَرْضَعَتْهُ  
أُمُّ هُرُونِ الرَّشِيدِ. وَأَرْضَعَتْ أُمُّهُ الرَّشِيدَ.      وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مَرْوَانُ بْنُ  
أَبِي حَفْصَةَ

كَفَى لَكَ فَخْرًا أَنْ أَكْرَمَ حُرْفُ      عَذَّتْكَ بِذِيهِ وَالْمُخْلِيفَةُ وَاحِدِ  
لَقَدْ رِئْتَ بِحَبِيٍّ فِي الْمَشَاهِدِ كُلِّهَا      كَأَزَانَ بِحَبِيٍّ خَالِدًا فِي الْمَشَاهِدِ  
وَلَاهُ الرَّشِيدُ خُرَاسَانَ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو الْأَمَلِ الشَّاعِرُ مَا دِحَا مُعْتَذِرًا  
مِنْ شِعْرِ كَانَ هَجَاهُ بِهِ فَأَنشَدَ

مَرَى نَحْوَهُ مِنْ غَضَبَةِ الْفَضْلِ عَارِضٌ      لَهُ لُجَّةٌ فِيهَا الْبَوَارِقُ وَالرَّعْدُ  
وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مُلْفٍ فِرَاشُهُ      عَلَى مَذْرَجِ بَعْدَاةِ الْأَسَدِ الْوَرْدُ



وَمَا لِي إِلَى الْفَضْلِ بْنِ بَجِيٍّ بْنِ خَالِدٍ مِنَ الْجَزْمِ مَا يُخْشَى عَلَى مِثْلِهِ أَنْ يَحْتَدُ  
فَجَدَ بِالرَّضَى لَا أَتَّبِعِي مِنْكَ غَيْرَهُ وَرَأَيْكَ فِيمَا كُنْتَ عَوِّدْتَنِي بَعْدُ  
فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : لَا أَخْبِيلُ تَفْرِيقَكَ بَيْنَ رِضَابِي وَاحْسَانِي . وَهَذَا  
مَقْرُونَانِ فَإِنْ أَرَدْتُمَا مَعًا وَإِلَّا فَدَعُمَا مَعًا . ثُمَّ وَصَلَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ  
حَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ قَدَرِيثُ جَارِيَّةً وَتَقَفْتُهَا  
وَعَلَّمْتُهَا حَتَّى بَرَعَتْ . ثُمَّ أَهْدَيْتُهَا إِلَى الْفَضْلِ بْنِ بَجِيٍّ . فَقَالَ لِي يَا إِسْحَاقُ .  
إِنَّ رَسُولَ صَاحِبِ مِصْرَ قَدْ وَرَدَ إِلَيَّ يَسْأَلُنِي حَاجَةً أَقْتَرِحُهَا عَلَيْكَ .  
فَدَعُ هَذِهِ التَّجَارِيَّةَ عِنْدَكَ فَإِنِّي سَأَطْلُبُهَا وَأُعْلِمُهُ أَنِّي أُرِيدُهَا . فَإِنَّهُ سَوَفَ  
يَحْضُرُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ فِيهَا . فَلَا تَأْخُذْ فِيهَا أَقْلَ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .  
قَالَ إِسْحَاقُ : فَهَضَبْتُ بِالتَّجَارِيَّةِ إِلَى مَتْرِي . فَجَاءَ إِلَيَّ رَسُولُ صَاحِبِ  
مِصْرَ وَسَأَلَنِي عَنِ التَّجَارِيَّةِ فَأَخْرَجْتُهَا إِلَيْهِ . فَبَدَلَ فِيهَا عَشْرَةَ أَلْفِ  
دِينَارٍ فَأَمْتَنَعْتُ . فَصَعِدَ إِلَى عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَمْتَنَعْتُ . فَصَعِدَ  
إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا فَأَمْلَكْتُ نَفْسِي حَتَّى قُلْتُ لَهُ بِعْتُكَ . وَسَلَّمْتُ التَّجَارِيَّةَ  
إِلَيْهِ وَقَبَضْتُ مِنْهُ أَلْفًا . ثُمَّ إِنِّي أَتَيْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ بَجِيٍّ فَقَالَ :  
يَا إِسْحَاقُ بِكُمُ بَعْتُ التَّجَارِيَّةَ . قُلْتُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ  
لَا تَأْخُذْ مِنْهُ أَقْلَ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا . قُلْتُ فَيَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي وَاللَّهِ مَا مَلَكْتُ  
نَفْسِي مُنْذُ سَمِعْتُ لَفْظَةَ ثَلَاثِينَ . فَخَبَسَ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ صَاحِبِ  
الرُّومِ قَدْ سَأَلَنِي أَيْضًا حَاجَةً وَسَأَقْتَرِحُ عَلَيْكَ هَذِهِ التَّجَارِيَّةَ وَأَدُلُّهُ عَلَيْكَ  
فَخُذْ جَارِيَّتَكَ وَانْصَرِفْ إِلَى مَتْرِكَ . فَإِذَا سَأَلَكَ فِيهَا فَلَا تَأْخُذْ مِنْهُ  
أَقْلَ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ

فَأَخَذْتُ التِّجَارِيَّةَ وَانصَرَفْتُ إِلَى مَتْرِي . فَأَتَانِي رَسُولُ صَاحِبِ الرُّومِ  
وَسَاوَمَنِي فِي التِّجَارِيَّةِ . فَطَلَبْتُ خَمْسِينَ أَلْفًا فَقَالَ : هَذَا كَثِيرٌ وَلَكِنْ  
تَأْخُذُ مِنِّي ثَلَاثِينَ أَلْفًا : فَوَاللَّهِ مَا مَلَكَتُ نَفْسِي مُنْذُ سَمِعْتُ لَفْظَةَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا  
حَتَّى قُلْتُ لَهُ . بِعْنَكَ . ثُمَّ قَبَضْتُ الْمَالَ مِنْهُ وَسَلَّمْتُ التِّجَارِيَّةَ إِلَيْهِ .  
وَمَضَيْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ وَبِكَمْ بَعْتَ  
التِّجَارِيَّةَ بِالْإِسْخَقِ . قُلْتُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا . قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَوْصَيْتَكَ أَنْ  
لَا تَأْخُذَ فِيهَا أَقْلَ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا . قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَهَا  
سَمِعْتُ قَوْلَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا اسْتَرْخَتْ جَمِيعُ أَعْضَائِي . فَضَحِكَ وَقَالَ : خُذْ  
جَارِيَتَكَ وَادْهَبْ إِلَى مَتْرِكَ . فَبِى غَدِ يَحْيَى إِلَيْكَ رَسُولُ صَاحِبِ  
خُرَاسَانَ . فَفَوِّ نَفْسَكَ وَلَا تَأْخُذْ مِنْهُ أَقْلَ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا . قَالَ الْإِسْخَقُ :  
فَأَخَذْتُ التِّجَارِيَّةَ وَمَضَيْتُ إِلَى مَتْرِي . فَجَاءَنِي رَسُولُ صَاحِبِ خُرَاسَانَ  
وَسَاوَمَنِي فِيهَا . فَطَلَبْتُ خَمْسِينَ أَلْفًا فَقَالَ لِي : هَذَا كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَأْخُذُ  
ثَلَاثِينَ أَلْفًا . فَفَوِّتْ نَفْسِي وَامْتَنِعْ . فَصَعِدَ مَعِيَ إِلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ  
دِينَارٍ . فَكَادَ عَنِّي يَذْهَبُ مِنَ الْفَرَحِ . وَلَمْ أَتَبَالَكْ أَنْ أَقُولَ لَهُ بِعْنَكَ :  
فَأَحْضَرَ الْمَالَ وَأَقْبَضْنِيهِ وَسَلَّمْتُ التِّجَارِيَّةَ إِلَيْهِ . وَمَضَيْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى  
الْفَضْلِ فَقَالَ لِي : بِكَمْ بَعْتَ التِّجَارِيَّةَ : قُلْتُ : بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا . وَاللَّهِ لَهَا  
سَمِعْتُهَا مِنْهُ كَادَ عَنِّي يَذْهَبُ . وَقَدْ حَصَلَ عِنْدِي جُعِلْتُ فِدَاكَ مِنْهُ  
أَلْفَ دِينَارٍ . وَلَمْ يَنْفَ لِي أَمَلٌ . فَأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ . فَأَمَرَ بِالتِّجَارِيَّةِ  
فَأُخْرِجَتْ إِلَيَّ وَقَالَ : بِالْإِسْخَقِ خُذْ جَارِيَتَكَ وَانصَرِفْ . قَالَ الْإِسْخَقُ :  
قُلْتُ هَذِهِ التِّجَارِيَّةُ وَاللَّهِ أَعْظَمُ النَّاسِ بَرَكَهَ فَأَعْنَفْتُهَا وَتَزَوَّجْتُهَا فَوَلَدَتْ



## في أولادي

فيل إنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ ابْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
 الْعَبَّاسِ حَضَرَ يَوْمًا عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَمَعَهُ سَفَطٌ فِيهِ جَوْهَرٌ وَقَالَ  
 لَهُ: إِنَّ حَاصِلِي قَدْ قَصَرَ عَمَّا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ. وَقَدْ عَلَانِي دَيْنٌ مَبْلَغُهُ أَلْفُ  
 أَلْفِ دِرْهَمٍ وَإِنِّي أَسْخِي أَنْ أَعْلِمَ أَحَدًا بِذَلِكَ وَأَنْتُ أَنْ أَسْأَلَ أَحَدًا مِنْ  
 التُّجَّارِ أَنْ يُقْرِضَنِي ذَلِكَ. وَلَئِنْ كَانَتْ مَعِيَ رَهْنٌ بِنَفْسِي بِالْفَيْسَةِ. وَأَنْتَ  
 أَبْنَاكَ اللَّهُ لَكَ تُّجَّارٌ يُعَامِلُونَكَ. وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تُقْرِضَ لِي مِنْ أَحَدِهِمْ  
 هَذَا الْمَبْلَغَ وَتُعْطِيَهُ هَذَا الرَّهْنَ: فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَلَكِنْ  
 تُحْجِ هَذِهِ الْحَاجَةَ أَنْ تُقِيمَ عِنْدِي هَذَا الْيَوْمَ. فَأَقَامَ عِنْدَهُ. ثُمَّ إِنَّ الْفَضْلَ  
 أَخَذَ السَّفَطَ مِنْهُ وَهُوَ مَخْنُومٌ بِخَنْبِهِ. وَأَرْسَلَ مَعَهُ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَنَفَذَ  
 الدَّرَاهِمَ وَالسَّفَطَ إِلَى مَتْرِلِهِ وَأَخَذَ خَطَّ وَكِيلِهِ يَقْبِضُهُ. فَأَقَامَ مُحَمَّدٌ فِي  
 دَارِ الْفَضْلِ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ. ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى دَارِهِ فَوَجَدَ السَّفَطَ وَمَعَهُ  
 أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَسُرَّ بِذَلِكَ سُورًا عَظِيمًا. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ بَكَرَ  
 إِلَى الْفَضْلِ لِشُكْرِهِ عَلَى ذَلِكَ. فَوَجَدَهُ قَدْ بَكَرَ إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ. فَهَضَى  
 مُحَمَّدٌ إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ. فَلَمَّا عَلِمَ الْفَضْلُ بِهِ خَرَجَ مِنْ بَابِ آخَرٍ وَمَضَى إِلَى  
 دَارِ أَبِيهِ. فَهَضَى مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ. فَحِينَ عَلِمَ بِهِ خَرَجَ بِبَابِ آخَرٍ وَمَضَى إِلَى  
 مَتْرِلِهِ. فَهَضَى مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ وَاجْتَمَعَ بِهِ وَشَكَرَهُ عَلَى فِعْلِهِ وَقَالَ: إِنِّي بَكَرْتُ  
 إِلَيْكَ لِأَشْكُرَكَ عَلَى إِحْسَانِكَ: فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: إِنِّي فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكَ  
 فَرَأَيْتُ أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَ أَلْفًا الَّتِي حَمَلْتَهَا أَمْسَ إِلَيْكَ تُقْضِي بِهَا دَيْنَكَ.  
 ثُمَّ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَتَقْرِضُ. فَبَعْدَ قَلِيلٍ بَعَلُوكَ مِنْهَا. فَبَكَرْتُ الْيَوْمَ إِلَى

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَالَكَ وَأَخَذْتُ لَكَ مِنْهُ أَلْفَ أَلْفِ  
 دِرْهَمٍ أُخْرَى. فَلَمَّا حَضَرَتْ إِلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَرَجْتُ أَنَا بِبَابٍ  
 آخَرَ وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ لَهَا حَضَرَتْ إِلَى بَابِ أَبِي لَآئِي مَا كُنْتُ أَوْثَرُ أَنْ  
 أَلْفَاكَ حَتَّى يُجْهَلَ أَمَالُ إِلَى مَتْرِكَكَ وَقَدْ حُمِلَ: فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: يَا أَبِي قَتِيلُ  
 أَجَارِيكَ عَلَى هَذَا الْإِحْسَانِ مَا عِنْدِي نَيْيَّةُ أَجَارِيكَ بِهِ إِلَّا أَنِّي أَلْتَزِمُ  
 بِالْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ وَالطَّلَاقِ وَالْعَنَاقِ وَأُتَمِّجُ أَنِّي مَا أَقِفُ عَلَى بَابِ غَيْرِكَ  
 وَلَا أَسْأَلُ سِوَاكَ: قَالُوا: وَحَلَفَ مُحَمَّدٌ أَيْمَانًا مُؤَكَّدَةً وَكَتَبَ بِهَا خَطَّهُ  
 وَأَشْهَدَ بِهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَقِفُ بِبَابِ غَيْرِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى. فَلَمَّا ذَهَبَتْ حَوْلَةُ  
 الْبَرَامِكَةِ وَتَوَلَّى الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ الْوِزَارَةَ بَعْدَهُمْ أَحْتَاجَ مُحَمَّدٌ فَقَالُوا  
 لَهُ: لَوْ رَكِبْتَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّيِّعِ... فَلَمْ يَفْعَلْ وَالتَزَمَ بِالْبَيْتِ فَقَامَ  
 يَرْكَبُ إِلَى أَحَدٍ وَلَمْ يَقِفْ عَلَى بَابِ أَحَدٍ حَتَّى مَاتَ

سَيِّدُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبَرَمَكِيُّ

كَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فَصِيحًا لَيِّبًا ذَكِيًّا فَطِنًا كَرِيمًا حَلِيمًا. وَكَانَ الرَّشِيدُ  
 يَأْتِسُ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ أَنَسِهِ بِأَخِيهِ الْفَضْلِ لِسُهُولَةِ أَخْلَاقِ جَعْفَرٍ وَشَرَاسَةِ  
 أَخْلَاقِ الْفَضْلِ. قَالَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لِيَحْيَى: يَا أَبِي مَا بَالُ النَّاسِ يُعَدُّونَ  
 الْفَضْلَ الْوَزِيرَ الصَّغِيرَ وَلَا يُسَمُّونَ جَعْفَرًا بِذَلِكَ: فَقَالَ يَحْيَى: لِأَنَّ الْفَضْلَ  
 يُخْلِفُنِي. قَالَ: فَضُمَّ إِلَى جَعْفَرٍ أَعْمَالًا كَأَعْمَالِ الْفَضْلِ. فَقَالَ يَحْيَى: إِنْ  
 خِدَمْتُكَ وَمَنَادَمْتُكَ تَشْغَلَانِي عَنْ ذَلِكَ. فَجَعَلَ إِلَيْهِ أَمْرَ حَارِ الرَّشِيدِ.  
 وَسَمَّى بِالْوَزِيرِ الصَّغِيرِ أَيْضًا

قَالَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لِيَحْيَى: قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَتَقَلَ دِيَوَانَ الْخَازِنَةِ مِنَ الْفَضْلِ



إِلَى جَعْفَرٍ. وَقَدْ اسْتَحْبَبْتُ مِنْ مَكَاتِبِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى فَأَكْتُبُ أَنْتَ إِلَيْهِ.  
فَكُتِبَ بِحُجَّتِي إِلَى الْفَضْلِ: قَدْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى اللَّهِ أَمْرٌ أَنْ يُحَوَّلَ  
الْحُجَّاتُ مِنْ يَمِينِكَ إِلَى شِمَالِكَ. فَأَجَابَهُ الْفَضْلُ: قَدْ سَمِعْتُ لِمَا أَمَرَ بِهِ أَمِيرُ  
الْمُؤْمِنِينَ فِي أَخِي وَمَا اسْتَفَلَّتْ عَنِّي نِعْمَةٌ صَارَتْ إِلَيْهِ وَلَا غَرَبَتْ عَنِّي  
رُبَّةٌ طَلَعَتْ عَلَيْهِ. فَقَالَ جَعْفَرٌ: اللَّهُ دَرُّ أَخِي مَا أَكْبَسَ نَفْسَهُ وَأَظْهَرَ  
دَلَائِلَ الْفَضْلِ عَلَيْهِ وَأَقْوَى مِنْهُ الْعَقْلَ عِنْدَهُ وَأَوْسَعَ فِي الْبَلَاغَةِ ذُرْعَهُ  
فَقِيلَ إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ بَحْجَى الْبَرْكِي. جَلَسَ يَوْمًا لِلشَّرْبِ وَأَحَبَّ الْخُلُوعَ.  
فَأَحْضَرَ نَدَمَاءَهُ الَّذِينَ يَأْتِسُ بِهِمْ. وَجَلَسَ مَعَهُمْ وَقَدْ هَيَّيَ الْمَجْلِسُ وَلَبِسُوا  
الْأَبْيَاقَ الْهَبْصَةَ وَكَانُوا إِذَا جَلَسُوا فِي مَجْلِسِ الشَّرَابِ وَاللَّهْوِ لَبِسُوا الثِّيَابَ  
الْحُمْرَ وَالصُّفْرَ وَالْخَضَرَ. ثُمَّ إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ بَحْجَى تَقَدَّمَ إِلَى الْحَاجِبِ أَنْ  
لَا يَأْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى سِوَى رَجُلٍ مِنَ النَّدَمَاءِ كَانَ قَدْ  
تَأَخَّرَ عَنْهُمْ أَسْمُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ. ثُمَّ جَلَسُوا يَشْرَبُونَ. وَكَارَبَ  
الْكَلَّاسَاتُ. وَخَفَّتِ الْعِيدَانُ. وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ أَقَارِبِ الْخُلَيفَةِ يُقَالُ لَهُ  
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ. وَكَانَ شَدِيدَ  
الْوَقَارِ وَالذُّمِّ وَالنَّحْشَةِ. وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدْ أَلْبَسَ مِنْهُ أَنْ يُنَادِمَهُ  
وَيَشْرَبَ مَعَهُ وَبَدَّلَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ أَمْوَالًا جَلِيلَةً فَلَمْ يَفْعَلْ. فَأَتَفَقَ أَنْ هَذَا  
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ حَضَرَ إِلَى بَابِ جَعْفَرَ بْنِ بَحْجَى لِيُخَاطِبَهُ فِي حَوَائِجِ  
لَهُ. فَظَنَّ الْحَاجِبُ أَنَّهُ هُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ الَّذِي تَقَدَّمَ جَعْفَرُ بْنُ  
بَحْجَى بِالْإِذْنِ لَهُ وَأَنْ لَا يُدْخَلَ غَيْرُهُ. فَأَذِنَ الْحَاجِبُ لَهُ. فَدَخَلَ عَبْدُ  
الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ الْعَبَّاسِيُّ عَلَى جَعْفَرَ بْنِ بَحْجَى. فَلَمَّا رَأَى جَعْفَرٌ كَادَ عَقْلُهُ

يَذْهَبُ مِنَ الْحَيَاةِ وَقَطَنَ أَنَّ الْقَضِيَّةَ قَدْ اسْتَبْهَتْ عَلَى الْحَاجِبِ بِطَرِيفِ  
 أَشْنِيَاءِ الْإِسْمِ. وَقَطَنَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ أَيْضًا لِلْقِصَّةِ وَظَهَرَ لَهُ  
 أَنْجَلُ فِي رَجُلٍ جَعْفَرِ بْنِ بَيْحَى. فَأَنْبَسَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ: لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ  
 أَحْضِرُوا لَنَا مِنْ هَذِهِ الثِّيَابِ الْبَصْبَغَةَ شَيْئًا. فَأَحْضَرَ لَهُ قَيْصٌ مَصْبُوغٌ  
 فَلَبِسهَ وَجَلَسَ يَبَاسِطُ جَعْفَرِ بْنِ بَيْحَى وَهُمَا رَحُهُ وَقَالَ: اسْتَفُونَا مِنْ شَرَابِكُمْ  
 فَسْتَوْهُ رِطْلًا وَقَالَ: أَرْفُقُوا بِنَا فَلَيْسَ لَنَا عَادَةٌ بِهَذَا. ثُمَّ بَاسَطَهُمْ وَمَا زَحَمُ  
 وَمَا زَالَ حَتَّى أَنْبَسَ جَعْفَرُ بْنُ بَيْحَى وَزَالَ أَتْبَاعُهُ وَحَيَاتُهُ. فَفَرَحَ جَعْفَرُ  
 بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ لَهُ: مَا حَاجُكَ. قَالَ جِئْتُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ فِي  
 ثَلَاثِ حَوَاجٍ. أُرِيدُ أَنْ تُخَاطِبَ الْخَلِيفَةَ فِيهَا. أَوَّلُهَا أَنْ عَلَيَّ دَيْنًا مَبْلَغُهُ  
 أَلْفُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ أُرِيدُ قَضَاءَهُ. ثَانِيهَا أُرِيدُ وَلَايَةً لِأَنِّي بِشَرَفٍ بِهَا  
 قَدْرَةٌ. وَثَالِثُهَا أُرِيدُ أَنْ تُزَوِّجَ وَلَدِي بِابْنَةِ الْخَلِيفَةِ فَإِنَّهَا بِنْتُ عَمِي وَهُوَ  
 كُفُوٌّ لَهَا. فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ بَيْحَى: قَدْ قَضَى اللَّهُ هَذِهِ الْحَوَاجَّ الثَّلَاثَ. أَمَّا  
 أَمَّا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ يُجْعَلُ إِلَيَّ مَتْرِكَ. وَأَمَّا الْوَلَايَةُ فَقَدْ وَلَيْتُ أَبْنَكَ  
 مِصْرَ. وَأَمَّا الزَّوْجُ فَقَدْ زَوَّجْتُهُ فُلَانَةَ ابْنَةَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى  
 صِدَاقٍ مَبْلَغُهُ كَذَا وَكَذَا. فَأَنْصَرِفَ فِي أَمَانِ اللَّهِ. فَرَاجَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى  
 مَتْرَلِهِ. فَرَأَى أَمَّا قَدْ سَبَقَهُ. وَلَهَا كَانَ مِنَ الْغَدِ حَضَرَ جَعْفَرُ عِنْدَ  
 الرَّشِيدِ وَعَرَفَهُ مَا جَرَى وَأَنَّهُ قَدْ زَوَّاهُ مِصْرَ وَزَوْجَهُ ابْنَتَهُ. فَعَجِبَ الرَّشِيدُ مِنْ  
 ذَلِكَ وَأَمَضَى الْعِنْدَ وَالْوَلَايَةَ. فَأَخْرَجَ جَعْفَرُ بْنُ حَارِ الرَّشِيدِ حَتَّى كَتَبَ  
 لَهُ التَّقْلِيدَ بِمِصْرَ وَأَحْضَرَ الْقَضَاةَ وَالشُّهُدَاةَ وَعِنْدَ الْعِنْدِ

وَقِيلَ إِنَّ جَعْفَرُ بْنُ بَيْحَى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِ مِصْرَ عِدَاوَةٌ وَوَحْشَةٌ



الدُّنْيَا. أَمَارَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَجْرَافِ قَوْلِهِمْ  
 حَدَّثَ بَخْبِشُوعُ الطَّيِّبُ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي  
 قَصْرِ الْمُخَلَّدِ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ. وَكَانَ الْبَرَامِكَةُ يَسْكُونُونَ بِحِذَائِهِ مِنْ أَجْزَائِهِ  
 الْآخَرِ وَيَسْتَمِعُونَ وَبَيْنَهُ عَرَضٌ دِجْلَةٌ. قَالَ: فَنَظَرَ الرَّشِيدُ فَرَأَاهُ أَعْرَاكَ  
 الْخَبُولِ وَازْدِحَامِ النَّاسِ عَلَى بَابِ بَيْتِي بْنِ خَالِدٍ فَقَالَ: جَزَى اللَّهُ بَيْتِي  
 خَيْرًا تَصَدَّقَ لِلْأُمُورِ وَلِرَاحِي مِنْ الْكَدِّ وَوَقَرِ أَوْقَانِي عَلَى اللَّذَّةِ. ثُمَّ  
 دَخَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ أَوْفَاتِهِ. وَقَدْ شَرَعَ يَتَغَيَّرُ عَلَيْهِمْ. فَنَظَرَ فَرَأَى الْخَبُولَ كَمَا  
 رَأَاهُ نِلَكَ الْمَنَى. فَقَالَ أَسْنَبَدَ بَيْتِي بِالْأُمُورِ دُونِي. فَأَخْلَافَةُ عَلَى الْحَنِيفَةِ  
 لَهُ وَلَيْسَ لِي مِنْهَا إِلَّا أَسْمَاهَا. قَالَ: فَعَلَيْتُ أَنَّهُ سَيَنْكَبُهُمْ ثُمَّ نَكَبَهُمْ عَنِيبَ ذَلِكَ  
 شَرَحُ السَّبَبِ فِي نَكْبَةِ الْبَرَامِكَةِ وَكَيْفِيَةِ الْحَالِ

فِي ذَلِكَ

اخْتَلَفَ أَصْحَابُ السِّيَرِ وَالْتَوَارِيخِ فِي ذَلِكَ. فَقِيلَ كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ  
 أَنَّ الرَّشِيدَ كَلَّفَ جَعْفَرَ بْنَ بَيْتِي قَتْلَ رَجُلٍ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ. فَخَرَّجَ  
 جَعْفَرٌ مِنْ ذَلِكَ. وَأَطْلَقَ الطَّالِبِيُّ وَسُجِّيَ إِلَى الرَّشِيدِ بِجَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ: مَا  
 فَعَلَ الطَّالِبِيُّ قَالَ: هُوَ فِي الْخَبْسِ. قَالَ الرَّشِيدُ: بِمِجَانِي. فَتَطَنَّ جَعْفَرُ  
 فَقَالَ: لَا وَجْبَانِكَ وَلَكِنْ أَطْلَقْتُهُ لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ مَكْرُوهٌ. فَقَالَ  
 لَهُ الرَّشِيدُ: نَعَمْ مَا فَعَلْتَ. فَلَمَّا قَامَ جَعْفَرُ قَالَ الرَّشِيدُ: قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ  
 أَقْتُلْكَ ثُمَّ نَكَبَهُمْ

وَقِيلَ إِنَّ أَعْدَاءَ الْبَرَامِكَةِ بِمِثْلِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّيْعِ. مَا زَالُوا يَسْعَوْنَ  
 بِهِمْ إِلَى الرَّشِيدِ وَيَذْكُرُونَ لَهُ أَسْنَبَادَهُمْ بِالْمَلِكِ وَأَخْبَائِهِمْ لِلْأَمْوَالِ

حَتَّى أَوْغَرُوا صَدْرَهُ فَأَوْقَعَ بَيْنَهُمْ  
وَقِيلَ إِنَّ جَعْفَرَ وَالْفَضْلَ ابْنَيْ بَيْحَى ظَهَرَا مِنْ الْإِذْلَالِ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ  
نَفْسُ الْمُلُوكِ. فَكَفَّهِمْ لِذَلِكَ

وَقِيلَ إِنَّ بَيْحَى بْنَ خَالِدِ بْنِ رُحَيْمٍ وَهُوَ بِمَكَّةَ يَطُوفُ حَوْلَ الْبَيْتِ وَيَقُولُ  
اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ رِضَاكَ فِي أَنْ تَسْلُبَنِي أَهْلِي وَمَالِي وَوَلَدِي. فَاسْلُبْنِي إِلَّا الْفَضْلَ  
وَلَدِي. ثُمَّ وَلَّى فَلَمَّا مَشَى قَلِيلًا عَادَ وَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّهُ سَمِعَ بِبَيْحَى أَنْ  
يَسْتَشْفِي عَلَيْكَ اللَّهُمَّ وَالْفَضْلَ. فَكَفَّهِمُ الرَّشِيدُ بَعْدَ قَلِيلٍ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ  
شَرْحُ مَقْتَلِ جَعْفَرِ بْنِ بَيْحَى  
وَالْقُبْضِ عَلَى أَهْلِهِ

كَانَ الرَّشِيدُ قَدْ حَجَّ. فَلَمَّا عَادَ مِنْ الْحَجِّ سَارَ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الْأَنْبَارِ  
فِي السُّفْنِ وَجَعَلَ يَشْرَبُ وَرَكِبَ جَعْفَرُ بْنُ بَيْحَى إِلَى الصِّدْرِ وَجَعَلَ يَشْرَبُ  
نَارَةً وَيَلْهُو أُخْرَى وَتَحَفَّ الرَّشِيدُ وَهَدَا يَأْهُ تَأْنِيهِ وَعِنْدَهُ بَخِيشُوعُ الطَّيِّبُ  
وَأَبُو زَكَرِيَّا الْأَعْمَى بَغْنِيهِ. فَلَمَّا أَظْلَمَ الْمَسَاءُ دَعَا الرَّشِيدُ مَسْرُورًا الْخَادِمَ.  
وَكَانَ مُغَضًّا لَجَعْفَرٍ وَقَالَ: أَذْهَبَ فَيُجْنِي بِرَأْسِ جَعْفَرٍ وَلَا تُرَاجِعْنِي. فَوَافَاهُ  
مَسْرُورٌ بِغَيْرِ إِخْنٍ وَهَمَّ عَلَيْهِ وَأَبُو زَكَرِيَّا بَغْنِيهِ

فَلَا تَبْعُدُ فَكُلُّ فَنَى سَيَانِي عَلَيْهِ الْمَوْتُ يَطْرُقُ أَوْ يُغَادِي  
فَلَمَّا دَخَلَ مَسْرُورٌ قَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ بَيْحَى: لَقَدْ سَرَرْتَنِي بِبَيْحَىكَ  
وَسَوَّيْتَنِي بِدُخُولِكَ عَلَيَّ بِغَيْرِ إِخْنٍ. فَقَالَ الدِّيبُ جِئْتُ بِهِ أَعْظَمُ أَجِبْ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يُرِيدُ بِكَ. فَوَقَعَ عَلَى رِجْلَيْهِ فَسَبَّلَهَا وَقَالَ لَهُ: عَاوِذُ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الشَّرَابَ قَدْ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ: دَعْنِي أَدْخُلُ



دَارِي فَأَوْصِي. فَقَالَ: الدُّخُولُ لَأَسِيلَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا الْوَصِيَّةُ فَأَوْصِي بِهَا  
بَدَا لَكَ فَأَوْصِي. ثُمَّ حَمَلَهُ إِلَى مَتَرِلِ الرَّشِيدِ وَعَدَلَ بِهِ إِلَى قَبْرِهِ وَضَرَبَ  
عُنْتَهُ وَأَكَى بِرَأْسِهِ عَلَى تُرْسٍ إِلَى الرَّشِيدِ وَبَيْدَنِيهِ فِي نَطْعٍ، وَوَجَّهَ الرَّشِيدُ  
فَقَبْضَ عَلَى أَبِيهِ وَأَخَوْتِهِ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحَبَسَهُمْ بِالرَّقَّةِ وَأَسْنَأَصَلَ شَأْفَتَهُمْ.  
وَمِنْ ظَرِيفٍ مَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْعَبْرَانِيُّ الْمُؤَرِّخُ قَالَ: حَدَّثَ  
فُلَانٌ قَالَ: دَخَلْتُ الدِّيَّوَانَ فَنَظَرْتُ فِي بَعْضِ تَذَاكِيرِ النُّوَابِ فَرَأَيْتُ  
فِيهَا أَرْبَعَ مِثَّةِ أَلْفِ دِينَارٍ ثَمَنُ خِلْعَةٍ لَجَعْفَرِ بْنِ بَجِيٍّ الْوَزِيرِ. ثُمَّ دَخَلْتُ  
بَعْدَ أَيَّامٍ فَرَأَيْتُ تَحْتَ ذَلِكَ عَشْرَةَ قَرَارٍ بِطِ ثَمَنُ نَفْطٍ وَبَوَارِي لِإِخْرَاقِ  
جُثَّةِ جَعْفَرِ بْنِ بَجِيٍّ فَجِئْتُ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ اسْتَوَزَرَ الرَّشِيدُ بَعْدَ الْبَرَامِكَةِ  
الْفَضْلَ بْنَ الرَّيِّعِ وَكَانَ حَاجِبَهُ

وَزَارَةُ أَبِي الْعَبَّاسِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّيِّعِ  
فَكَانَ حَاجِبًا لِلْمَنْصُورِ وَالْمُهْدِيِّ وَالْهَادِي وَالرَّشِيدِ. فَلَمَّا نَكَبَ الرَّشِيدُ  
الْبَرَامِكَةَ اسْتَوَزَرَهُ بَعْدَهُمْ. كَانَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ شَهْمًا خَيْرًا بِأَحْوَالِ  
الْمُلُوكِ وَأَكَادِيمِهِمْ. وَلَمَّا وَلِيَ الْوِزَارَةَ تَهَوَّسَ بِالْأَدَبِ وَجَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلَ  
الْعِلْمِ فَحَصَلَ مِنْهُ مَا أَرَادَ فِي مَدْفِ يَسِيرَةٍ. وَكَانَ أَبُو نُوَّاسٍ مِنْ شُعَرَائِهِ  
الْمَنْقُطِعِينَ إِلَيْهِ فَمِنْ شِعْرِ فِي آلِ الرَّيِّعِ

عَبَّاسُ عَبَّاسٍ إِذَا اضْطَرَمَّ الْوَعْيُ وَالْفَضْلُ فَضْلُ وَالرَّيِّعُ رَيْعُ  
وَمَا زَالَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ عَلَى وَزَارَتِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ الرَّشِيدُ بِطُوسَ.  
فَجَمَعَ الْفَضْلُ الْعَسْكَرَ وَمَا فِيهِ وَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ. أَنْتَهَى ذِكْرُ خِلَافَةِ  
هُرُونَ الرَّشِيدِ

## ذِكْرُ خِلَافَةِ أَبِي أَحْمَدَ عَبْدِ اللَّهِ

الْمُسْتَعِصِمِ بِاللَّهِ

بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّينَ هُوَ آخِرُ الْخُلَفَاءِ . كَانَ الْمُسْتَعِصِمُ رَجُلًا خَيْرًا مَدِينًا لَيْنَ الْأَنْجَانِ سَهْلَ الْعَرِيكَ عَفِيفَ اللِّسَانِ وَالْفَرَجِ حَمَلَ الْكِتَابَ وَكَتَبَ خَطًا تَلِيحًا وَكَانَ سَهْلَ الْأَخْلَاقِ وَكَانَ خَفِيفَ الرُّوْطَةِ . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُسْتَضْعَفَ الرَّأْيِ ضَعِيفَ الْبَطْشِ قَلِيلَ الْخَبَرِ بِأُمُورِ الْمَمْلَكَةِ . مَطْبُوعًا فِيهِ غَيْرُ مَهِيْبٍ فِي النُّفُوسِ وَلَا مُطَّلِعٍ عَلَى حَقَائِقِ الْأُمُورِ . وَكَانَ زَمَانُهُ يَنْقُضِي أَكْثَرُ بِسْمَاعِ الْأَغَانِي وَالْفَرَجِ عَلَى الْمَسَاخِرَةِ . وَفِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ يَجْلِسُ بِخِزَانَةِ الْكُتُبِ جُلُوسًا لَيْسَ فِيهِ كَيْدٌ فَائِدَةٌ . وَكَانَ أَصْحَابُهُ مُسْتَوِلِينَ عَلَيْهِ وَكُلُّهُمْ جُهَالٌ مِنْ أَرْذَالِ الْعَوَامِ إِلَّا وَزِيرَهُ مُؤَيَّدَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ الْعَلْفِيِّ . فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَعْيَانِ النَّاسِ وَعُقْلَاءِ الرِّجَالِ . وَكَانَ مَكْنُوفَ الْيَدِ مَرْدُودَ الْقَوْلِ يَتَرَقَّبُ الْعَزْلَ وَالْقَبْضَ

١ الخلفاء هم الذين خلفوا محمد بن عبد الله في الاسلام وتولوا الامر من بعده بن العرب وكان في يدهم امر السياسة والدين معاً . وهم اولاً خلفاء المشرق وكانت دار خلافتهم مكة الى وفاة الامام علي بن ابي طالب . ثم الشام في دولة بني امية . ثم بغداد في دولة بني العباس . وكانت مدتهم جميعاً ٦٣٢ سنة وذلك من سنة ٦٣٦ لهيولاد الى سنة ١٢٥٨ •

ثانياً خلفاء الاندلس واول من ولي الخلافة هناك عبد الرحمن الاموي من ملوك الشام وذلك سنة ٦٥٧ وكانت مدتهم ٢٧٤ سنة اي من التاريخ المذكور الى سنة ١٠٣١ •  
ثالثاً خلفاء مصر وهم الفاطميون واول من ولي الخلافة منهم عبيد الله من سلالة فاطمة بنت محمد وذلك سنة ٩٠٩ واستمرت خلافتهم ٢٦٢ سنة حتى اصبحت سنة ١١٧١ على يد الملك صلاح الدين الايوبي •

وكان تقليد الخلافة في صدر الاسلام بالمباينة الى ان جاء معاوية بن ابي سفيان الأموي في آخر القرن الاول فضع المباينة وقرّر الخلافة في صلوة واستمر الحال على ذلك الى سنة ٩٢٥ حيث خلعهم امير الامراء عن امر السياسة . وفيهت الخلافة متداركة بين العرب الى ظهور السلطان سليم العثماني فاستلم الخلافة من الممولى آخر خلفاء بني العباس وذلك سنة ١٥١٦ فكانت مدة جميعهم ٨٨٠ سنة (تولي)



صَبَاحَ مَسَاءَ . وَكَانَتْ عَادَةُ الْخُلَفَاءِ أَكْثَرُهُمْ أَنْ يَجِيسُوا أَوْلَادَهُمْ وَأَفَارِهِمْ  
وَبِذَلِكَ جَرَتْ سُنَّتُهُمْ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ الْمُسْتَعَصِمِ . فَلَمَّا وَلِيَ الْمُسْتَعَصِمُ  
أَطْلَقَ أَوْلَادَهُ الثَّلَاثَةَ وَلَمْ يَجِيسْهُمْ وَهُمْ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ  
وَالْعَامَةُ تُسَمِّيهِ أَبَا بَكْرٍ لَيْسَ بِصَحِيحٍ وَلِنَا سَمَوْهُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَهَا نُسَبُ الْكَرْخُ  
نُسَبَ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَقِيلَ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي أَشَارَ بِذَلِكَ وَالْأَمِيرُ  
الْأَوْسَطُ وَهُوَ أَبُو الْفَضَائِلِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ كَانَ شَهْبَا خَرَجَ إِلَى يَمَنِ بَدَى  
السُّلْطَانُ هُوَ لَا كُوُوقِعَ كَلَامُهُ بِمَوْضِعِ الْإِسْخَسَانِ فِي الْحَضْرَةِ السُّلْطَانِيَّةِ  
وَالْأَمِيرُ الْأَصْفَرُ أَبُو الْمَنَافِبِ

حَدَّثَنِي صَفِيُّ الدِّينِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ فَاخِرِ الْأَرْمَوِيِّ وَكَانَ قَدْ صَارَ  
فِي آخِرِ أَيَّامِ الْمُسْتَعَصِمِ مُقَرَّبًا عِنْدَهُ وَمِنْ خَوَاصِهِ . وَكَانَ قَدْ اسْتَجَدَّ فِي  
آخِرِ أَيَّامِهِ خِزَانَةَ كُتُبٍ وَتَقَلَّ إِلَيْهَا مِنْ تَفَائِسِ الْكُتُبِ وَسَلَّمَ مَفَاتِيحَهَا  
إِلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ . فَصَارَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ يَجْلِسُ بِيَابِ الْخِزَانَةِ يَنْسَخُ لَهُ مَا  
يُرِيدُ . وَإِذَا خَطَرَ الْخَلِيفَةَ أَتَى الْجُلُوسُ فِي خِزَانَةِ الْكُتُبِ جَاءَ إِلَيْهَا وَعَدَلَ عَنْ  
الْخِزَانَةِ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ مُسَلَّمَةً إِلَى الشَّيْخِ صَدْرِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ النَّبَارِ .  
قَالَ . أَعْنِي عَبْدُ الْمُؤْمِنِ : كُنْتُ مَعَ جَالِسًا فِي حُجْرَةٍ صَغِيرَةٍ وَأَنَا أَنْسَخُ  
وَهُنَاكَ مَرْتَبَةً بِرَسْمِ الْخَلِيفَةِ إِذَا جَاءَ إِلَى هُنَاكَ جَلَسَ عَلَيْهَا . وَقَدْ بَسِطَتْ  
عَلَيْهَا لِحْفَةً لِيَرُدَّ عَنْهَا الْغُبَارُ . فَجَاءَ خُوَيْدِمٌ صَغِيرٌ وَنَامَ قَرِيبًا مِنَ الْمَرْتَبَةِ  
الْمَذْكُورَةِ وَاسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ فَتَقَلَّبَ حَتَّى تَلَفَّتَ فِي ذَلِكَ الْلِحْفَةِ  
الْمَبْسُوطَةِ عَلَى الْمَرْتَبَةِ ثُمَّ تَقَلَّبَ حَتَّى صَارَتْ رِجْلَاهُ عَلَى الْمُسَدِّ . قَالَ وَأَنَا  
مَشْغُولٌ بِالنَّسْخِ فَأَحْسَسْتُ يَوْطَأَ فِي الدِّهْلِيزِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ الْخَلِيفَةُ

وَهُوَ يَسْتَدِينِي بِالْإِشَارَةِ وَيُخَفِّفُ وَطْأَهُ. فَقُمْتُ إِلَيْهِ مُتَرْجِعًا وَقَبِلْتُ  
الْأَرْضَ فَقَالَ لِي: هَذَا الْخَوَيْدِمُ الَّذِي قَدْ نَامَ حَتَّى تَلَفْتَ فِي هَذِهِ الْحِفَّةِ  
وَصَارَتْ رِجْلَاهُ عَلَى الْمَسَدِ مَتَى هَجَبْتُ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَيَعْلَمَ أَنِّي قَدْ  
شَاهَدْتُهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ تَنْفِطِرُ مَرَارَتُهُ مِنَ الْخَوْفِ. فَأَيْقَظُهُ أَنْتَ بِرَفْعِي  
فِيَّ سَاخِرُجٍ إِلَى الْبُسْتَانِ ثُمَّ أَعُوذُ. قَالَ وَخَرَجَ الْخَلِيفَةُ فَدَخَلْتُ إِلَى  
الْخَوَيْدِمِ وَأَيْقَظْتُهُ فَأَتْبَعَهُ ثُمَّ أَصْلَحْنَا الْمَرْبَةَ ثُمَّ دَخَلَ الْخَلِيفَةُ

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ بَغْدَادَ حَدَّثْتُ أَنَّ الشَّيْخَ صَدْرَ الدِّينِ بْنِ النَّبَاسِ  
شَيْخَ الْخَلِيفَةِ قَالَ: دَخَلْتُ مَرَّةً إِلَى خِزَانَةِ الْكُتُبِ عَلَى عَادَتِي وَفِي كُفِّي  
مِنْدِيلٌ فِيهِ رِفَاعٌ كَثِيرٌ لِحَمَاعَةٍ مِنْ أَرْبَابِ الْحَوَائِجِ فَطَرَحْتُ الْمِنْدِيلَ  
وَفِيهِ الرِّفَاعُ فِي مَوْضِعٍ ثُمَّ قُمْتُ لِبَعْضِ شَأْنِي. فَلَمَّا عُدْتُ إِلَى الْخِزَانَةِ  
بَعْدَ سَاعَةٍ حَلَّتْ الرِّفَاعُ مِنَ الْمِنْدِيلِ حَتَّى أَتَانَا مَلَهَا وَأَقْدَمَ مِنْهَا لَهُمْ  
فَرَأَيْنَهَا جَمِيعًا وَعَلَيْهَا تَوْفِيعُ الْخَلِيفَةِ بِالْإِجَابَةِ إِلَى جَمِيعِ مَا فِيهَا. فَعَلِمْتُ  
أَنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْخِزَانَةِ عِنْدَ فَيَاسِي فَرَأَسَ الْمِنْدِيلَ وَفِيهِ الرِّفَاعُ  
فَفَتَحَهَا وَوَقَعَ عَلَى جَمِيعِهَا

وَالْمُسْتَعَصِمُ هُوَ آخِرُ خُلَفَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِبَغْدَادَ وَلَمْ يَخْرُجْ فِي أَيْامِ  
الْمُسْتَعَصِمِ شَيْءٌ يُؤَثِّرُ سِوَى نَهَبِ الْكُرْخِ وَبُشَى الْأَثَرِ ذَلِكَ. وَفِي آخِرِ  
أَيَّامِهِ قَوِيَتْ الْأَرَاجِيفُ بِوُضُولِ عَسْكَرِ الْبَغُولِ صُحْبَةَ السُّلْطَانِ هُوَلَاكُو  
فَلَمْ يُجَرِّكَ ذَلِكَ مِنْهُ عَزْمًا وَلَا نَبَةَ مِنْهُ هَيْبَةً وَلَا أَحَدٌ عِنْدَهُ هِمًّا. وَكَانَ  
كُلُّهَا سَمِعَ عَنِ السُّلْطَانِ مِنَ الْإِحْطِاطِ وَالْإِسْتِعْدَادِ شَيْءٌ ظَهَرَ مِنَ الْخَلِيفَةِ  
نَقِيضُهُ مِنَ التَّنْزِيطِ وَالْإِهْمَالِ. وَلَمْ يَكُنْ يَتَصَوَّرُ حَقِيقَةَ الْحَالِ فِي ذَلِكَ



وَلَا يَعْرِفُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ بِسَرِّ اللَّهِ إِحْسَانَهَا وَأَعْلَى شَأْنِهَا حَقَّ الْمَعْرِفَةِ. وَكَانَ  
 وَزِيرُ مُوَيْدُ الدِّينِ بْنُ الْعَلْفِيِّ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْحَالِ فِي ذَلِكَ وَيَكَانِيهِ  
 بِالْتَّحْنِيرِ وَالتَّنْيِيبِ وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِالتَّبْقِطِ وَالْإِسْتِعْدَادِ وَهُوَ لَا يَزِدَادُ إِلَّا غُفُولًا.  
 وَكَانَ خَوَاصُهُ يُوهِمُونَهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا كِبِيرٌ خَطِرٌ وَلَا هُنَاكَ مَحْذُورٌ وَلَنْ  
 الْوَزِيرُ إِنَّمَا بَعْظُمُ هَذَا لِيَنْفَقَ سُوقُهُ وَلِيَبْرُزَ إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ لِيُجِنِّدَ بِهَا الْعَسَاكِرَ  
 فَيَقْطَعَ مِنْهَا لِنَفْسِهِ. وَمَا زَالَتْ غَفْلَةُ الْخَلِيفَةِ تُشِي وَيَقْطَعُ الْجَانِبِ الْآخِرِ  
 تَضَاعَفُ حَتَّى وَصَلَ الْعَسْكَرُ السُّلْطَانِي إِلَى هَهْدَانِ وَأَقَامَ بِهَا مُدِيَّةً.  
 ثُمَّ تَوَاتَرَتْ الرُّسُلُ السُّلْطَانِيَّةُ إِلَى الدِّيَّانِ الْمُسْتَعَصِمِ فَوَقَعَ التَّعْيِينَ  
 مِنْ دِيَّانِ الْخَلِيفَةِ عَلَى وَلَدِ أُمْتَاذِ الدَّارِ وَهُوَ شَرَفُ الدِّينِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
 الْجُوزِيِّ فَبَعَثَ رَسُولًا إِلَى خِدْمَةِ الدَّرْكَاهِ السُّلْطَانِيَّةِ بِهَهْدَانِ. فَلَمَّا وَصَلَ  
 وَسُمِعَ جَوَابُهُ عُلِمَ أَنَّهُ جَوَابٌ مُغَالَطَةٌ وَمُدَافَعَةٌ

فَيُجِنِّدُ وَقَعَ الشَّرُوعُ فِي قَصْدِ بَغْدَادَ وَبَسَتْ الْعَسَاكِرُ إِلَيْهَا. فَتَوَجَّهَ  
 عَسْكَرُ كَيْفٍ مِنَ الْبُغُولِ وَالْمَقْدُمِ عَلَيْهِمْ بَاجُومٌ إِلَى نِكْرِيَتَ لِيَعْبُرُوا مِنْ  
 هُنَاكَ إِلَى أَتْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ وَيَقْصِدُوا بَغْدَادَ مِنْ غَرْبِهَا وَيَقْصِدَهَا  
 الْعَسْكَرُ السُّلْطَانِي مِنْ شَرْفِهَا. فَلَمَّا عَبَرَ عَسْكَرُ بَاجُومٍ نِكْرِيَتَ وَانْحَدَرَ  
 إِلَى أَعْمَالِ بَغْدَادَ أَجْفَلَ النَّاسُ مِنْ دُجَيْلٍ وَالْإِسْحَاقِي وَنَهْرِ مَلِكٍ وَنَهْرِ  
 عَيْسَى وَدَخَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ بَيْنَسَائِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ حَتَّى كَانَتِ الرَّجُلُ أَوْ الْمَرْأَةُ  
 يَنْدِفُ بِنَفْسِهِ فِي الْمَاءِ وَكَانَ الْمَلَّاحُ إِذَا عَبَرَ أَحَدًا فِي سَفِينَةٍ مِنْ جَانِبِ  
 إِلَى جَانِبٍ يَأْخُذُ أَجْرَتَهُ سَوَارِمِينَ دَهَبٍ أَوْ طِرَازًا مِنْ زَرْكَشٍ أَوْ عِدَّةً  
 مِنَ الدَّنَائِيرِ. فَلَمَّا وَصَلَ الْعَسْكَرُ السُّلْطَانِي إِلَى دُجَيْلٍ وَهُوَ يَزِيدُ عَلَى

ثَلَاثِينَ أَلْفَ فَارِسٍ خَرَجَ إِلَيْهِ عَسْكَرُ الْخُلَيْفَةِ صُحْبَةً مُقَدَّمِ الْجُيُوشِ  
 مُجَاهِدِ الدِّينِ إِيَّاكَ الدَّوِيدَارِ وَكَانَ عَسْكَرًا فِي غَايَةِ الْقِلَةِ فَالْتَقَوْا بِأَتْحَانِبِ  
 الْغُرَبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ قَرِيبًا مِنَ الْبَلَدِ فَكَانَتْ الْخَلِيفَةُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لِعَسْكَرِ  
 الْخُلَيْفَةِ ثُمَّ كَانَتْ الْكُفَّةُ لِلْعَسْكَرِ السُّلْطَانِيِّ فَأَبَادُوهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا وَأَعَانَهُمْ  
 عَلَى ذَلِكَ نَهْرٌ فَتَحَوْهُ فِي طُولِ اللَّيْلِ فَكَثُرَتِ الْوُحُولُ فِي طَرِيقِ الْمُنْهَرِمِينَ  
 فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ رَمَى نَفْسَهُ فِي الْهَاءِ أَوْ مَنْ دَخَلَ الْبَرِّيَّةَ وَمَضَى عَلَى  
 وَجْهِهِ إِلَى الشَّامِ وَبَجَا الدَّوِيدَارُ فِي جَمِيعَةٍ مِنْ عَسْكَرِهِ وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ  
 وَسَاقَ بَاجُوحًا دَخَلَ الْبَلَدَ مِنْ جَانِبِهِ الْغُرَبِيِّ وَوَقَفَ بِعَسَاكِرِهِ مُحَاذِي  
 النَّجَاحِ وَجَاسَتْ عَسَاكِرُهُ خِلَالَ الدِّيارِ وَأَقَامَ مُحَاذِي النَّجَاحِ أَمَّا  
 أَمَّا حَالُ الْعَسْكَرِ السُّلْطَانِيِّ فَإِنَّهُ فِي يَوْمِ الْخَبِيسِ رَابِعِ مُحَرَّمٍ مِنْ سَنَةِ  
 سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِئَةِ ثَارَتْ غَبْرَةٌ عَظِيمَةٌ شَرَفِي بَغْدَادَ عَلَى دَرَبِ بَعْقُوبَ  
 يَحْبُثُ عَمَّتِ الْبَلَدَ فَانْزَعَجَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ وَصَعِدُوا إِلَى أَعَالِي السُّطُوحِ  
 وَالْمَنَائِرِ يَتَشَوَّفُونَ فَأُنْكَشِفَتِ الْغَبْرَةُ عَنْ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ وَخُبُولِهِ وَلِفِيفِهِ  
 وَكُرَاعِهِ وَقَدْ طَبَقَ وَجْهَ الْأَرْضِ وَأَحَاطَ بِبَغْدَادَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا ثُمَّ  
 شَرَعُوا فِي اسْتِعْمَالِ أَسْبَابِ الْحِصَارِ وَشَرَعَ الْعَسْكَرُ الْخُلَيْفِيُّ فِي الْمُدَافَعَةِ  
 وَالْمُقَاوَمَةِ إِلَى يَوْمٍ تَاسِعٍ وَعِشْرِي مُحَرَّمٍ فَلَمْ يَشْعُرِ النَّاسُ إِلَّا وَرَايَاتُ  
 الْمَغُولِ ظَاهِرَةً عَلَى سُورِ بَغْدَادَ مِنْ بَرْجِ بَيْتِ بَرْجِ الْعِجْمِيِّ مِنْ نَاحِيَةِ  
 بَابِ مِنَ أَبْوَابِ بَغْدَادَ يُقَالُ لَهُ بَابُ كَلْوَادَ. وَكَانَ هَذَا الْبَرْجُ أَقْصَرَ  
 أَبْرَاجِ السُّورِ وَنَقَعَ الْعَسْكَرُ السُّلْطَانِيُّ هُجُومًا وَدُخُولًا فَجَرَى مِنَ الْقَتْلِ  
 الذَّرْبِ وَالنَّهْبِ الْعَظِيمِ وَالنَّهْبِ الْبَلِيغِ مَا بَعْضُ سَاعَةِ جُمْلَةٍ. فَأَ الظَّنُّ



بِفَاصِلِهِ وَكَانَ مَا كَانَ مَا لَسْتُ أَذْكُرُ فَظَنُّ ظَنًّا وَلَا تَسْأَلُ عَنِ التَّحْبِيرِ .  
وَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِخُرُوجِ الْخَلِيفَةِ وَوَلَّيَهُ وَنَسَائِهِ إِلَيْهِ . فَخَرَجُوا فَحَضَرَ الْخَلِيفَةُ  
بَيْنَ يَدَيْ الدَّرْكَاهِ . فَيُقَالُ إِنَّهُ غُورِبَ وَوُجَّ بِهَا مَعْنَاهُ نِسْبَةُ الْعَجَزِ وَالْفَرِيطِ  
وَالْغُولِ إِلَيْهِ . ثُمَّ أُوصِلَ إِلَى الْبَلَسَا<sup>١</sup> وَلَدَاهُ الْأَكْبَرُ وَالْأَوْسَطُ . وَأَمَّا  
بَنَاتُهُ فَأُصِرَّتْ ثُمَّ اسْتَشْهَدَ الْهُسْتَعِيمُ فِي رَابِعِ صَفَرِ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ  
وَمِئَتِهِ

إِنْتَهَى ذِكْرُ خِلَافَةِ الْهُسْتَعِيمِ بِاللَّهِ

---

<sup>١</sup> البلسا في قانون المجاهبات في دولة المنول

مِنْ كِتَابِ

الْمَوَاعِظِ وَالْأَعْيَارِ فِي ذِكْرِ الْخَطِطِ وَالْأَقَامِ

لِنَقِيِّ الدِّينِ الْمَغْرِبِيِّ

ذِكْرُ خِلَافَةِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ

الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو عَلِيٍّ مَنْصُورُ بْنُ الْعَزِيزِ نِزَارِ بْنِ الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ  
أَبِي تَيْبٍ مَعْدُو وَلَدَ بِالْقَصْرِ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمُعِزِّيَّةِ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ الثَّالِثِ  
وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَعِينَ وَثَلَاثِينَ فِي السَّاعَةِ  
الْثَّامِيَةِ وَالطَّالِعِ مِنْ رُجِّ السَّرَطَانِ سَبْعَ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً. وَسَلِّمْ عَلَيْهِ  
بِاخْتِلَافِهِ فِي مَدِينَةِ بَلْبَاسَ بَعْدَ الظُّهْرِ مِنْ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ ثَامِينَ وَعِشْرِينَ شَهْرِ  
رَمَضَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِينَ وَسَارَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ  
بِسَائِرِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَالْعَزِيزُ فِي قُبَّةٍ عَلَى نَافِئَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَعَلَى الْحَاكِمِ دُرَاعَةٌ  
مُصَمِّتَةٌ وَعِجَامَةٌ فِيهَا الْجَوْهَرُ وَبِيَدِهِ رُمْحٌ وَقَدْ ثَقَلَتْ السَّيْفَ وَلَمْ يُفْقِدْ مِنْ  
جَمِيعِ مَا كَانَ مَعَ الْعَسَاكِرِ شَيْءٌ. وَدَخَلَ الْقَصْرَ قَبْلَ صَلَوةِ الْمَغْرِبِ. وَأَخَذَ  
فِي جِهَازِ أَبِيهِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ وَدَفَنَهُ. ثُمَّ بَكَرَ سَائِرُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْقَصْرِ  
يَوْمَ الْخَمِيسِ وَقَدْ نُسِبَ لِلْحَاكِمِ سَرِيدٌ مِنْ ذَهَبٍ عَلَيْهِ مَرْتَبَةٌ مُدْهَبَةٌ فِي  
الْإِيوَانِ الْكَبِيرِ. وَخَرَجَ مِنْ قَصْرِ رَاكِبًا وَعَلَيْهِ مَعْبُوءَةُ الْجَوْهَرِ وَالنَّاسُ

الحاكم بامر الله هو أحد الخلفاء الفاطميين بمصر ولي العهد بعد أبيه سنة ١١٦٦ وكان شجاعاً  
جائراً ساعك دماء واضطهد اليهود والنصارى وأمر بهلع الكرم. وكانت وفاته سنة ١٠٢١  
قتلا بعد قتلى من المصلين. وكان يدعى الله من سلالة علي ابن أبي طالب ويدعى مسمي أمير  
المؤمنين والقائم مقام الله وعدل عن دين محمد وأقام ديناً حليماً وهو دين الدروز المقيمين  
الآن في سورية ومصر وأصحابه يزعمون أنه نُقل إلى السماء (بولي)



وَقُوفٌ فِي صَحْنِ الْإِيوَانِ. فَقَبِلُوا لَهُ الْأَرْضَ وَمَشُوا بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى جَلَسَ  
 عَلَى السَّرِيرِ. فَوَقَفَ مِنْ رِثْمَةِ الْقُوفِ وَجَلَسَ مِنْ لَهُ عَادَةٌ أَنْ يَجْلِسَ  
 وَمَلَّمَ الْجَمِيعَ عَلَيْهِ بِالْإِمَامَةِ وَالْقِسْرِ الَّذِي أَخْبِرَ لَهُ وَهُوَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ  
 وَكَانَ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ  
 فَعَمِلَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَمَّارٍ الْكِنَانِيَّ وَاسِطَةً وَلَقَّبَهُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ  
 وَاسْتَقَطَ مَكُوسًا كَانَتْ بِالسَّاحِلِ وَرَدَّ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ جَوْهَرٍ الْقَائِدِ  
 الْبَرِيدَ وَالْإِنْشَاءَ. فَكَانَ يَخْلُفُهُ أَبُو سُورٍ بْنُ وَأَفْرَحِي عَيْسَى بْنُ نَسْطُورُوسَ  
 عَلَى دِيوَانِ الْخَاصِّ وَقَدْ سَلَبَانِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحِ الشَّامِ. فَخَرَجَ  
 يَجُودِيكِينَ بِدِمَشْقَ وَسَارِمِيهَا لِيُدَافِعَهُ سُلْبَانُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحِ. فَلَبَّغَ  
 الرَّمْلَةَ وَانْضَمَّ إِلَيْهِ أَبُو الْجَرَّاحِ الطَّاهِي فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعَرَبِ وَوَقَعَ أَبُو  
 فَلَاحٍ فَأَنْهَزَهُمْ وَفَرَّوْهُمُ أُسِرَ وَجُلِيَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَأُكْرِمَ. وَاخْتَلَفَتْ أَهْلُ الدَّوْلَةِ  
 عَلَى أَبِي عَمَّارٍ وَوَقَعَتْ حُرُوبٌ آتَتْ إِلَى صَرْفِهِ عَنِ الْوَسَاطَةِ وَلَهُ فِي  
 النَّظَرِ أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا غَيْرَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ. فَلَزِمَ دَارَهُ وَأُطْلِفَتْ لَهُ رُسُومٌ  
 وَجَرَابَاتٌ. وَأُفِيمَ الطَّوَانِي بِرَجَوَانِ الصَّفَلِيِّ مَكَانَهُ فِي الْوَسَاطَةِ لِثَلَاثِ  
 بَنِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِينَ. فَعَمِلَ كَانِيَهُ هَدَّ بْنَ  
 إِبْرَاهِيمَ يُوقِعُ عَنْهُ وَلَقَّبَهُ بِالرَّئِيسِ وَصَرَفَ سُلْبَانُ بْنُ فَلَاحٍ عَنِ الشَّامِ  
 بِجَيْشِ بْنِ الصَّنْصَانِيَّةِ وَقَدْ قُتِلَ مِنْهُمُ خَمْسَةُ أَلْفٍ رَجُلٍ وَغَزَا  
 بِأَنْسَ الْخُزَاعِيَّةِ بَرْقَةَ وَمَبْسُورًا الْخُزَاعِيَّةَ طَرَابُلُسَ وَبَيْنَا الْخُزَاعِيَّةِ غَزَا  
 وَعَسْكَلَانَ. فَوَاقَعَ جَيْشَ الرُّومِ عَلَى قَابِيَّةٍ وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَمْسَةُ أَلْفٍ رَجُلٍ وَغَزَا  
 إِلَى أَنْ دَخَلَ مَرَّعَشَ. وَقَدْ وَظِنَ قَضَاءُ الْقَضَاةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ

علي بن النعمان في صفر سنة تسع وثمانين بعد موت قاضي القضاة محمد بن النعمان. وقيل الأسناد برجوان لأربع يقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وله في النظر ستان وثمانية أشهر غير يوم واحد ورد النظر في أمور الناس وتذير المملكة والتوفيعات إلى الحسين بن جوهر ولقب بفائد القواد فخلعه الرئيس فهد. واتخذ الحاكم مجلسا في الليل يحضر فيه عدة من أعيان الدولة ثم أبطله ومات جيش بن الصمصامة في ربيع الآخر سنة تسعين وثلثمائة. فوصل ابنه بركة إلى القاهرة ومعه درج بخط أبيه فيه وصيته وثبت بها خلفه موصلا. وأن ذلك جميعه لأمر المؤمنين الحاكم بأمر الله لا يستحق أحد من أولاده منه درهما. وكان مبلغ ذلك جميعه نحو المائتين ألف دينار ما بين عين ومتاع وخواب. قد أوقف جميع ذلك تحت القصر فأخذ الحاكم الدرج ونظره ثم أعاده إلى أولاد جيش وخلع عليهم وقال لهم يحضرو وجوه الدولة: قد وقفت على وصية أبيكم راحة الله وما وصى به من عين ومتاع فخذوه هنيئا مباركا لكم فيه فأنصرفوا بجميع التركة.....

ومنع الناس كافة من مخاطبته أحد ومكاتبته بسيدنا ومولانا إلا أمير المؤمنين وحده. وأبج دم من خالف ذلك. وفي سؤال قتل ابن عمار وفي سنة إحدى وتسعين وأصل الحاكم الزكوب في الليل كل ليلة. وكان يشق الشوارع والأزقة وبالغ الناس في الوفيد والزينة وأنفقوا الأموال الكبيرة على المأكلي والمشارب والغناء واللهو وكثر تفرجهم على ذلك حتى خرجوا فيه عن الحد فمنع النساء من الخروج في الليل.



ثُمَّ مَنَعَ الرِّجَالَ مِنَ الْجُلُوسِ فِي التَّحَوَّيْنِ .....  
 وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ أَمَرَ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ بِشِدَّةِ الزَّانِيرِ وَلِبْسِ  
 الْغِيَارِ. وَمَنَعَ النَّاسَ مِنْ أَكْلِ الْهَلُوكِيَا وَالْجَرَجِيرِ وَالْمَوَكَّلِيَّةِ وَالْدَّلِينِسِ  
 وَدَنَجِ الْأَبْقَارِ السَّليْبَةِ مِنَ الْعَاهَةِ إِلَّا فِي أَيَّامِ الْأَضْحِيَّةِ. وَمَنَعَ مِنْ بَيْعِ  
 النَّقَاعِ وَعَمَلِهِ الْبَتَّةَ وَأَنْ لَا يَدْخُلَ أَحَدٌ الْحَمَامَ إِلَّا بِشَرِّهِ وَأَنْ لَا تَكْشِفَ  
 أَمْرَأَةٌ وَجْهَهَا فِي طَرِيفٍ وَلَا خَلْفَ جَنَازَةٍ وَلَا تَتَبَرَّجَ وَلَا يُبَاعَ شَيْءٌ مِنْ  
 السَّمَكِ بِغَيْرِ فِشْرٍ وَلَا بَصْطَادَةٍ أَحَدٌ مِنَ الصَّيَّادِينَ. وَتَتَّبَعَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ  
 كُلِّهِ وَتَشَدَّدَ فِيهِ وَضُرِبَ جَمَاعَةٌ بِسَبَبِ مُخَالَفَتِهِمْ مَا أَمَرُوا بِهِ وَنَهَوْا عَنْهُ  
 مِمَّا ذَكَرَ. وَخَرَجَتِ الْعَسَاكِرُ لِقِتَالِ بَنِي قُرَّةَ مِنْ أَهْلِ الْبَحْيَةِ. وَكُتِبَ عَلَى  
 أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ وَعَلَى أَنْجَامِ بَيْضَرٍ وَعَلَى أَبْوَابِ التَّحَوَّيْنِ وَالْجَرَجِيرِ  
 وَالْمَنَابِرِ سَبُّ السَّلَفِ<sup>١</sup> وَلَعْنُهُمْ وَآكْرَةُ النَّاسِ عَلَى نَفْسِ ذَلِكَ وَكِتَابَتُهُ  
 بِالْأَضْبَاغِ فِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ. وَأَقْبَلَ النَّاسُ مِنْ سَائِرِ النُّوَاجِي فَدَخَلُوا  
 فِي الدَّعْوَةِ وَجُعِلَ لَهُمْ يَوْمَانِ فِي الْأُسْبُوعِ وَكَثُرَ الْأَزْدِحَامُ عَلَى ذَلِكَ  
 وَمَاتَ فِيهِ جَمَاعَةٌ

وَمَنَعَ النَّاسَ مِنَ الْخُرُوجِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ فِي الطَّرْفَاتِ وَأَنْ لَا يَظْهَرَ أَحَدٌ  
 بِهَا لَيْعٍ وَلَا شِرَآءٍ. فَخَلَّتِ الطَّرِيقُ مِنَ الْمَارَّةِ وَكَثُرَتْ أَوَالِي الْخُحُورِ وَأُرِيفَتْ  
 مِنْ سَائِرِ الْأَمَاكِينِ. وَاشْتَدَّ خَوْفُ النَّاسِ بِأَسْرِهِمْ وَقَوِيَّتِ الشَّنَاعَاتُ وَزَادَ  
 الْأَضْطِرَابُ فَاجْتَمَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ تَحْتَ الْقَصْرِ وَضَجُّوا بِسَآلُونَ

<sup>١</sup> اسم الملف يُطلق على ما ذهب اليه الائمة على طائفة زوجة محمد وأبي بكر وعمر  
 وعثمان وطلحة وابن الزبير وسعاوية وعمر بن العاص

الْعَوَ فَكُتِبَتْ عِدَّةُ أَمَانَاتٍ لِجَمِيعِ الطَّوَائِفِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ  
الْبَاعَةِ وَالرَّعِيَّةِ. وَأَمَرَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ فَقُتِلَ مِنْهَا مَا لَا يَحْصَى حَتَّى قُتِلَتْ  
وُفِيَتْ دَارُ الْحِكْمَةِ بِالْقَاهِرَةِ وَحُمِلَ إِلَيْهَا الْكُتُبُ وَدَخَلَ إِلَيْهَا النَّاسُ  
وَأَشْتَدَّ الطَّلَبُ عَلَى الرِّكَائِيَةِ الْمُسْتَعْدِمِينَ فِي الزُّكَاكِ وَقُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرًا.  
ثُمَّ عَفَا عَنْهُمْ وَكُتِبَ لَهُمْ أَمَانَاتٌ وَمَنَعَ النَّاسَ كَافَّةً مِنَ الدُّخُولِ مِنْ بَابِ  
الْقَاهِرَةِ وَهُمْ زُكَاكٌ. وَمَنَعَ الْبُكَارِيْنَ أَنْ يَدْخُلُوا بِحَبِيرِهِمْ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَمَنَعَ  
النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ مُلَاصِقِ الْقَصْرِ. وَقُتِلَ قَاضِي الْقَضَا حُسَيْنُ بْنُ النُّعْمَانِ  
وَأُخْرِقَ بِالنَّارِ. وَقُتِلَ عَدَدٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ ضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ

وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ خَرَجَ أَبُو رَكْوَةَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ وَادَّعَى أَنَّهُ  
مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ. فَقَامَ بِأَمْرِ بَنِي رَكْوَةَ لِكَثْرَةِ مَا أَوْفَعَ بِهِمُ الْحَاكِمُ وَتَابَعُوهُ  
وَأَسْتَجَابَ لَهُ لَوَانَهُ وَمِرَاتَانَهُ وَرَنَاتَانَهُ وَأَخَذَ بَرْقَةً وَهَزَمَ جُيُوشَ الْحَاكِمِ غَيْرَ  
مَرَّةٍ وَغَنِمَ مَا مَعَهُمْ. فَخَرَجَ لِقَائِهِ الْقَائِدُ فَضْلُ بْنُ صَالِحٍ فِي رَيْعِ الْأَوَّلِ  
وَوَاقِعُهُ فَأَنْهَزَمَ مِنْهُ فَضْلٌ وَأَشْتَدَّ الْأَضْطِرَابُ بِمِصْرَ وَتَزَايَدَتْ الْأَسْعَارُ.  
وَأَشْتَدَّ الْإِسْتِعْدَادُ لِحَارَبَةِ أَبِي رَكْوَةَ وَتَزَلَّتِ الْعَسَاكِرُ بِالنَّجِيزَةِ. وَسَارَ أَبُو  
رَكْوَةَ فَوَاقِعَهُ الْقَائِدُ فَضْلٌ وَقُتِلَ عِدَّةٌ مِنْ مَعَهُ. فَعَظُمَ الْأَمْرُ وَأَشْتَدَّ الْخَوْفُ  
وَخَرَجَ النَّاسُ فَبَاتُوا فِي الشُّوَارِعِ خَوْفًا مِنْ هُجُومِ عَسَاكِرِ أَبِي رَكْوَةَ.  
وَأَسْتَهْرَبَتِ الْحُرُوبُ فَأَنْهَزَمَ أَبُو رَكْوَةَ فِي ثَالِثِ ذِي الْحِجَّةِ عَلَى الْفُيُومِ.  
وَتَبِعَهُ الْقَائِدُ فَضْلٌ بَعْدَ أَنْ بَعَثَ إِلَى الْقَاهِرَةِ سِتَّةَ آلَافٍ رَأْسٍ وَمِائَةِ  
أَسِيرٍ إِلَى أَنْ قُبِضَ عَلَيْهِ فِي بِلَادِ النُّوبَةِ. وَأُخْضِرَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَقُتِلَ بِهَا  
وَحُلِيَ عَلَى الْقَائِدِ فَضْلٍ وَسُيِّرَتِ الْبَشَائِرُ بِقَتْلِهِ فِي الْأَعْمَالِ



وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِينَ أَمَرَ بِحُوسِ السَّلَفِ فَحَبِيَ سَائِرُ  
مَا كُتِبَ مِنْ ذَلِكَ وَغَلَسَ الْأَسْعَارُ لِنَقْصِ النِّيلِ. فَإِنَّهُ بَلَغَ مِئَةَ عَشَرَ  
أَصْبَعًا مِنْ سَبْعِ عَشْرَةِ ذِرَاعًا ثُمَّ نَقَصَ وَمَاتَ بَجُوتِكَيْنِ فِي ذِيهِ الْحِجَّةِ  
وَأَشْتَدَّ الْغَلَاءُ فِي ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَوَلَّى عَلَى ابْنِ فُلَاحٍ حِمَشَقُ. وَقُبِضَ جَمِيعُ  
مَا هُوَ مُحَبَّسٌ عَلَى الْكُنَائِسِ. وَجُعِلَ فِي الدِّيَّانِ وَأُخْرِقَ عِدَّةُ صُلْبَانٍ عَلَى بَابِ  
الْجَامِعِ يَهْضُرُ وَكُتِبَ إِلَى سَائِرِ الْأَعْمَالِ بِذَلِكَ. وَفِي سَادِسِ عَشَرَ  
رَجَبٍ قُرِرَ مَالِكُ بْنُ سَعِيدٍ الْفَارِسِيُّ فِي وَظِيفَةِ قَضَاءِ الْقَضَاءِ وَتَسَلَّمَ كُتِبَ  
الدَّعْوَةُ الَّتِي تَقْرَأُ بِالنَّصْرِ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ وَصُرِفَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ النُّعْمَانِ  
عَنْ ذَلِكَ .....

وَتَوَقَّفَتْ رِيَادَةُ النِّيلِ وَاسْتَنْقَى النَّاسُ مَرَّتَيْنِ وَأَمْرًا بِإِبْطَالِ عِدَّةِ  
مَكُوسٍ وَتَعَذُّرِ وَجُودِ الْخَبْزِ لِغَلَائِهِ وَفَلْنِهِ. وَنُتِجَ الْخَلِيجُ فِي رَابِعِ ثَوْبٍ  
وَالْبَاءُ عَلَى خَمْسِ عَشْرَةِ ذِرَاعًا فَأَشْتَدَّ الْغَلَاءُ. وَفِي تَامِسِ مُحَرَّمٍ وَهُوَ نِصْفُ  
ثَوْبٍ نَقَصَ مَاءُ النِّيلِ وَلَمْ يُوفِ بِسِتِّ عَشْرَةِ ذِرَاعًا. فَهَبَعَ النَّاسُ كَافَّةً مِنَ  
النِّظَاهِرِ بِالْغَنَاءِ وَمِنْ رُكُوبِ الْبَحْرِ لِلتَّنَفُّجِ. وَمَنَعَ مِنْ بَيْعِ الْمُسْكِرَاتِ  
وَمَنَعَ كَافَّةً مِنَ الْخُرُوجِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعِشَاءِ إِلَى الطَّرِيقَاتِ. وَأَشْتَدَّ  
الْأَمْرُ عَلَى الْكَافَّةِ لِشِدَّةِ مَا دَاخَلَهُمْ مِنَ الْخَوْفِ مَعَ شِدَّةِ الْغَلَاءِ وَتَزَايُدِ  
الْأَمْرَاضِ فِي النَّاسِ وَالْمَوْتِ .....

وَتَزَايَدَتْ الْأَمْرَاضُ وَكَثُرَ الْمَوْتُ وَعَزَّتِ الْأَدْوِيَةُ وَأُعِيدَتْ الْمَكُوسُ  
الَّتِي رُفِعَتْ وَهْدِمَتْ كُنَائِسُ كَانَتْ بِطَرِيقِ الْمَنَسِ. وَهْدِمَتْ كَنِيسَةُ  
بِحَارَةِ الرُّومِ مِنَ الْقَاهِرَةِ وَنُهِبَ مَا فِيهَا وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْخُدَّامِ وَالْكَتَّابِ

وَمِنَ الصَّفَالِيَةِ بَعْدَ مَا قُطِعَتْ أَيْدِي بَعْضِهِمْ مِنَ الْكُتَّابِ بِالسَّاطُورِ عَلَى  
خَشَبَةٍ مِنْ وَسْطِ الذُّرَاعِ وَقُتِلَ الْفَائِدُ فَضْلُ بْنُ صَالِحٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ .  
وَفِي حَادِي عَشَرَ صَفَرٍ صَرَفَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ الرُّودْبَارِيُّ وَقَرَّرَ مَكَانَهُ  
أَبْنُ عَبْدِوَنَ النَّصْرَانِيُّ الْكَاتِبُ وَلَقِبَ بِالْكَافِي . فَوَقَعَ عَنِ الْحَاكِمِ وَنَظَرَ .  
وَكُتِبَ بِهِمْ كَيْسَةُ الْقَامَةِ وَجَدَّدَ دِيوانَنَا بِقَالَ لَهُ الدِّيوانُ الْبَهْرَدُ بِرَسْمِهِ  
مَنْ يَقْبِضُ مَالَهُ مِنَ الْمُقْتُولِينَ وَغَيْرِهِمْ . وَكَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ وَعَزَّتِ  
الْأَخْوِيَّةُ وَشُهِرَ جَمَاعَةٌ وَجِدَ عَنْدهُمْ قُبَاعٌ وَمُلُوكٌ خِيارٌ دَلِيلَسٌ وَتُرْمَسٌ وَضُرِبُوا  
وَهُدِمَ دَيْرُ النَّصْرِ وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى النَّصَارَى وَالْيَهُودِ فِي الزَّامِيمِ لَيْسَ  
الْغِيَارِ . وَكُتِبَ بِإِبْطَالِ أَخِيذِ الْخَمْسِ وَالنَّجَاوِي وَالْفِطْرَةِ وَقَرَأَ الْحُسَيْنُ بْنُ  
جَوْهَرَ وَأَوْلَادُهُ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ النُّعْمَانِ . وَقَرَأَ أَبُو الْقَسَمِ الْحُسَيْنُ بْنُ  
الْمَغْرِبِيِّ . وَكُنِبَتِ عِدَّةُ أَمَانَاتٍ لِعِدَّةِ طَوَائِفٍ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِمْ وَقُطِعَتْ  
فِرَاشَةُ بَجَالِسِ الْحِكْمَةِ بِالنَّصْرِ . وَوَقَعَ الشَّدِيدُ فِي الْمَنَعِ مِنَ الْهُسُكِرَاتِ  
وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْكُتَّابِ وَالْمُخْدَمِ وَالْفَرَّاشِينَ وَقُتِلَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ  
الرُّودْبَارِيُّ فِي شَوَّالٍ

وَفِي رَابِعِ الْهَرَمِ سَنَةِ إِحْدَى وَلَرْبَعِينَ صَرَفَ الْكَافِي بْنُ عَبْدِوَنَ  
عَنِ النَّظَرِ وَالْتَوَفِيعِ وَقَرَّرَ بَدَلَهُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّشُورِيُّ الْكَاتِبُ فِي  
الْوَسَاطَةِ وَالسِّفَارَةِ وَحَضَرَ حُسَيْنُ بْنُ جَوْهَرَ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ النُّعْمَانِ إِلَى  
الْقَاهِرَةِ فَأَكْرَمَ ثُمَّ صَرَفَ ابْنُ النَّشُورِيِّ بَعْدَ عَشْرِ أَيَّامٍ مِنْ اسْتِقْرَارِهِ  
وَضُرِبَ عَنْقُهُ وَقَرَّرَ بَدَلَهُ زُرْعَةُ بْنُ عَيْسَى بْنُ تَسْطُورَسَ الْكَاتِبِ النَّصْرَانِيُّ  
وَلَقِبَ بِالشَّافِي . وَمَنَعَ النَّاسَ مِنْ رُكُوبِ الْمَرَاكِبِ فِي التَّخْلِيصِ وَنُذِرَتْ



أَبْوَابُ الدُّوْرِ الَّتِي عَلَى التَّخْلُجِ وَالطَّافَاتُ. وَأُضِيفَ إِلَى فَاضِي الْقَضَاءِ مَا لَكَ  
 بِنِ سَعِيدِ النَّظَرِ فِي الْمَظَالِمِ. وَأُعِيدَتْ مَجَالِسُ الْحُكْمَةِ وَأُخِذَ مَالُ النُّجُوى  
 وَقُتِلَ ابْنُ عَبْدِ وَنٍ وَقُبِضَ مَا لَهُ. وَضُرِبَ جَمَاعَةٌ وَشُهِرُوا مِنْ أَجْلِ بَيْعِهِمْ  
 الْمَلُوحِيَا وَالسَّمَكِ الذِّبْ لَافِشَرَلَهُ وَبِسَبَبِ بَيْعِ النَّيْدِ. وَقُتِلَ الْحُسَيْنُ  
 بِنُ جَوْهَرٍ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بِنُ النُّعْمَانِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ فِي سَنَةِ إِحْدَسَ  
 وَلَرْبِعِيَّةٍ وَأُحِيطَ بِأَمْوَالِهَا وَأُبْطِلَتْ عِدَّةُ مَكُوسٍ. وَمُنِعَ النَّاسُ مِنْ  
 الْغِنَاءِ وَاللَّهْوِ وَمِنْ بَيْعِ الْبَغِيَّاتِ وَمِنْ الْإِجْتِمَاعِ بِالصَّحْرَاءِ. وَفِي هَذِهِ  
 السَّنَةِ خَلَعَ حَسَّانُ بِنُ مُرْجٍ بِنُ دَغْنَلٍ بِنِ الْجَرَاحِ طَاعَةَ الْحَاكِمِ وَأَقَامَ أَبَا  
 الْفَتْوحِ حُسَيْنَ ابْنَ جَعْفَرٍ الْحُسَيْنِيَّ أَمِيرَ مَكَّةَ خَلِيفَةً وَبَايَعُوهُ وَدَعَا النَّاسُ  
 إِلَى مَبَايَعَتِهِ وَقَاتَلَ عَسَاكِرَ الْحَاكِمِ

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَلَرْبِعِيَّةٍ مُنِعَ مِنْ بَيْعِ الزَّرْبِ وَكُتِبَ بِالْمَنْعِ مِنْ  
 حَمَلِهِ وَالنَّيِّ فِي بَحْرِ النَّيْلِ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ وَأُخْرِقَ مِنْهُ كَثِيرٌ. وَمُنِعَ النِّسَاءُ مِنْ  
 زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَلَمْ يَدْخُلْ فِي الْأَعْيَادِ بِالْمَقَابِرِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ. وَمُنِعَ مِنَ الْإِجْتِمَاعِ  
 عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ لِلتَّفَرُّجِ وَمُنِعَ مِنْ بَيْعِ الْعِنَبِ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَشْهُالٍ فَأَدُونَهَا.  
 وَمُنِعَ مِنْ عَصِيهِ وَطَرَحَ كَثِيرٌ مِنْهُ وَدِيسَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَغُرِقَ كَثِيرٌ مِنْهُ  
 فِي النَّيْلِ. وَمُنِعَ مِنْ حَمَلِهِ وَقُطِعَتْ كُرُومُ الْأَنْجِينِ كُلُّهَا وَسُيِّرَ إِلَى الْأَنْجِهَاتِ  
 بِذَلِكَ

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَلَرْبِعِيَّةٍ غَلَا السِّعْرُ وَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى التَّخْزِينِ وَفِي ثَانِي  
 رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا هَلَكَ عِيسَى بِنُ نَسْطُورَسَ. فَأَمَرَ النَّصَارَى بِلُبْسِ  
 السَّوَادِ وَتَعْلِيْقِ الصُّلْبَانِ الْخَشَبِ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأَنْ يَكُونَ الصَّلِيبُ ذِرَاعًا فِي

مِنْهَا وَرِثَتُهُ خَبَسَةٌ أَرْطَالٍ وَأَنْ يَكُونَ مَكْشُوفًا بِحَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ. وَمَنْعُوا  
 مِنْ رُكُوبِ الْخَيْلِ وَأَنْ يَكُونَ رُكُوبُهُمُ الْيَغَالِ وَالْحَبِيدَ بِالسُّرُوجِ الْخَشَبِ  
 وَالسُّورِ السُّودِ بِغَيْرِ حِلْيَةٍ وَأَنْ يَشُدُّوا الزَّنايِدَ وَلَا يَسْتَحْدِثُوا مَسْلِحًا وَلَا  
 يَشْتَرُوا عِبْدًا وَلَا أَمَةً وَتُتَبَّعَتْ آثَارُهُمْ فِي ذَلِكَ فَأَسْلَمَ مِنْهُمْ عِدَّةٌ. وَقُرِئَ  
 حُسَيْنُ بْنُ طَاهِرِ الْوَزَّانِ فِي الْوَسَاطَةِ وَالنُّوْفِيعِ عَنِ الْحَاكِمِ فِي تَالِيعِ  
 وَعَشْرِ رَبيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا وَلَقِبَ بِأَمِينِ الْأَمَنَاءِ. وَنَفَسَ الْحَاكِمُ عَلَى خَاتَمِهِ  
 بِنَصْرِ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْوَلِيِّ يَنْتَصِرُ الْإِمَامُ أَبُو عَلِيٍّ. وَضُرِبَ جِمَاعَةٌ بِسَبَبِ  
 اللَّعِبِ بِالشُّطْرَنْجِ وَهَدِيسَتِ الْكُنَائِسِ وَأُخِذَ جَمِيعُ مَا فِيهَا وَمَا لَهَا مِنْ  
 الرِّبَاعِ. وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَعْمَالِ فَهَدِمَتْ بِهَا وَفِيهَا لِحْفَ أَبُو الْفُتُوحِ  
 بِهَيْكَةٍ وَدَعَا الْحَاكِمَ وَضَرَبَ السِّكَّةَ بِأَمْرِهِ. وَأَمَرَ الْحَاكِمُ أَنْ لَا يُقِيلَ أَحَدٌ لَهُ  
 الْأَرْضَ وَلَا يُقِيلَ رِكَابُهُ وَلَا يَدُّهُ عِنْدَ السَّلَامِ عَلَيْهِ فِي الْمَوَازِي. فَإِنَّ  
 الْأَلِيْحَةَ إِلَى الْأَرْضِ لِخُلُوقٍ مِنْ صَنِيعِ الرُّومِ. وَلَنْ لَا يَزَادَ عَلَى قَوْلِهِمْ  
 السَّلَامُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَلَا يُصَلِّيَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي  
 مَكَاتِبِهِ وَلَا يُخَاطَبُ بِهِ وَيُقْتَصَرُ فِي مَكَاتِبِهِ عَلَى سَلَامِ اللَّهِ وَنَحْيَاتِهِ وَنَوَاجِبِ  
 بَرَكَاتِهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُدْعَى لَهُ بِهَا يُتَّقَى مِنَ الدُّعَاءِ فَقَطْ لَا غَيْرُ.  
 فَلَمْ يَقُلْ الْخُطْبَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سِوَى اللَّهِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَسَلِّمْ  
 عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ  
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَفْضَلَ سَلَامِكَ عَلَى عَبْدِكَ وَخَلِيفَتِكَ. وَمَنْعَ  
 مِنْ ضَرْبِ الطُّبُولِ وَالْأَبْوَابِ حَوْلَ الْقَصْرِ. فَصَارُوا يَطُوفُونَ بِغَيْرِ طَبَلٍ  
 وَلَا بُوقٍ وَكَثُرَتْ إِنْعَامَاتُ الْحَاكِمِ. فَتَوَقَّفَ أَمِينُ الْأَمَنَاءِ حُسَيْنُ بْنُ



طَاهِرِ الْوِزَانُ فِي امْتِصَاحِهَا فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحَاكِمُ بِخَطِّهِ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ  
الْمُحَمَّدُ ﷺ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ

أَصْبَحْتُ لَا أَرْجُو وَلَا أَتِي إِلَّا لِلْهَيْبِ وَلَهُ الْفَضْلُ  
جَدِّي نَبِيِّ وَإِمَامِي أَبِي وَحَبِيبِي الْإِخْلَاصُ وَالْعَدْلُ  
أَمَّا مَالُ اللَّهِ وَالْمَخْلُوقُ عِبَادُ اللَّهِ وَنَحْنُ أَسْنَاؤُهُ فِي الْأَرْضِ أَطْلِقَ أَرْزَاقَ  
النَّاسِ وَلَا نَقْطَعُهَا وَالسَّلَامُ . وَرَكِبَ الْحَاكِمُ فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ إِلَى  
الْمَصَلَّى بِغَيْرِ زِينَةٍ وَلَا جَنَائِبٍ وَلَا أَهْبَةِ سِوَى عَشْرِ أَفْرَاسٍ تُقَادُ بِسُرُوحٍ  
وَلَحْمٍ مُحَلَّلَةٍ بِفِضَّةٍ خَفِيفَةٍ وَبُنُودٍ سَادِجَةٍ وَمِظْلَةٍ بَيْضَاءَ بِغَيْرِ ذَهَبٍ وَعَلَيْهِ  
بَيَاضٌ بِغَيْرِ طِرَازٍ وَلَا ذَهَبٍ وَلَا جَوْهَرٍ فِي عِمَامَتِهِ وَلَمْ يُفَرِّشِ الْمِنْبَرَ . وَمَعَ  
النَّاسَ مِنْ سَبِّ السَّلَفِ وَضَرْبِ فِي ذَلِكَ وَشَهَرٍ وَصَلَّى صَلَاةَ عِيدِ النَّحْرِ  
كَمَا صَلَّى صَلَاةَ الْفِطْرِ مِنْ غَيْرِ أَهْبَةٍ وَنَحَرَ عَنْهُ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ الْيَاسِ بْنِ  
أَحْمَدَ الْهَلَبِيَّ وَكَثَرَ الْحَاكِمُ مِنَ الرُّكُوبِ إِلَى الصَّحَرَاءِ بِحِذَائِهِ فِي رَجُلَيْهِ  
وَقُوْطِهِ عَلَى رَأْسِهِ

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْزَمَ الْيَهُودَ أَنْ يَكُونُوا فِي أَغْنَانِهِمْ جَرَسٌ  
إِذَا دَخَلُوا إِلَى الْحَمَامِ وَلَنْ يَكُونُوا فِي عُنُقِ النَّصَارَى صُلبَانٌ وَمَعَ النَّاسَ  
مِنَ الْكَلَامِ فِي النُّجُومِ وَأُفْنِي الْمُنَجِّمُونَ مِنَ الطَّرِيقَاتِ وَطَلَبُوا فَتَنَهُوا  
وَنُفُوا . وَكَثُرَتْ هَيَاتُ الْحَاكِمِ وَصَدَفَاتُهُ وَعِثْقُهُ . وَأَمَرَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى  
بِالنُّخْرُوجِ مِنْ مِصْرَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَغَيْرِهَا . وَأُفِيمَ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ الْيَاسِ  
وَلِيَّ الْعَهْدِ وَأَمِيرَ أُنْثَى قَالَ فِي السَّلَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ وَوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ . وَصَارَ يَجْلِسُ بِمَكَانٍ فِي الْقَصْرِ . وَصَارَ

أَحْكَامُ بَرْكَبُ بِدْرَاعَةٍ صُوفٍ بَيْضَةٍ وَيَتَعَبَّرُ بِفُوطَةٍ وَفِي رِجْلِهِ حِدَاةٌ  
عَرَبِيٌّ يَفْبَالَيْنِ وَعَبْدُ الرَّحِيمِ يَتَوَلَّى النَّظَرَ فِي أُمُورِ الدَّوْلَةِ كُلِّهَا. وَأَفْرَطُ  
أَحْكَامُ فِي الْعُطَاءِ وَرَدِّ مَا كَانَ أَخَذَ مِنَ الصِّبَاعِ وَالْأَمْلاكِ لِأَرْبَابِهَا  
وَفِي رَسْعٍ الْأَوَّلِ أَمْرٌ يَقْطَعُ بَدَنِي أَبِي النِّعَمِ الْجَرْجَرَانِي. وَكَانَ يَكْتُبُ  
لِلْقَائِدِ عَيْنٍ. ثُمَّ قُطِعَتْ بَدْنُ عَيْنٍ فَصَارَ مُقْطُوعَ الْيَدَيْنِ وَبَعَثَ إِلَيْهِ  
أَحْكَامُ بَعْدَ قَطْعِ بَدَنِهِ بِأَلْفٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالنِّيبَابِ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرٌ  
بِيقْطَعِ لِسَانِهِ فَنُطِيعَ وَأَبْطَلَ عِدَّةٌ مَكُوسٍ وَقَتْلَ الْكِلَابِ كُلِّهَا وَأَكْثَرَ مِنَ  
الرُّكُوبِ فِي اللَّيْلِ وَمَنْعَ النِّسَاءِ مِنَ الْمَشْرِقِ فِي الطَّرْفَاتِ. فَلَمْ تَرَ أَمْرًا فِي  
طَرِيقِ الْبَنَةِ وَأُغْلِقَتْ حَامَاتُهَا وَمَنْعَ الْأَسَاكِفَةِ مِنْ عَمَلِ خِيفَاتِهَا وَتَعَطَّلَتْ  
حَوَائِثُهُمْ وَأَشْدَّتْ الْإِشَاعَةُ بِوُقُوعِ السَّيْفِ فِي النَّاسِ فَتَهَارَبُوا وَغُلِقَتْ  
الْأَسْوَاقُ فَلَمْ يَبْعَ شَيْءٌ وَدُعِيَ لِعَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ إِيَّاسَ عَلَى الْمَنَابِرِ وَضُرِبَتْ  
السِّكَّةُ بِاسْمِهِ بِوَلَايَةِ الْعَهْدِ

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ قُتِلَ مَالِكُ بْنُ سَعِيدٍ الْفَارِسِيُّ فِي رَسْعٍ  
الْآخِرِ وَكَانَتْ مَدَّةُ نَظَرِهِ فِي قَضَاءِ الْقَضَائِ سِتِّ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ  
أَيَّامٍ وَبَلَغَ إِقْطَاعُهُ فِي السَّنَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ. وَتَزَايَدَ رُكُوبُ  
أَحْكَامُ حَتَّى كَانَ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِدَّةَ مِرَارٍ. وَاشْتَرَى الْحَبِيرَ وَرَكِبَهَا  
بَدَلَ الْخُجْلِ وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنَ بْنَ طَاهِرِ الْوَزَائِنِ.  
فَكَانَتْ مَدَّةُ نَظَرِهِ فِي الْوَسَاطَةِ سَنَتَيْنِ وَشَهْرَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا. فَأَمَرَ  
أَصْحَابَ الدَّوَابِّ بِلُزُومِ دَوَابِّهِمْ وَصَارَ أَحْكَامُ يَرْكَبُ حَارًا بِشَاشِيَةٍ  
مَكْشُوفَةٍ بِغَيْرِ عِمَامَةٍ. ثُمَّ أَقَامَ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ أَبِي السَّيِّدِ الْكَاتِبَ وَأَخَاهُ



أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنَ فِي الْوَسَاطَةِ وَالسِّفَارَةِ وَأَقَرَّ فِي وَظِيفَةِ قَضَاءِ الْقَضَاءِ  
 أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْعَوَّامِ. وَخَرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ الْحَدِّ فِي الْعَطَاةِ حَتَّى  
 أَقْطَعَ نَوَائِيَةَ الْمَرَائِبِ وَالْمَشَاعِلِ وَبَنَى فَرَسًا فِيهَا أَقْطَعَ الْإِسْكَندَرِيَّةَ وَالْبَحِينَةَ  
 وَنَوَاحِيهَا. ثُمَّ قَتَلَ ابْنُ أَبِي السَّيِّدِ. وَكَانَتْ مَدَّةُ نَظَرِهَا اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ يَوْمًا  
 وَقَدْ أَلَوْسَاطَةَ فَضْلَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ الْفَرَاتِ. ثُمَّ قَتَلَهُ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ  
 مِنْ وَلَائِهِ وَغَلَبَ بَنُو فَرَسٍ عَلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ وَأَعْمَالِهَا. وَكَثُرَ الْحَاكِمُ مِنْ  
 الْوُكُوبِ فِي يَوْمٍ سِتِّ مَرَّاتٍ مَرَّةً عَلَى فَرَسٍ. وَمَرَّةً عَلَى جَارٍ وَمَرَّةً فِي  
 حَيْتِهِ يُحْمَلُ عَلَى الْأَعْنَاقِ وَمَرَّةً فِي عَشَارِيِّ عَلَى النَّيْلِ بِغَيْرِ عِجَامَةٍ. وَكَثُرَ  
 مِنْ إقْطَاعِ الْجُنْدِ وَالْعَبِيدِ الْإِفْطَاعَاتِ. وَأَقَامَ ذَا الرِّثَاسَتَيْنِ قُطْبَ الدَّوْلَةِ  
 أَبَا الْحُسَيْنِ عَلِيَّ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ فِي الْوَسَاطَةِ وَالسِّفَارَةِ وَوَلَّى عَبْدَ  
 الرَّحِيمِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ دِمَشْقَ. فَسَارَ إِلَيْهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ نِسْعٍ  
 وَارْبَعِينَ فَأَقَامَ فِيهَا شَهْرَيْنِ. ثُمَّ هَجَمَ عَلَيْهِ قَوْمٌ فَقَتَلُوا جَاعَةً مِنْ عِنْدِهِ  
 وَأَخَذُوهُ فِي صُنْدُوقٍ وَحَمَلُوهُ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ أَعْبَدُوهُ إِلَى دِمَشْقَ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى  
 لَيْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ وَأَخْرَجَ مِنْهَا

وَلَمَّا كَانَ لِلثَّلَاثِينَ يَفِينًا مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَارْبَعِينَ فُتِدَ  
 الْحَاكِمُ وَقِيلَ أَنْ أَخُوهُ قَتَلَهُ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ. وَكَانَ عِنْدَهُ سِتَا وَثَلَاثِينَ سَنَةً  
 وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَكَانَتْ مَدَّةُ خِلَافَتِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَشَهْرًا. وَكَانَ جَوَادًا  
 مَنَاقًا قَتَلَ عَدَدًا لَا يُحْصَوْنَ. وَكَانَتْ سِيرَتُهُ مِنْ أَعْجَابِ السَّيَرِ وَخُطْبَ  
 لَهُ عَلَى مَنَابِرِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَافْرِيقِيَّةَ وَالْحِجَازِ. وَكَانَ بِشْتَغْلٍ بِعُلُومِ  
 الْأَوَائِلِ وَيَنْظُرُ فِي النُّجُومِ وَعَمِلَ رَصْدًا وَأَتَّخَذَ يَنَاقًا فِي الْبَقَطِ يَنْقُطِعُ

فِيهِ عَنِ النَّاسِ لِذَلِكَ وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَتْ بَعَثَتْهُ جَفَافٌ فِي دِمَاقِهِ  
فَلِذَلِكَ كَثُرَ تَنَافُضُهُ وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ فِيهِ بَعْضُهُمْ كَانَتْ أَفْعَالُهُ  
لَا تَعْمَلُ وَأَحْلَامُ وَسَاوِيهِ لَا تُؤَوَّلُ

وَقَالَ السَّجَّيُّ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَارْبَعِمِائَةٍ فُبِضَ عَلَى رَجُلٍ  
مِنْ بَنِي حُسَيْنٍ ثَارَ بِالصَّعِيدِ الْأَعْلَى فَأَقْرَأَهُ قَتْلَ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي جُلَّةِ  
أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ وَأُظْهِرَ فِطْعَةٌ مِنْ جِلْدِهِ رَأْسَ الْحَاكِمِ  
وَفِطْعَةٌ مِنْ الْفُوطَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ. فَقِيلَ لَهُ لِمَ قَتَلْتَهُ: فَقَالَ غِيْرَةُ اللَّهِ  
وَالْإِسْلَامِ: فَقِيلَ كَيْفَ قَتَلْتَهُ. فَأَخْرَجَ سِكِّينًا ضَرَبَ بِهَا فُؤَادَهُ وَقَتَلَ  
نَفْسَهُ وَقَالَ هَكَذَا قَتَلْتَهُ. وَقُطِعَ رَأْسُهُ وَأُنْفِذَ بِهِ إِلَى الْخَضِرِ مَعَ مَا وَجَدَ مَعَهُ.  
وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي خَبَرِ قَتْلِ الْحَاكِمِ لَا مَا يَحْكِيهِ الْمَشَارِقَةُ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ أَنَّ  
أَخْتَهُ قَتَلْتَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### مِنْ ذِكْرِ الْحَارَاتِ

عِبَارَةٌ تَعْلُقُ بِفَتْوحَاتِ هَنْتِكِينَ وَأَنْكِسَارَانِهِ

حَارَةُ الدَّيْلَمِ عُرِفَتْ بِذَلِكَ لِتُرْوِلِ الدَّيْلَمِ الْوَاصِلِينَ مَعَ هَنْتِكِينَ  
الشَّرَافِيِّ حِينَ قَدِيمٍ وَمَعَهُ أَوْلَادُ مَوْلَاهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ الْبُوبِيَّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ  
الدَّيْلَمِ وَالْأَتْرَاكِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَسَكَنُوا بِهَا فَعُرِفَتْ بِهِمْ  
هَنْتِكِينَ وَيُقَالُ لَهُ الْهَنْتِكِيُّ الشَّرَافِيُّ غُلَامُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَحْمَدَ بْنِ  
بُوبَةِ تَرَفَّى فِي الْمُخْدَمِ حَتَّى غَلَبَ فِي بَغْدَادَ عَلَى عِزِّ الدَّوْلَةِ بِخُنْبَارِ بْنِ مُعِزِّ  
الدَّوْلَةِ. وَكَانَ فِيهِ تَجَاعَةٌ وَثَبَاتٌ فِي الْحَرْبِ. فَلَمَّا سَارَتْ الْأَتْرَاكِ مِنْ  
بَغْدَادَ لِحَرْبِ الدَّيْلَمِ جَرَى بَيْنَهُمْ فِتْنَالٌ عَظِيمٌ أَشْهَرَ فِيهِ هَنْتِكِينَ لِأَنَّ



أَصْحَابَهُ أَنْهَزُوا عَنْهُ وَصَارَ فِي طَائِفَةٍ قَلِيلَةٍ قَوْلِي يَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَنْتَرَاكِ وَهُمْ  
نَحْوُ الْأَرْبَعِيَّاتَةِ . فَسَارَ عَلَى الرَّحْبَةِ وَأَخَذَ مِنْهَا عَلَى الْبَرِّ إِلَى أَنْ قَرُبَ مِنْ  
جُوسِيَّةَ إِحْدَى قُرَى الشَّامِ . وَقَدْ وَقَعَ فِي قُلُوبِ الْعُرَبَاءِ مِنْهُ مَهَابَةٌ .  
فَخَرَجَ إِلَيْهِ ظَالِمُ بْنُ مَرْهُوبٍ الْعَقِيلِيُّ مِنْ بَعْلَبَكْ وَبَعَثَ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ  
أَبِيهِمُ بْنُ جَعْفَرٍ أَمِيرِ دِمَشْقَ مِنْ فَيْلِ الْخَلِيفَةِ الْبَعِزِّ لِإِيْنِ اللَّهِ عَلَيْهِ  
يُقْدُومُ هُنَتِكِينَ مِنْ بَغْدَادَ لِإِقَامَةِ الْخُطْبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَخَوْفَهُ مِنْهُ . فَأَنْفَذَ  
إِلَيْهِ عَسْكَرًا وَسَارَ إِلَى نَاحِيَةِ جُوسِيَّةَ يُرِيدُ هُنَتِكِينَ . وَسَارَ بِشَارَةِ الْخُجَّامِ  
مِنْ فَيْلِ أَبِي الْمَعَالِي بْنِ حَمْدَانَ عَوْنَا لِهُنَتِكِينَ فَرَدَّ ظَالِمٌ إِلَى بَعْلَبَكْ مِنْ  
غَيْرِ حَرْبٍ

وَسَارَ بِشَارَةِ هُنَتِكِينَ إِلَى حِمَصَ فَحَمَلَ إِلَيْهِ أَبُو الْمَعَالِي وَتَلَفَّاهُ وَكَّرَمَهُ  
وَكَانَ قَدْ نَارَ بِدِمَشْقَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الدُّعَارَةِ وَالْفَسَادِ وَحَارِبُوا عُمَالَ  
السُّلْطَانِ وَأَشَدَّ أَمْرُهُمْ وَكَانَ كِبِيرُهُمْ يَعْرِفُ بِأَبْنِ الْمَازِدِ . فَلَمَّا بَلَغَهُمْ خَبَرُ  
هُنَتِكِينَ بَعَثُوا إِلَيْهِ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى حِمَصَ بِسَدْعُوْنَةٍ وَوَعْدُوهُ بِالْقِيَامِ مَعَهُ  
عَلَى عَسَاكِرِ الْبَعِزِّ وَخَرَجُوا مِنْ دِمَشْقَ لِيَلِيَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ ذَلِكَ مِنْهُ  
بِالْوِاقِفَةِ . وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ ثَنِيَّةَ الْعُقَابِ لِأَيَّامٍ بَقِيَتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ  
أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَتَلَسَّيَاتِهِ . فَبَلَغَ عَسْكَرَ الْبَعِزِّ خَبَرَ الْفَرَنْجِ وَأَنَّهُمْ قَدْ قَصَدُوا  
طَرَابُلُسَ فَسَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَى لِقَاءِ الْعَدُوِّ . وَنَزَلَ هُنَتِكِينَ عَلَى دِمَشْقَ مِنْ  
غَيْرِ حَرْبٍ فَأَقَامَ أَبَا . ثُمَّ سَارَ يُرِيدُ مُحَارَبَةَ ظَالِمٍ فَفَرَّ مِنْهُ وَدَخَلَ  
هُنَتِكِينَ بَعْلَبَكْ فَطَرَفَهُ الْعَدُوُّ مِنَ الرُّومِ وَالْفَرَنْجِ وَأَنْتَهَبُوا بِبَعْلَبَكْ  
وَأَحْرَقُوا وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ . وَأَنْتَشَرُوا فِي أَعْمَالِ بَعْلَبَكْ وَالْبِقَاعِ

يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَحْرِقُونَ وَقَصَدُوا دِمَشْقَ وَقَدِ اتَّخَفَ بِهَا هَنْتِكِينَ.  
فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ دِمَشْقَ وَسَأَلُوهُمْ الْكَفَّ عَنِ الْبَلَدِ وَالْتَزَمُوا بِمَالٍ. فَخَرَجَ  
إِلَيْهِمْ هَنْتِكِينَ وَأَهْدَى إِلَيْهِمْ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ فِي أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ جَبَابَةُ الْمَالِ لِنُفُوزِ  
أَبْنِ الْمَأُورِدِ وَأَصْحَابِيهِ وَأَعْرَى مَلِكِ الرُّومِ فَتَبَضَّ عَلَيْهِ وَقَبِلَهُ وَعَادَ فَجَى  
الْمَالِ مِنْ دِمَشْقَ بِالْعَنْبِ وَحَمَلَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ  
وَرَحَلَ إِلَى يَبُوتَ ثُمَّ إِلَى طَرَابُلُسَ

فَتَبَكَّنَ هَنْتِكِينَ مِنْ دِمَشْقَ وَأَقَامَ بِهَا الدَّعْوَةَ لِأَبِي بَكْرٍ عَبْدِ الْكَرِيمِ  
الطَّائِعِ بْنِ الْبُطَيْعِ الْعَبَّاسِيِّ وَسَيَّرَ إِلَى الْعَرَبِ السَّرَاحَا فَظَفِرَتْ وَعَادَتْ  
إِلَيْهِ بِعَدُوٍّ مِنْ أَسْرَتِهِ مِنْ رِجَالِ الْعَرَبِ وَقَتْلَهُمْ صَبْرًا. وَكَانَ تَخُوفَ مِنْ  
الْبِعِزِّ. فَكَانَتْ الْفَرَامِطَةُ بِسَنَدِ عِيهِمْ مِنَ الْأَحْسَاءِ لِلْقُدُومِ عَلَيْهِ لِحَارَبَةِ  
عَسَاكِرِ الْبِعِزِّ وَمَا زَالَ يَهْمُ حَتَّى وَافُوا دِمَشْقَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَتَزَلُّوا  
عَلَى ظَاهِرِهَا وَمَعَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ هَنْتِكِينَ كَانُوا قَدْ تَشَنَّنُوا فِي الْبِلَادِ  
فَقَوِيَ يَهْمُ وَلَقِيَ الْفَرَامِطَةُ وَحَمَلَ إِلَيْهِمْ وَسَرَّ بِهِمْ. فَأَقَامُوا عَلَى دِمَشْقَ أَبَاطًا  
ثُمَّ رَحَلُوا نَحْوَ الرَّمْلَةِ وَبِهَا أَبُو تَحْمُودٍ فَلَحِقَ بِبَاقِهَا وَنَزَلَ الْفَرَامِطَةُ الرَّمْلَةَ  
وَنَصَبُوا الْقِتَالَ عَلَى بَاقِهَا حَتَّى كَلَّ الْفَرِيقَانِ وَسَيَّسُوا جَمِيعًا مِنْ طُولِ الْحَرْبِ  
وَسَارَ هَنْتِكِينَ عَلَى السَّاحِلِ وَنَزَلَ صَيْدَا وَبِهَا ظَالِمُ بْنُ مَرْهُوبٍ الْعَقِيلِيُّ  
وَأَبْنُ الشَّيْخِ مِنْ قِبَلِ الْبِعِزِّ. فَقَاتَلَهُمْ فَنَالَا شَدِيدًا أَنْهَزَمَ مِنْهُ ظَالِمٌ إِلَى  
صُورَ وَقُتِلَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ نَحْوُ أَرْبَعَةِ آلَافٍ رَجُلٍ. فَقَطَعَ أَيْدِيَهُ الْقَتْلَى  
مِنْ عَسَاكِرِ الْبِعِزِّ وَسَيَّرَهَا إِلَى دِمَشْقَ فَطِيفَ بِهَا. ثُمَّ سَارَ عَنْ صَيْدَا  
يُرِيدُ عَكَا وَبِهَا عَسَاكِرُ الْبِعِزِّ



وَكَانَ قَدْ مَاتَ الْبِعْرُ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ  
وَسَيَّرَ جَوْهَرَ الْقَائِدَ فِي عَسْكَرٍ عَظِيمٍ إِلَى فَيْنَالٍ هَنْتِكِينَ وَالْفَرَايِطَةَ.  
فَبَلَغَ ذَلِكَ الْفَرَايِطَةَ وَهُمْ عَلَى الرَّمْلَةِ وَوَصَلَ الْخَبَرُ بِمَسِيرِهِ إِلَى هَنْتِكِينَ  
وَهُوَ عَلَى عَكَا فَخَافَ الْفَرَايِطَةُ وَقَرَّوْا عَنْهَا فَتَرَلَّمَا جَوْهَرَ وَسَارَ مِنَ الْفَرَايِطَةَ  
إِلَى الْأَحْسَاءِ الَّتِي هِيَ بِبِلَادِهِمْ جَاعَةٌ وَتَأَخَّرَ عِدَّةٌ وَسَارَ هَنْتِكِينَ مِنْ عَكَا  
إِلَى طَبْرِيةَ وَقَدْ عَلِمَ بِمَسِيرِ الْفَرَايِطَةَ وَتَأَخَّرَ بَعْضُهُمْ فَأَجْتَمَعَ بِهِمْ فِي  
طَبْرِيةَ وَاسْتَعَدَّ لِلْقَاءِ جَوْهَرَ وَجَمَعَ الْأَقْوَاتَ مِنْ بِلَادِ حُورَانَ وَالْبَلْبِيزَةِ  
وَأَدْخَلَهَا إِلَى دِمَشْقَ وَسَارَ إِلَيْهَا فَتَحَصَّنَ بِهَا. وَتَزَلَّ جَوْهَرَ عَلَى ظَاهِرِ  
دِمَشْقَ لِشَبَانٍ يَفِينُ مِنْ دِي النِّعَةِ وَيَتَوَقَّعُ عَلَى مَسْكِنِهِ سُورًا وَحَفَرَ خَنْدَقًا  
عَظِيمًا وَجَعَلَ لَهُ أَبْوَابًا وَجَمَعَ هَنْتِكِينَ النَّاسَ لِلْفَيْنَالِ. وَكَانَ قَدْ تَعَيَّنَ بَعْدَ  
أَبْنِ الْمَأُورِدِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِقَسَامِ الشَّرَابِ وَصَارَ فِي عِدَّةٍ وَافِرٍ مِنَ  
الدُّعَارِ فَأَعَانَهُ هَنْتِكِينَ وَقَوَّاهُ وَأَمَدَّهُ بِالسَّلَاحِ وَغَيْرِهِ. وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ  
وَبَيْنَ جَوْهَرَ حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ طَوِيلَةٌ إِلَى يَوْمِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ  
رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتِّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِينَ

فَأَخْلَلَ أَمْرُ هَنْتِكِينَ وَهُمْ بِالْفِرَارِ. ثُمَّ لَمَّا اسْتَظْهَرَ وَوَرَدَتْ الْأَخْبَارُ  
بِقُدُومِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْفَرَمَطِيِّ إِلَى دِمَشْقَ وَطَلَبَ جَوْهَرَ الظُّلْمَ عَلَى  
أَنْ يَرْحَلَ عَنْ دِمَشْقَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبِيعَهُ أَحَدٌ. وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى أَمْوَالَهُ قَدْ  
فَلَتْ وَهَلَكَ كَثِيرٌ مِمَّا كَانَ فِي عَسْكَرِهِ حَتَّى صَارَ أَكْثَرُ عَسْكَرِهِ رَجَالَةً  
وَأَعُوزَ أَلْفٌ وَخَمْسِي قُدُومَ الْفَرَايِطَةَ. فَأَجَابَهُ هَنْتِكِينَ وَقَدْ عَظُمَ  
فَرْحُهُ وَاسْتَدَّ سُورُهُ. فَرَحَلَ فِي ثَالِثِ جُمَادَى الْأُولَى وَجَدَّ فِي السَّيْرِ وَقَدْ

قُرْبَ الْفَرْمَطِيِّ فَأَتَاخَ بِطَبْرِئَةٍ. فَبَلَغَ ذَلِكَ الْفَرْمَطِيُّ فَقَصَدَهُ وَقَدْ سَارَ عَنْهَا  
إِلَى الرَّمْلَةِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَرِيَّةٍ كَانَتْ لَهَا مَعَ جَوْهَرٍ وَفَعَةٌ قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ  
مِنَ الْعَرَبِ وَأَذْرَكَ الْفَرْمَطِيُّ وَسَارَ فِي أَثَرِهِ هَنْتِكِينُ. فَاتَّاهُ الْحَسَنُ بْنُ  
أَحْمَدَ الْفَرْمَطِيُّ بِالرَّمْلَةِ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بِأَمْرِ الْفَرَامِطَةِ آتُونُ عَلَيْهِ جَعْفَرُ  
فَفَسَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَنْتِكِينِ وَرَجَعَ عَنِ الرَّمْلَةِ إِلَى الْأَحْصَاةِ وَنَاصَبَ هَنْتِكِينُ  
الْفِتَالَ وَالْحَمَّ فِيهِ عَلَى جَوْهَرٍ حَتَّى أَتَاهُمُ مِنْهُ وَصَارَ إِلَى عَسْفَلَانَ. وَقَدْ غَنِمَ  
هَنْتِكِينُ مَا كَانَ مَعَهُ شَيْئًا يَحِلُّ عَنِ الْوَصْفِ وَنَزَلَ عَلَى الْبَلَدِ مُحَاصِرًا لَهُ.  
وَبَلَغَ ذَلِكَ الْعَزِيزُ فَاسْتَعَدَّ لِلْمَسِيرِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ.

فَلَمَّا طَالَ الْأَمْرُ عَلَى جَوْهَرٍ رَاسَلَ هَنْتِكِينُ حَتَّى تَقَرَّرَ الصُّلْحُ عَلَى مَالٍ  
يُجْبِلُهُ إِلَيْهِ وَلَنْ يُخْرَجَ مِنْ تَحْتِ سَيْفِ هَنْتِكِينِ. فَعَلَّقَ سَيْفَهُ عَلَى بَابِ  
عَسْفَلَانَ وَخَرَجَ جَوْهَرُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ تَحْتِهِ وَسَارُوا إِلَى الْقَاهِرَةِ فَوَجَدَ  
الْعَزِيزُ قَدْ بَرَزَ يُرِيدُ السَّيْرَ فَسَارَ مَعَهُ. وَكَانَ مَدَّةُ فِتَالِ هَنْتِكِينِ لِجَوْهَرٍ  
عَلَى ظَاهِرِ الرَّمْلَةِ وَفِي عَسْفَلَانَ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا. وَسَارَ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ حَتَّى  
نَزَلَ الرَّمْلَةَ. وَكَانَ هَنْتِكِينُ بِطَبْرِئَةٍ فَسَارَ إِلَى لِقَاءِ الْعَزِيزِ وَمَعَهُ أَبُو  
إِسْحَاقَ وَابُوطَاهِرُ أَخُو عِزِّ الدَّوْلَةِ بِخُنْيَارَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ بُوَيْهٍ وَابُوكَالِبُ الْحَارِ  
مَرْزُبَانُ بْنُ عِزِّ الدَّوْلَةِ بِخُنْيَارَ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ وَحَارِبُوهُ. فَلَمَّا  
تَكُنْ غَيْرُ سَاعَةٍ حَتَّى هَزَمَتْ عَسَاكِرُ الْعَزِيزِ عَسَاكِرَ هَنْتِكِينِ وَمَلَكُوهُ فِي  
يَوْمِ الْخَمِيسِ لِسَبْعِ يَفِينٍ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِينَ. وَأَسْتَأْمَنَ  
أَبُو إِسْحَاقَ وَمَرْزُبَانُ بْنُ بَخْتِيَارَ وَقُتِلَ أَبُو طَاهِرُ أَخُو عِزِّ الدَّوْلَةِ بِخُنْيَارَ  
وَأُخِذَ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ أَسْرَى وَطُيِبَ هَنْتِكِينُ فِي الْفِتَالِ فَلَمْ يُوجَدْ وَكَانَ



قَدَفَرَتْ أَلْهَزِيمَةً عَلَى فَرَسٍ يَهْفَرِدُهُ فَأَخَذَهُ بَعْضُ الْعَرَبِ أَسِيرًا وَقَدِمَ  
 بِهِ عَلَى مَرْجِ بْنِ دَغْنَلٍ بْنِ الْأَجْرَاجِ الطَّائِي وَعِمَامَتُهُ فِي عُنُقِهِ. فَبَعَثَ بِهِ  
 إِلَى الْعَزِيزِ فَأَمَرَ بِهِ فَشُهِرَ فِي الْعَسْكَرِ وَطِيفَ بِهِ فَأَخَذَ النَّاسُ يُلَطِّبُونَهُ  
 وَيَهْزُونَ لِحْنَتَهُ حَتَّى رَأَى فِي نَفْسِهِ الْعِبرَ

ثُمَّ سَارَ الْعَزِيزُ يَهْفَتِكِينَ وَالْأَسْرَى إِلَى الْفَاهِرَةِ فَأَصْطَنَعَهُ وَمَنْ مَعَهُ  
 وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ وَأَنْزَلَهُ فِي دَارٍ وَوَصَلَهُ بِالْعَطَاءِ وَأَخْلَعَ حَتَّى  
 قَالَ: لَقَدْ أَحْسَنْتُ مِنْ رُكُوبِي مَعَ مَوْلَانَا الْعَزِيزِ بِاللَّهِ وَنَظَرِي إِلَيْهِ بِمَا  
 غَمَرَنِي بِهِ مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ: فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْعَزِيزُ قَالَ لِعَبْدِهِ حَيْدَرَةَ:  
 يَا عَمَّ وَاللَّهِ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَرَى النِّعَمَ عَلَى النَّاسِ ظَاهِرَةً وَلَرَى عَلَيْهِمُ الدَّهَبَ  
 وَالْبَيْضَ وَالتَّجْوَهْرَ وَلَمْ أَتُحِبَّ وَاللِّبَاسَ وَالضِّيَاعَ وَالْعَقَارَ وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ  
 كُلُّهُ مِنْ عِنْدِي: وَبَلَغَ الْعَزِيزُ أَنَّ النَّاسَ مِنَ الْعَامَةِ يَقُولُونَ مَا هَذَا  
 الثَّرِيكُ فَأَمَرَ بِهِ وَشُهِرَ فِي أَجْمَلِ حَالٍ. وَلَمَّا رَجَعَ مِنْ تَطَوُّفِهِ وَهَبَ لَهُ مَا لَا  
 جَزِيلًا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ سَائِرَ الْأَوْلِيَاءِ أَنْ يَدْعُوهُ إِلَى دُورِهِمْ فَأَمِنَهُمْ إِلَّا  
 مَنْ عَمِلَ لَهُ دَعْوَةٌ وَقَدِمَ إِلَيْهِ وَقَادَ يَنْ يَدْيِهِ الْخَبُولَ. ثُمَّ إِنَّ الْعَزِيزَ قَالَ  
 لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: كَيْفَ رَأَيْتَ دَعْوَةَ أَصْحَابِنَا. فَقَالَ: يَا مَوْلَانَا حَسَنَةٌ فِي  
 الْغَايَةِ وَمَا فِيهِمْ إِلَّا مَنْ أَنْعَمَ وَأَكْرَمَ: فَصَارَ يَرْكَبُ لِلصَّيْدِ وَالنَّفَرِجِ وَجَمَعَ  
 إِلَيْهِ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ أَصْحَابَهُ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَالْدَّائِلِمِ وَالشَّجْبَةِ وَأَخْنَصَ بِهِ. وَمَا  
 زَالَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَتَلْسِيَابِيَةً فَأَتَاهُمُ الْعَزِيزُ  
 وَزَيْدُ بَعْقُوبَ بْنِ كِلْسٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ لَاحِظًا هَفَتِكِينَ كَانَ يَتَرَفَّعُ عَلَيْهِ فَأَعْتَقَهُ  
 مَدَّةً ثُمَّ أَخْرَجَهُ

حَارَةُ الْأَنْرَاكِ. هَذِهِ الْحَارَةُ مُجَاهَةُ الْجَمَاعِ الْأَزْهَرِ وَتُعْرَفُ الْيَوْمَ بِدَرْبِ  
 الْأَنْرَاكِ، وَكَانَ نَافِذًا إِلَى حَارَةِ الدِّبْلَمِ وَالْوَرَّاقُونَ الْقَدَمَاءُ نَارَةً يُنْزِلُونَهَا  
 مِنَ الدِّبْلَمِ وَنَارَةً يُصِفُونَهَا إِلَيْهَا وَيَجْعَلُونَهَا مِنْ خُوفِهَا فَيَقُولُونَ حَارَةُ  
 الدِّبْلَمِ وَالْأَنْرَاكِ. وَنَارَةً يَقُولُونَ حَارَتِي الدِّبْلَمِ وَالْأَنْرَاكِ. وَقِيلَ لَهَا حَارَةُ  
 الْأَنْرَاكِ لِأَنَّ هَتَكِينَ لَهَا غَلَبَ يَخْدَادُ سَارَ مَعَهُ مِنْ جَنْسِهِ أَرْبَعِيَّةٌ مِنْ  
 الْأَنْرَاكِ وَتَلَاخَقَ بِهِ عِنْدَ وَرُودِ الْفَرَامِطَةِ عَلَيْهِ يَدِمَشَقَ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ.  
 فَلَمَّا جَمَعَ لِحَرْبِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ كَانَ أَصْحَابُهُ مَا يَنْ تَرْكٍ وَدَائِلَمٍ. فَلَمَّا قَبِضَ عَلَيْهِ  
 الْعَزِيزُ وَدَخَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ بِهِ فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ  
 سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِينَ كَمَا تَقْدِمُ نَزَلَ الدِّبْلَمُ مَعَ أَصْحَابِهِمْ فِي مَوْضِعِ  
 حَارَةِ الدِّبْلَمِ وَنَزَلَ هَتَكِينَ بِأَنْرَاكِ فِي هَذَا الْمَكَانِ. فَصَارَ يُعْرَفُ  
 بِحَارَةِ الْأَنْرَاكِ وَكَانَتْ مُحْتَاطَةً بِحَارَةِ الدِّبْلَمِ لِأَنَّهَا أَهْلُ دَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ  
 إِلَّا أَنَّ كُلَّ جَنْسٍ عَلَى حِفْظٍ لِنَحْوِهَا فِي الْجَنْسِيَّةِ ثُمَّ قِيلَ بَعْدَ ذَلِكَ  
 دَرْبُ الْأَنْرَاكِ



مِنْ مِيْرِ السُّلْطَانِ الْمَالِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ<sup>١</sup>  
 لِبَهَاءِ الدِّينِ الشَّنَادِي  
 ذِكْرُ مَسِيرِ الْإِفْرَنْجِ الصَّلِيبِيِّينَ مِنْ عَكَّا إِلَى عَسْفَلَانَ وَاتِّفَاقِهِمْ  
 إِلَى طَرَفِ الْبَحْرِ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ

وَلَمَّا كَانَ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِ  
 مِئَةٍ. رَكِبَ الْإِفْرَنْجُ بِأَسْرِهِمْ. وَقَلَعُوا خِيَامَهُمْ. وَحَلُّوْهَا عَلَى تَوَائِمِهِمْ.  
 وَسَارُوا حَتَّى قَطَعُوا النَّهْرَ إِلَى أُنْجَابِ الْغَرْبِ. وَضَرَبُوا أُنْجَامَ عَلَى طَرِيقِ  
 عَسْفَلَانَ. وَأَظْهَرُوا الْعَزْمَ عَلَى الْمَسِيرِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ. وَأَمَرَ الْأَنْكَنَارُ  
 (يُرِيدُ بِهِ رِيكَرْدُوسَ مَلِكَ الْأَنْكَلِيزِ) بَاقِيَ النَّاسِ أَنْ يَدْخُلُوا إِلَى الْبَلَدِ.  
 وَكَانُوا قَدْ سَدُّوا نَعْرَهُ وَتَلَمَّه. وَأَصْلَحُوا مَا اسْتَهْدَمَ مِنْهُ. وَكَانَ مُقَدِّمٌ

<sup>١</sup> اما صلاح الدين فهو اول ملوك الايوبيين في مصر ولد في تكريت ما بين النهرين  
 وكان ولدا لايوب الكردي، فاشهر منذ شبته بجارية المسيحية فنذهب الى مصر حيث تمهد  
 بخدمة نور الدين في سنة ١١٦٤ افاصبح وزيرا لآخر العاطميين. وبعد وفاة نور الدين انتهز فرصة  
 حادثة ولده صلاح اسماعيل. فاقام نعمة وصيحا عليه واستولى على سورية في سنة ١١٧٥. ثم  
 استقل في مصر واتخذ ملكا جابا عظيما من بين النهرين. فحاربه المسيحيون فاستظهروا عليه في  
 رملة (١١٧٨) لكنه استظهر في باناس وطبرية على قوي دي لوزيمان ملك القدس واستأسر  
 (١١٧٨) وفيها استولى على القدس وقبض على زمام ملكها فكان سقوط ملكة القدس سبيها  
 لحرب الصليبيين الثالثة. فاضطر صلاح الدين ان يقاسي مشقات عظيمة اولا فاضلت منه  
 عكا وقهصية وبافا، لكنه قهر عن بسالة للمسيحيين لاسيما ريكردوس قلب الاسد ظم وساد.  
 وتوفي سنة ١١٩٢ وله اخ يدعى مالك عادل و١٧ ولدا تقاسموا ملكه. فحاز صلاح الدين  
 الاعتراف حتى لدى المسيحيين ايضا لحسن سياسته ونشاطه وكرمه وشجاعته (بوهلي)

الْعَسْكَرِ الْخَارِجِ السَّائِرِ الْأَنْكَنَارُ. وَجَمَعَ عَظِيمٌ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُخْبِالَةِ.  
وَلَمَّا كَانَ مُسْتَهْلُ شَعْبَانَ أَشْتَعَلَتْ نِيرَانُ الْعَدُوِّ فِي مَحَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ  
وَعَادَتْهُمْ أَنْهُمْ إِذَا أَرَادُوا الرَّجُلَ أَشْعَلُوا نِيرَانَهُمْ. وَأَخْبَرَ الْبِزْكَ بِمَحَرِّ كَيْفِهِمْ  
فَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِالثَّقَلِ أَنْ يُرْفَعَ حَتَّى يَبْقَى النَّاسُ عَلَى ظَهْرِ. فَفَعَلَ النَّاسُ  
ذَلِكَ. وَهَلَكَ مِنَ النَّاسِ قُبَاشٌ كَثِيرٌ. وَحَوَاجٌ كَثِيرَةٌ مِنَ السُّوقَةِ لَمْ  
يَكُنْ مَعَهُمْ خَبْلٌ وَلَا ظَهْرٌ بِحَبْلِ جَمِيعٍ مَا عِنْدَهُمْ. لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ كَانَ  
يَحْصِلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَشْهُرٍ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ السُّوقَةِ عِنْدَهُ مَا يَنْفَعُهُ مِنْ  
مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ فِي مِرَارٍ مُتَعَدِّدَةٍ. لَكِنْ هَذَا الْمَنْزِلُ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَخْلَفَ  
فِيهِ أَحَدٌ لِقُرْبِهِ مِنَ الْإِفْرَجِ الَّذِينَ بَعَا وَالْخَوْفِ مِنْهُمْ

وَلَمَّا أَنْ عَلَا النَّهَارُ. شَرَعَ الْعَدُوُّ فِي السَّيْرِ عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ. وَتَفَرَّقُوا  
فِطْعًا كَثِيرَةً. كُلُّ فِطْعَةٍ تَحْبِي عَنْ نَفْسِهَا. وَقَوَى السُّلْطَانُ (أَبِي صَالِحٍ  
الَّذِي) الْبِزْكَ. وَأَنْفَذَ مُعْظَمَ الْعَسَاكِرِ قُبَا لَتَهُمْ. فَمَضَوْا وَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا  
شَدِيدًا. وَأَنْفَذَ وَلَدَهُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلَ يُجِيرُ أَنَّهُ فَطَعَ طَائِفَةً مِنْهُمْ عَنْ  
الْمُوَافَقَةِ. وَلَقَدْ لَزِبْنَاهُمْ بِالْقِتَالِ. وَلَوْ قُوَيْنَا لَأَخَذْنَا نَاهُمْ. فَسِيرَ السُّلْطَانُ  
خَلْفًا عَظِيمًا مِنَ الْعَسْكَرِ. وَسَارَ هُوَ بِنَفْسِهِ وَأَنَا بِمُجْدَمَتِهِ. حَتَّى أَتَى أَوَائِلَ  
الرَّمْلِ. فَلَقِينَا الْمَلِكَ الْعَادِلَ أَخُوهُ: إِنَّ نِلَكَ الطَّائِفَةَ قَدْ أَلْبَحْتَ بِالطَّائِفَةِ  
الْأُولَى. وَمُعْظَمُ الْقَوْمِ قَدْ عَبَرُوا نَهْرَ حَيْفًا وَقَدْ نَزَلُوا. وَالْبَاقُونَ قَدْ لَحِقُوا  
بِهِمْ. وَلَيْسَ لِلْمَسِيرِ وَرَأَاهُمْ حَاصِلٌ إِلَّا إِنْ عَابَ الْعَسْكَرُ وَصَبَاغُ الشَّابِ  
لَا غَيْرُ

فَتَرَجَعَ السُّلْطَانُ عَنِ الْقَوْمِ لَمَّا تَحَقَّقَ ذَلِكَ وَأَمَرَ طَائِفَةً مِنَ الْعَسْكَرِ



أَنْ يَسِيرَ وَرَأَى الثَّقْلَ يَلْحَقُ ضَعِيفَهُمْ بِقَوِيَّتِهِمْ. وَيَكْفُ عَنْهُمْ مَنْ يَلْحَقُ بِهِمْ مِنَ  
الْعَدُوِّ وَالطَّيَّاعَةِ وَسَارَ هُوَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْقَيْسُونِ عَصَرَ ذَلِكَ النَّهَارِ  
فَقُتِلَ وَضُرِبَ لَهُ الدِّهْلِيْزُ وَشَقَّتْ دَائِرَةُ حَوْلَهُ لَاغَيْرُ. وَاسْتَحْضَرَ الْجَمَاعَةَ  
وَأَكَلُوا شَبْتًا وَاسْتَشَارَهُمْ فِي مَا يَفْعَلُ

الْمَنْزِلُ الثَّانِي: اتَّفَقَ رَأْيُ جَمَاعَةٍ عَلَى أَنَّهُمْ يَرْحَلُونَ بِكَنَّةٍ عَدِيٍّ. هَذَا وَقَدْ  
رَتَّبَ حَوْلَ الْإِفْرِجِ بَزَكَاءَ يَبَاتُونَ حَوْلَهُ وَيَرْقُبُونَ أَمْرَهُ. وَلَمَّا كَانَ  
صَبَاحُ ثَلَاثِي شَعْبَانَ رَحَلَ السُّلْطَانُ الثَّقْلُ وَأَقَامَ هُوَ يَتَرَصَّدُ أَخْبَارَ الْعَدُوِّ  
فَلَمْ يَصِلْ مِنْهُمْ شَيْءٌ إِلَى أَنْ عَلَا النَّهَارُ. فَسَارَ فِي أَثَرِ الثَّقْلِ حَتَّى آتَى قَرْيَةً  
يُقَالُ لَهَا قَرْيَةُ الصَّبَاغِينَ. فَجَلَسَ يَتَرَقَّبُ أَخْبَارَ الْعَدُوِّ وَكَانَ قَدْ خَلْفَ  
جُرْدِيكَ قَرِيبَ الْعَدُوِّ فَلَمْ يَصِلْهُ خَبَرٌ أَصْلًا. فَسَارَ حَتَّى آتَى الثَّقْلُ فِي  
مَنْزِلِهِ يُقَالُ لَهَا عُبُونُ الْأَسَاوِدِ وَلَمَّا بَلَغْنَا الْمَنْزِلَةَ رَأَى خِيَامًا فَسَأَلَ عَنْهَا  
فَقِيلَ لَهَا خَيْمُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ. فَعَدَلَ لِيَنْزِلَ عِنْدَهُ فَأَقَامَ عِنْدَهُ سَاعَةً.  
ثُمَّ آتَى خَيْمَتَهُ. وَفَقَدَ الْخَبْرَ فِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ بِالْكَلْبَةِ وَغَلَا الشَّعِيرُ حَتَّى بَلَغَ  
حِرْهَهَا وَبَلَغَ الْبَفْسِمَاطُ الرُّطْلُ دِرْهَمَيْنِ. ثُمَّ أَقَامَ السُّلْطَانُ حَتَّى عَبَرَ  
وَقْتُ الظُّهْرِ. وَرَكِبَ وَسَارَ إِلَى مَوْضِعٍ يُسَمَّى الْمَلَاخَةَ تَكُونُ مَنْزِلًا لِلْعَدُوِّ  
إِذَا رَحَلَ مِنْ حَيْثَا. وَكَانَ قَدْ سَبَقَ لِيَتَفَقَّدَ الْمَكَانَ هَلْ يَصْلُحُ لِلْمَصَافِ  
أَمْ لَا. وَتَتَفَقَّدُ أَرَاضِيَّ فَيَسَارِيهَ بِأَسْرِهَا إِلَى الشَّعْرَاءِ. وَعَادَ إِلَى الْمَنْزِلِ  
بَعْدَ دُخُولِ وَقْتِ الْعِشَاءِ الْآخِرِ. وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ النَّعَبُ. وَسَأَلَتْهُ عَمَّا  
بَلَغَهُ مِنْ خَبَرِ الْعَدُوِّ فَقَالَ: وَصَلَ إِلَيْنَا مَنْ أَخْبَرَنَا أَنَّ مَا رَحَلَ مِنْ حَيْثَا  
إِلَى عَصْرِ يَوْمِنَا هَذَا يَعْنِي ثَلَاثِي شَعْبَانَ وَهِيَ تَحْنُ مُقِيمُونَ مُرْتَقِبُونَ أَخْبَارَهُمْ

وَيَكُونُ الْعَمَلُ يَهْتَضَاهَا. وَبَاتَ فِي ذَلِكَ اللَّيْلَةِ وَأَصْبَحَ مُعْبَا بِجِلِّ الزَّلْزَلَةِ  
يَتَنَظَّرُ الْعَدُوَّ وَنَادَى اتِّجَارِيشُ بِالْعَسْكَرِ لِلْعَرْضِ. فَرَكِبَ النَّاسُ عَلَى  
تَرَسِ الْمَصَافِ وَأَهْنَيْهِ. وَلَمَّا عَلَا النَّهَارُ نَزَلَ السُّلْطَانُ فِي خَيْمَتِهِ وَأَخَذَ  
نَصِيبًا مِنَ الرَّاحَةِ بَعْدَ الْغَدَاةِ وَمَثُولَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ إِلَى خِدْمَتِهِ  
وَأَخَذُوا رَأْيَهُمْ فِي مَا يَصْنَعُونَ. ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ وَجَلَسَ يُطْلِقُ أَثْمَانَ الْخُبُولِ  
الْمَجْرُوحَةِ وَغَيْرِهَا إِلَى الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ مِنْ مِثَّةِ دِينَارٍ إِلَى مِثَّةِ وَخَمْسِينَ دِينَارًا  
وَزَائِدًا وَنَاقِصًا. فَبَارَأْنَتْ أَفْصَحَ صَدْرًا مِثَّةً وَلَا أَنْبَطَ وَجْهًا فِي الْعَطَاةِ  
وَأَتَّفَقَ الرَّأْيُ عَلَى رَجُلٍ الثَّقَلِ فِي عَصْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مَجْدَلٍ بِأَقَا  
الْمَنْزِلِ الثَّلَاثِ: وَأَقَامَ هُوَ جَرِيدَةً بِالْمَنْزِلِ إِلَى الصَّبَاحِ رَابِعِ الشَّهْرِ.  
وَرَكِبَ وَسَارَ فِي رَأْسِ النَّهْرِ اتِّجَارِي إِلَى فِيسَارِيَّةَ وَنَزَلَ هُنَاكَ. وَبَلَغَ  
الْبَقِيصَ طَرِيقَ الرُّطْلِ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ. وَالشَّعِيرُ الرَّابِعَ دِرْهَمَيْنِ وَنُصْفَ.  
وَالْخُبْزُ لَمْ يُوْجَدْ أَصْلًا. وَنَزَلَ فِي خَيْمَتِهِ وَكُلَّ خُبْزًا وَصَلَّى الظُّهْرَ. وَرَكِبَ  
إِلَى طَرِيقِ الْعَدُوِّ لِيَجِدَهُ إِزْشَادِهِ فِي ضَرْبِ الْمَصَافِ. وَلَمْ يَبْعُدْ إِلَى أَنْ  
دَخَلَ وَقْتُ الْعَصْرِ فَجَلَسَ سَاعَةً وَأَخَذَ جُزْأَيْنَ الرَّاحَةِ. ثُمَّ عَادَ وَرَكِبَ  
وَأَمَرَ النَّاسَ بِالرَّحِيلِ وَرَمَى خَيْمَتَهُ وَرَمَى النَّاسُ خِيَامَهُمْ فِي آخِرِ النَّهَارِ  
الْمَنْزِلِ الرَّابِعِ: وَكَانَ الرَّحِيلُ إِلَى رَايَةِ مَنَاحِيخٍ مِنْ ذَلِكَ الرَّايَةِ. وَفِي  
ذَلِكَ الْمَنْزِلِ أَتَى بِأَثْمَيْنِ مِنَ الْإِفْرِجِ قَدْ تَخَطَّفَهُمُ الْبَرْكَ. فَأَمَرَ بِضَرْبِ  
رِقَابِهَا فُقِيلًا. وَتَكَاثَرَ النَّاسُ عَلَيْهَا بِالسُّيُوفِ تَشْفِيًا. ثُمَّ بَاتَ هُنَاكَ وَأَصْبَحَ  
مُعْبَا بِالْمَنْزِلَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَصْغَعْ عَنِ الْعَدُوِّ رَجُلٌ وَأَنْتَدَى إِلَى الثَّقَلِ حَتَّى يَبْعُدَ إِلَيْهِ  
فِي ذَلِكَ اللَّيْلَةِ بِمَا طَرَأَ عَلَى النَّاسِ مِنَ الضُّيقِ فِي الْمَأْكَلِ وَالنِّفْثِ. وَرَكِبَ



فِي وَفْتِ عَادَتِهِ إِلَى جِهَةِ الْعَدُوِّ ، وَأَشْرَفَ عَلَى فَيْسَارِيَّةَ ، وَعَادَ إِلَى الثَّقَلِ  
قَرِيبَ الظُّهْرِ وَقَدْ وَصَلَ أَخْبَرُ أَنَّ الْعَدُوَّ لَمْ يَرْحَلْ بَعْدُ مِنَ الْمَلَاخَةِ ،  
وَأُخْضِرَ عِنْدَهُ اثْنَانِ أَيْضًا قَدْ أَخَذَا مِنْ أَطْرَافِ الْعَدُوِّ وَقُتِلَا شَرِّ قَتْلَوْ ،  
وَكَانَ فِي حِدَّةِ الْمُضِيئَةِ لَهَا جَرَى عَلَى أَسْرَى عَمَّا ، ثُمَّ أَخَذَ جُزْأَيْنِ الرَّاحَةِ  
وَجَلَسَ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ ، وَحَضَرَتْ عِنْدَهُ وَقَدْ أُخْضِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ  
الْعَدُوِّ فَارِسٌ مَذْكُورٌ هَبَّتُهُ نُخْبِرُ عَنْ أَنَّهُ مُتَقَدِّمٌ فِيهِمْ ، فَأُخْضِرَ تَرْجَمَانُ  
وَبَحَثَ عَنْ أَحْوَالِ النُّوْمِ وَسَأَلَهُ كَيْفَ يُسَوِّي الطَّعَامَ عِنْدَكُمْ فَقَالَ : أَوَّلَ  
يَوْمٍ رَحَلْنَا مِنْ عَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ يَشْبَعُ بِسِنِّهِ فَرَاطِيسَ فَلَمْ يَزَلِ  
السَّعْرُ يَغْلُو حَتَّى صَارَ يَشْبَعُ بِثَانِيَةِ فَرَاطِيسَ ، وَسَأَلَ عَنْ سَبَبِ  
تَأْخِيرِهِ فِي الْمَنَازِلِ فَقَالَ : لَا نَنْتَظِرُ وُصُولَ الْمَرَاكِبِ بِالرِّجَالِ وَالْمَيْرِ ،  
فَسَأَلَ عَنِ الْفَتْلِ وَالْجَرْحِ فِي يَوْمِ رَحِيلِهِمْ فَقَالَ : كَثِيرٌ ، فَسَأَلَ عَنِ  
الْجَلِّ الَّتِي هَلَكَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَالَ : يَنْدَارُ أَرْبَعُ مِائَةِ فَرَسٍ ، فَأَمَرَ  
بِضَرْبِ حَنْفِهِ ، وَنَهَى عَنِ التَّمَثُّلِ بِهِ ، فَسَأَلَ التَّرْجَمَانُ عَمَّا قَالَ السُّلْطَانُ  
فَأَخْبَرَهُ بِهَا قَالَ : تَغْيِيرٌ تَغْيِيرًا عَظِيمًا وَقَالَ : أَنَا أَخْلِصُ لَكُمْ أَسِيرًا مِنْ عَمَّا ،  
فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَلْ أَمِيرًا ، فَقَالَ : لَا أَقْدِرُ عَلَى خَلَاصِ أَمِيرٍ ، فَشَفَعَ الطَّبَعُ  
فِيهِ وَحَسَنُ خَلْقِهِ ، فَإِنِّي مَا رَأَيْتُ أُمَّ خَلْقَةٍ مِنْهُ مَعَ تَرْفٍ فِي الْأَطْرَافِ  
وَرَفَاهِيَةٍ ، فَأَمَرَ أَنْ يُتْرَكَ الْآنَ وَيُؤَخَّرَ أَمْرُهُ ، فَصَدَفَهُ وَعَانَتْهُ عَلَى مَا بَدَأَ  
مِنْهُ مِنَ الْغَدْرِ وَقَتْلِ الْأَسْرَى ، فَأَعْتَرَفَ بِأَنَّهُ قَبِيحٌ وَأَنَّهُ لَمْ يُجِرْ إِلَّا بِرِضَى  
الْمَلِكِ وَحَدِّ ، وَرَكِبَ السُّلْطَانُ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى عَادَتِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ  
تَزَلَّ أَمْرُ قَتْلِ الْفَارِسِ الْمَذْكُورِ ، وَأَتَى بَعْدَهُ بِأَتَيْنِ فَأَمَرَ بِقَتْلِهَا ، وَبَاتَ

فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَذَكَرَ لَهُ فِي الْحَرْمِ أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ تَحَرَّكَ فَتَحَوَّ فِيسَارِيَّةَ .  
 وَقَارَبَ أَوْلَاهُمْ الْبَلَدَ . فَرَأَى أَنَّ بَآخِرَ مِنْ طَرِيقِ الْعَدُوِّ مَنْزِلًا آخَرَ  
 الْمَنْزِلُ الْخَامِسُ : فَرَحَلَ وَرَحَلَ النَّاسُ إِلَى قَرِيبِ النَّوْلِ الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ  
 فَتَزَلَّ النَّاسُ وَضُرِبَتِ الْخِيَامُ . وَمَضَى هُوَ بِرَنَادُ الْأَرَاضِيَّ الْكَائِنَةِ فِي  
 طَرِيقِ الْعَدُوِّ لِيَنْظُرَ أَهْيَا أَضْحَ لِلْبَصَافِ وَتَزَلَّ قَرِيبَ الظُّهْرِ . وَاسْتَدْعَى  
 أَخَاهُ الْمَلِكَ الْعَادِلَ . وَعَلَّمَ الدِّينَ سُلَيْمَانَ . وَأَخَذَ رَأْيَهَا فِي مَا بَصَّعَ .  
 وَأَخَذَ جُزْأَيْنَ الرَّاحَةِ وَأَذِنَ الظُّهْرَ . فَصَلَّى وَرَكِبَ لِيُشْرِفَ وَلِيَكْشِفَ  
 عَنِ الْعَدُوِّ وَيَتَنَسَّمَ أَخْبَارَهُ . وَأَنَاهُ اثْنَانِ مِنَ الْإِفْرَنْجِ قَدْ نَهَبَا وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا  
 فُقْتِلَا . ثُمَّ أَتَى بِأَتْنَيْنِ آخَرَيْنِ فُقْتِلَا أَيْضًا . وَجِيءَ آخِرَ النَّهَارِ بِأَتْنَيْنِ  
 فُقْتِلَا أَيْضًا . وَعَادَ مِنَ الرُّكُوبِ وَصَلَّى صَلَاةَ الْمَغْرِبِ . وَجَلَسَ عَلَى عَادَتِهِ  
 وَاسْتَدْعَى أَخَاهُ وَصَرَفَ النَّاسَ . وَخَلَا بِهِ إِلَى هَوِيِّ مِنَ اللَّيْلِ . ثُمَّ بَاتَ  
 وَأَصْبَحَ وَنَادَى أَتَجَاوِشَ لِعَرَضِ الْمُخْلَفَةِ لَا غَيْرُ . وَرَكِبَ إِلَى جِهَةِ الْعَدُوِّ  
 وَوَقَفَ عَلَى تُلُوْلِ مُشْرِفَةٍ عَلَى فِيسَارِيَّةَ . وَكَانَ الْعَدُوُّ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهَا نَهَارَ  
 الْجُمُعَةِ سَادِسَ شَعْبَانَ . وَلَمْ يَزَلْ يُعْرِضُ هُنَاكَ إِلَى أَنْ عَلَا النَّهَارُ . ثُمَّ  
 تَزَلَّ وَكُلَّ الطَّعَامَ . وَرَكِبَ إِلَى أَخِيهِ وَعَادَ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ . وَأَخَذَ  
 جُزْأَيْنَ الرَّاحَةِ . وَأَتَى بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ مِنَ الْإِفْرَنْجِ وَأَمْرَأَةٍ إِفْرَنْجِيَّةٍ رَيْنَتْهُمْ  
 أَسِيرَةً . وَهِيَ بِنْتُ الْفَارِسِ الْمَذْكُورِ . وَمَعَهَا أَسِيرَةٌ مُسْلِمَةٌ قَدْ أَخَذَتْهَا .  
 فَأُطْلِقَتِ الْمُسْلِمَةُ . وَرُفِعَ الْبَاقُونَ إِلَى الزَّرْدَخَانَةِ وَهُوَ لَاهُ أَتَى بِهِمْ مِنْ  
 يَدَوْتِ أَخَذُوا فِي مَرْكَبٍ مِنْ جُمْلَةِ عَدُوِّ كَثِيرٍ قُتِلُوا . كُلُّ ذَلِكَ فِي نَهَارِ  
 السَّبْتِ سَابِعِ الشَّهْرِ . وَهُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ يَنْتَظِرُ رَجُلَ الْعَدُوِّ . مُجْبِعًا عَلَى



لِقَائِهِ إِذَا رَحَلَ

الْمَنْزِلُ السَّادِسُ: وَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةُ الْيَوْمِ رَكِبَ السُّلْطَانُ عَلَى عَادَتِهِ  
ثُمَّ تَزَلَّ. وَوَصَلَ مِنْ أَخِيهِ أَنَّ الْعَدُوَّ عَلَى حَرْكَةٍ. وَكَانَتْ الْأَطْلَابُ  
قَدْ بَاتَتْ حَوْلَ فِيسَارِيَّةٍ فِي مَوَاضِعِهَا. فَأَمَرَ بِهَذِهِ الطَّعَامِ وَأَطْعَمَ النَّاسَ  
فَوَصَلَ ثَانٍ وَأَخْبَرَ: أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ سَارُوا. فَأَمَرَ بِالْكُوسِ فَدُقَّ وَرَكِبَ  
وَرَكِبَ النَّاسُ وَسَارَ وَسِرْتُ فِي خِدْمَتِهِ حَتَّى أَتَى عَسْكَرَ الْعَدُوِّ وَصَفَّ  
الْأَطْلَابَ حَوْلَهُ وَأَمَرَهُمْ بِقِتَالِهِمْ وَأَخْرَجَ الْجَالِيشَ. فَكَانَ الثُّنَابُ بَيْنَهُمْ  
كَالْمَطَرِ وَكَانَ عَسْكَرُ الْعَدُوِّ قَدْ وَتَبَ. فَكَانَتْ الرِّجَالُ حَوْلَهُ كَالسُّورِ  
وَعَلَيْهِمُ اللَّبَدُ الثَّغِينَةُ وَالزَّرْدِيَّاتُ السَّابِغَةُ الْمُحْكَمَةُ يَجِيئُ يَقَعُ فِيهِمُ الثُّنَابُ  
وَلَا يَتَأَخَّرُونَ وَهُمْ يَزْمُونَ بِالزَّرْدِيَّاتِ فَيُخْرِجُ خَيْلَ الْمُسْلِمِينَ وَخَيْالَهُمْ.  
وَلَقَدْ شَاهَدْتُهُمْ وَبَتَّغَرُّزُ فِي ظَهْرِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ الْوَاحِدُ وَالْعَشْرُ وَهُوَ  
يَسِيرُ عَلَى هَيْئَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْزِعَاجٍ. وَثُمَّ قَسَمَ آخَرُ مِنَ الرِّجَالِ مُسْتَرْجِعٌ  
بِمَشُونٍ عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ وَلَا قِتَالَ عَلَيْهِمْ. فَإِذَا تَعَبَ هَؤُلَاءِ الْمُقَاتِلُونَ  
أَوْ أَنْتَحَمَ اتِّجْرَاجُ قَامَ مَقَامَهُمُ الْمُسْتَرْجِعُ وَأَسْتَرَاجَ الْقِسْمُ الْعَبَالُ. هَذَا  
وَالْحِجَالَةُ فِي وَسْطِهِمْ لَا يَخْرُجُونَ عَنِ الرِّجَالِ إِلَّا فِي وَقْتِ الْحِمْلَةِ لَا غَيْرَ.  
وَقَدْ أَنْتَسَمُوا أَيْضًا ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ الْمَلِكُ الْعَنِيْفُ جُفْرَى  
وَجَاعَةُ السَّاحِلِيَّةِ مَعَهُ فِي الْبَقْدَمَةِ وَالْأَنْكَتَارُ وَالْفَرَنْسِيْسُ مَعَهُ فِي  
الْوَسْطِ وَأَوْلَادُ الْإِسْتِ أَصْحَابُ طَبَرِيَّةٍ وَطَائِفَةٌ أُخْرَى فِي السَّاقَةِ. وَفِي  
وَسْطِ الْقَوْمِ بُرْجٌ عَلَى عَجَلَةٍ وَعَلَيْهِ كَالْمَنَارَةِ الْعَظِيمَةِ. هَذَا تَرْتِيبُ الْقَوْمِ  
عَلَى مَا شَاهَدْتُهُ. وَأَخْبَرَ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَسْرَى وَالْمُسْتَأْمِنِينَ.

وَسَارُوا عَلَى الْيَثَالِ وَسُوقُ الْحَرْبِ فَائِثَةٌ وَالْمُسْلِمُونَ يَرْمُونَهُمُ بِالنَّشَابِ  
 مِنْ جَوَانِبِهِمْ وَيَحْرِكُونَ عِزَائِهِمْ حَتَّى يَخْرُجُوا . وَهُمْ يَحْفَظُونَ نَفْسَهُمْ  
 حِفْظًا عَظِيمًا وَيَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى هَذَا الْوَضْعِ وَيَسِيرُونَ سِرًّا  
 رَفِيقًا وَمَرَكَبُهُمْ تَسِيرُ فِي مُقَابَلَتِهِمْ فِي الْبَحْرِ إِلَى أَنْ أَتَوْا الْمَنْزِلَ . وَكَانَتْ  
 مَنَارُهُمْ قَرِيبَةً لِأَجْلِ الرِّجَالِ . فَإِنَّ الْمُسْتَرِجِينَ مِنْهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ  
 أَثْقَالَهُمْ وَخِيَمَهُمْ لِنَفْلِهِ الظَّهْرِ عَلَيْهِمْ . فَأَنْظَرُوا إِلَى صَبْرِهِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى  
 الْأَعْمَالِ الشَّاقَةِ . وَكَانَ مَثَرَتُهُمْ فَاطِعَ نَهْرٍ فِيسَارِيَّةٍ

الْمَنْزِلُ السَّابِعُ : وَلَمَّا كَانَتْ صَبِيحَةُ النَّاسِ وَصَلَ مَنْ أَخْبَرَ أَنَّ الْعَدُوَّ  
 قَدْ رَكِبَ سَائِرًا فَرَكِبَ السُّلْطَانُ أَوَّلَ الضُّعْفِ وَطَلَبَ الْأَطْلَابَ وَأَخْرَجَ  
 مِنْ كُلِّ جَانِبٍ جَالِشًا . فَسَارَ بِطَلَبِ الْقَوْمِ وَطَافَ الْجَالِشُ حَوْلَهُمْ مِنْ  
 كُلِّ جَانِبٍ وَتَرَوْهُمْ بِالنَّشَابِ . وَهُمْ سَائِرُونَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ عَلَى الْيَثَالِ  
 الَّذِي حَكَمْتُهُ . وَكُلُّهَا ضَعْفٌ فِيمَا عَاوَنَهُ الَّذِي يَلِيهِ . وَهُمْ يَحْفَظُونَ بَعْضُهُمْ  
 بَعْضًا . وَالْمُسْلِمُونَ مُحْدِقُونَ بِهِمْ مِنْ ثَلَاثَةِ جَوَانِبٍ وَالْقِتَالُ عَلَيْهِمْ شَدِيدٌ  
 وَالسُّلْطَانُ يُقَرِّبُ الْأَطْلَابَ . وَرَأَيْتُهُ هُوَ يَسِيرُ نَفْسَهُ بَيْنَ الْجَالِشِينَ .  
 وَنَشَابُ الْقَوْمِ يُجَاوِزُهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا صَيَّانٌ مُحْيِيٌّ لَا غَيْرَ . وَهُوَ يَسِيرُ  
 مِنْ طَلَبٍ إِلَى طَلَبٍ يَجْتَنِبُهُمْ عَلَى التَّقَدُّمِ وَيَأْمُرُهُمْ بِضَائِفَةِ الْقَوْمِ وَمُقَاتَلَتِهِمْ  
 وَالْكُوسَاتُ تَخْفِقُ وَالْبُوقَاتُ تَنْعُرُ وَالصَّبَاحُ بِالنَّهْلِيلِ وَالْكَبِيرُ يَرْتَفِعُ . هَذَا  
 وَالْقَوْمُ عَلَى أَمْرِ ثَبَاتٍ عَلَى تَرْبِيَتِهِمْ لَا يَتَغَيَّرُونَ وَلَا يَتَرَعَّبُونَ . وَجَرَتْ  
 حَالَاتٌ كَثِيرَةٌ وَرَجَّالُهُمْ تَجَرَّحُ الْمُسْلِمِينَ وَخَبُلُوا بِالزَّرْتُوكِ وَالنَّشَابِ .  
 وَلَمْ تَزَلْ حَوَالِيَهُمْ تَقَاتِلُهُمْ وَتَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَكْرَهُونَ بَيْنَ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ



فَمُ يَعْمُرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أَتَوْا نَهْرًا يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْقَصَبِ تَزَلُّوا عَلَيْهِ .  
 وَقَدْ قَامَتِ الظُّلُمَةُ وَضَرَبُوا خِيَامَهُمْ . وَتَرَجَعَ النَّاسُ عَنْهُمْ فَلَمَّ بِهِمْ إِذَا  
 كَانُوا تَزَلُّوا أَيْسَ النَّاسُ مِنْ أَنْ يَنْتَمِعَ بِهِمْ وَرَجَعُوا عَنْ قِيَامِهِمْ . وَفِي  
 ذَلِكَ الْيَوْمِ قُتِلَ مِنْ فُرْسَانِ الْإِسْلَامِ شُجَاعٌ كَثِيرَةٌ لِإِبَارِ الطُّوِيلِ بَعْضُ  
 مَمَالِكِ السُّلْطَانِ . وَكَانَ قَدْ قَتَلَ فِيهِمْ وَقَتَلَ خَلْفًا مِنْ خِيَالَتِهِمْ وَتُجَعَانِيهِمْ  
 وَكَانَتْ قَدْ اسْتَفَاضَتْ شُجَاعَتُهُ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ بِحَيْثُ أَنَّهُ جَرَتْ لَهُ وَقَعَاتٌ  
 كَثِيرَةٌ وَصَدَقَتْ أَخْبَارُ الْأَوَّلِ . وَصَارَ بِحَيْثُ إِذَا عَرَفَهُ الْإِفْرَنْجُ فِي  
 مَوْضِعٍ يَخَافُونَهُ وَتَقْنَطَرِيهِ فَرَسُهُ وَاسْتَشْهَدَ وَحَزِنَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ حُزْنًا  
 عَظِيمًا وَدُفِنَ عَلَى تَلٍّ مُشْرِيفٍ عَلَى الْبِرْكَةِ . وَنَزَلَ السُّلْطَانُ بِالثَّقَلِ عَلَى  
 الْبِرْكَةِ وَهِيَ مَوْضِعٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ مِائَةٌ كَثِيرَةٌ وَأَقَامَ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ إِلَى  
 بَعْدِ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَأَطْعَمَ النَّاسَ خُبْزًا وَاسْتَرَا حُوا سَاعَةً . ثُمَّ رَحَلَ وَأَتَى  
 نَهْرَ الْقَصَبِ وَنَزَلَ عَلَيْهِ أَيْضًا فَشَرِبَ مِنْهُ قَلِيلًا مِنْ أَعْلَاهُ وَالْعَدُوُّ يَشْرَبُ  
 مِنْ أَسْفَلِهِ . لَيْسَ بَيْنَنَا إِلَّا مَسَافَةٌ يَسِيرَةٌ وَبَلَغَ الشَّعِيرُ الرَّابِعَ مِائَةَ دِرَاهِمٍ  
 وَالتَّخَبُّرُ مَوْجُودٌ كَثِيرٌ وَسِعْرُهُ رَطْلٌ يَنْصَفُ دِرْهَمًا . وَأَقَامَ يَشْتَظِرُّ رَجُلٌ  
 الْإِفْرَنْجَ حَتَّى يَرَحَلَ فِي مُقَابِلَتِهِمْ . وَبَاتُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ هُنَاكَ وَبَعْنَا أَيْضًا  
 ذِكْرُ وَقَعَةِ جَرَتْ

وَذَلِكَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعَسْكَرِ الْإِسْلَامِيِّ كَانُوا مُشْرِفِينَ عَلَى الْعَدُوِّ  
 فَصَادَفُوا جَمَاعَةً مِنْهُمْ يَشْتَوْفُونَ أَيْضًا عَلَى الْعَسْكَرِ الْإِسْلَامِيِّ فَظَفَرُوا بِهِمْ  
 وَهَجَّوْا عَلَيْهِمْ وَجَرَى بَيْنَهُمْ قِتَالٌ عَظِيمٌ فَقُتِلَ مِنَ الْعَدُوِّ جَمَاعَةٌ وَأَحْسَنُ  
 بِهِمْ عَسْكَرُ الْعَدُوِّ . فَتَارَ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَاتَّصَلَ الْحَرْبُ وَقُتِلَ أَيْضًا

مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَفَرَانِ وَأَسْرَيْنَ الْعَدُوَّ ثَلَاثَةً وَمَثَلُوا بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ  
فَسَأَلَهُ عَنِ الْأَحْوَالِ . فَأَخْبَرُوا أَنَّ الْمَلِكَ أَنْكَرَ كَانَتْ قَدْ حَضَرَ عَنْدهُ  
بِعَكا أَثْنَانِ بَدَوِيَّانِ وَأَنَّهَا أَخْبَرَا لَهُ بِفِيلَةِ الْعَسْكَرِ الْإِسْلَامِيِّ وَذَلِكَ الَّذِي  
أَطْبَعَهُ حَتَّى خَرَجَ . وَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ بِالْأَمْسِ بَعِي الْأَثْنَيْنِ رَأَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ  
فِيَالَا عَظِيمًا وَأَسْكَرَ الْأَطْلَابَ وَأَنَّهُ جُرِحَ زُهَّاءُ أَلْفٍ نَفَرٍ وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ  
وَأَنَّ ذَاكَ الَّذِي أَوْجَبَ إِقَامَتَهُ الْيَوْمَ حَتَّى يَسْتَرْجِعَ عَسْكَرُهُ . وَأَنَّهُ لَمَّا رَأَى  
مَا أَصَابَهُ مِنَ الْقِتَالِ الْعَظِيمِ وَكَثَرِ الْمُسْلِمِينَ أَحْضَرَ الْبَدَوِيَّيْنِ عَنْدهُ  
وَلَوَقَفَهُمَا وَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمَا . وَأَقَامَنَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي نِلكَ الْمَنْزِلَةِ لِإِقَامَةِ  
الْعَدُوِّ وَهُوَ الثَّلَاثَةُ الْعَاشِرُ مِنْ شَعْبَانَ

الْمَثِيلُ الثَّامِنُ : وَلَمَّا كَانَتْ ظَهِيرَةُ الْيَوْمِ الْمَذْكُورِ رَأَى السُّلْطَانُ عَلَى  
الرَّحِيلِ وَالنَّهْدَمِ إِلَى قُدَامِ الْعَدُوِّ فَدُقَّ الْكُوسُ وَرَحَلَ النَّاسُ وَدَخَلَ  
فِي شَعْرَاءَ أَرْسُوفَ حَتَّى تَوَسَّطَهَا إِلَى نَلٍّ عِنْدَ قَرْيَةٍ تُسَمَّى دَبْرَ الرَّاهِبِ  
فَقَتَلَ هُنَاكَ وَدَحِمَ النَّاسَ اللَّيْلُ وَهُمْ يَنْقُطُونَ فِي الشَّعْرَاءِ وَأَصْبَحَ مِنْهَا  
يَتَنَظَّرُ بَقِيَّةُ الْعَسَاكِرِ إِلَى صَبَاحِ الْأَرْبَعَاءِ الْحَادِيَةِ عَشَرَ . وَتَلَاخَصَتْ  
الْعَسَاكِرُ وَرَكِبَ يَرْنَادُ مَوْضِعًا بَصُحُ لِقَائِهِ وَلِقَاءَ الْعَدُوِّ . وَأَقَامَ ذَلِكَ  
الْيَوْمَ أَجْمَعَ هُنَاكَ . وَمِنْ أَخْبَارِ الْعَدُوِّ فِي نِلكَ الْمَنْزِلَةِ أَنَّهُ أَقَامَ عَلَى نَهْرِ  
النَّصَبِ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَيْضًا . وَأَنَّهُ لَحِقَهُ نَجْدَةٌ مِنْ عَكَا فِي قَهَابٍ بَطَسَ  
كِبَارَ وَبَزَكَ الْإِسْلَامَ حَوْلَهُ يُوَاصِلُونَ بِالْأَخْبَارِ الْمُسْتَجِدَّةِ مِنْهُمْ

ذِكْرُ مِرَاسَلِهِ جَرَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ

وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدُوَّ طَلَبَ مِنَ الْبِزْكِ مَنْ يَتَحَدَّثُ مَعَهُ . وَكَانَ مُنْهَدِمٌ



الْبِرِّكَ عِلْمَ الدِّينِ سُلْبَانٍ فَإِنَّمَا كَانَتْ نَوْبَتُهُ . فَلَمَّا مَضَى إِلَيْهِمْ مَنْ سَمِعَ  
كَلَامَهُمْ كَانَ كَلَامُهُمْ طَلَبَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ حَتَّى يَتَّخِذُوا مَعَهُ . فَاسْتَأْذَنَ  
وَمَضَى وَبَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْبِرِّكَ وَيَتَّخِذُونَ مَعَهُ وَكَانَ حَاصِلُ حَدِيثِهِمْ  
أَنَّا قَدْ طَالَ بَيْنُنَا الْفِتَالُ وَأَنَّهُ قَدْ قُتِلَ مِنْ أَجْمَانِيَيْنِ الرَّجَالُ الْأَبْطَالُ  
وَأَنَّا نَحْنُ جُنَا فِي نَصْرِهِ أَفْرَنْجِ السَّاحِلِ . فَاصْطَلَحُوا أَنَّهُمْ وَهُمْ وَكُلُّ مِنَّا يَرْجِعُ  
إِلَى مَكَانِهِ . وَكَتَبَ السُّلْطَانُ إِلَى أَخِيهِ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّانِي  
وَالْعَشْرَ رُفْعَةً يَقُولُ لَهُ فِيهَا : إِنِّي قَدَرْتُ أَنْ تُطَوِّلَ الْإِفْرَنْجَ فَلَعَلَّهُمْ يُفْسِدُونَ  
الْيَوْمَ حَتَّى يُلْحِقَنَا النُّزْكَانُ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَرَّبُوا مِنَّا

### ذِكْرُ أَجْمَاعِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ وَالْأَنْكَنَارِ

وَلَمَّا عَرَفَ الْأَنْكَنَارُ وَصُولَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ إِلَى الْبِرِّكَ طَلَبَ الْأَجْمَاعَ  
بِهِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ . فَاجْتَمَعَا بِخَوْفٍ مِنْ أَصْحَابِهَا وَكَانَ يُنَزِّجُ بَيْنَهُمَا ابْنُ  
الْهَنْفَرِيِّ وَهُوَ مِنْ أَفْرَنْجِ السَّاحِلِ مِنْ كِبَارِهِمْ وَرَأَيْتُهُ يَوْمَ الصُّلْحِ وَهُوَ  
شَابٌّ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّهُ مَخْلُوقُ الْحَيَّةِ عَلَى مَا هُوَ شِعَارُهُمْ . وَكَانَ الْحَدِيثُ  
بَيْنَهُمَا أَنَّ الْأَنْكَنَارَ شَرَعَ فِي ذِكْرِ الصُّلْحِ وَأَنَّ الْمَلِكَ الْعَادِلَ قَالَ لَهُ : أَنْتُمْ  
تَطْلُبُونَ الصُّلْحَ وَلَا تَذْكُرُونَ مَطْلُوبَكُمْ فِيهِ حَتَّى أَتَوْسَطَ أَنَا الْحَالَ مَعَ  
السُّلْطَانِ . فَقَالَ الْأَنْكَنَارُ : الْقَاعِدَةُ أَنْ تَعُودَ الْبِلَادُ كُلُّهَا إِلَيْنَا وَتَنْصَرِفُوا  
إِلَى بِلَادِكُمْ فَأَخْشَنَ لَهُ الْجَوَابَ وَجَرَتْ مُنَاقَرَةٌ أَقْتَضَتْ أَنَّهُمْ رَحَلُوا بَعْدَ  
أَنْفَصَالِهِمْ . وَلَمَّا أَحَسَّ السُّلْطَانُ بِرَحِيلِهِمْ أَمَرَ الثَّقَلِ بِالرَّحِيلِ وَوَقَفَ هُوَ  
وَعَمَى النَّاسَ نَعِيَةَ الْفِتَالِ . وَسَارَ الثَّقَلُ الصَّغِيرُ أَيْضًا حَتَّى قَارَبَ الثَّقَلُ  
الْكَبِيرَ . ثُمَّ وَدَّ أَنْ يَمُرَّ السُّلْطَانُ بِعَوْدِهِمْ إِلَيْهِ . فَعَادُوا وَوَصَلُوا وَقَدْ دَخَلَ

الليل وتَحَبَّطَ النَّاسُ نِلْكَ اللَّيْلَةِ تَحَبُّطًا عَظِيمًا وَاسْتَدْعَى أَخَاهُ لِيَعْرِفَهُ مَا  
جَرَّ سَيْتُهُ وَيَبَيِّنَ الْمَلِكِ . وَخَلَايِهِ لِذَلِكَ وَذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ ثَالِثَ  
عَشَرَ . وَأَمَّا الْعَدُوُّ فَإِنَّهُ سَارَ وَتَزَلَّ عَلَى مَوْضِعٍ يُسَمَّى الْبِرْكَهَ أَيْضًا يُشْرِفُ  
عَلَى الْبَحْرِ وَأَصْبَحَ السُّلْطَانُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مُتَطَلِّعًا إِلَى أَخْبَارِ الْعَدُوِّ .  
فَأَحْضَرَ عِنْدَهُ اثْنَانِ مِنَ الْإِفْرَنْجِ قَدْ تَخَطَّفَهَا الْبِرْكَهَ . فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَغْنَانِهَا  
وَوَصَلَ مَنْ أَخْبَرَ أَنَّ الْعَدُوَّ لَمْ يَدْخُلِ الْيَوْمَ مِنْ مَنَازِلِهِ تِلْكَ . فَتَزَلَّ  
السُّلْطَانُ وَاجْتَمَعَ بِأَخِيهِ بَعْدَ ثَنَانٍ بِهَذَا الْأَمْرِ وَمَا يَصْنَعُ مَعَ الْعَدُوِّ . وَبَاتَ  
نِلْكَ اللَّيْلَةِ فِي تِلْكَ الْمَنَزِلَةِ

ذِكْرُ وَفْعَةِ أَرْسُوفَ وَهِيَ أَتَتْ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ رَابِعَ عَشَرَ بَلَغَ السُّلْطَانُ أَنَّ الْعَدُوَّ حَرَّكَ الرَّجُلَ  
نَحْوَ أَرْسُوفَ . فَارْتَكَبَ وَرَثَتُ الْأَطْلَابِ لِلِقَتَالِ وَعَزَمَ عَلَى مُضَاقِقِهِمْ فِي  
ذَلِكَ الْيَوْمِ وَمُضَادَّتِهِمْ . وَأَخْرَجَ الْجُيُوشَ مِنْ كُلِّ طَلَبِ . وَسَارَ الْعَدُوُّ  
حَتَّى قَارَبَ شَعْرَاءَ أَرْسُوفَ وَبَسَاتِينَهَا وَأَطْلَقَ عَلَيْهِمُ الْجُيُوشُ النَّشَابَ  
وَلَزَبَتْهُمُ الْأَطْلَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَالسُّلْطَانُ بِقُرْبِ بَعْضِهَا وَيُوقِفُ  
بَعْضَهَا وَيُضَاقِقُ الْعَدُوَّ مُضَاقِقَةً عَظِيمَةً وَالنَّعْمَ الْقِتَالُ وَأَضْطَرَمَّتْ نَارُهُ  
مِنَ الْجُيُوشِ وَقِيلَ مِنْهُمْ وَجُرْحَ . فَاسْتَدَّوْا فِي السَّيْرِ عَسَاكُمُ يُلْغُونَ  
الْمَنَزِلَةَ فَيَنْزِلُونَ وَاسْتَدَّ بِهِمُ الْأَمْرُ وَضَاقَ بِهِمُ الْخِنَاقُ وَالسُّلْطَانُ يَطُوفُ  
مِنَ الْمَيْمَنَةِ إِلَى الْمِيسَرِ يَحْتَفِظُ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ وَلَقِيَتْهُ مِرَارًا لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا  
صَبِيَانِ مَحْبَبَيْنِ لَا غَيْرَ وَلَقِيَتْ أَخَاهُ وَهُوَ عَلَى مِثْلِ الْحَالِ وَالنَّشَابُ يُجَاوِزُهُمَا  
وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ يَشْتَدُّ بِالطَّبَعِ لِلْعَدُوِّ وَطَبَعَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمْ طَبَعًا عَظِيمًا



حَتَّى وَصَلَ أَوَّلُ رَاحِلِهِمْ إِلَى بَسَاتِينِ أَرْضِ سُوْفَ . ثُمَّ اجْتَمَعَتِ الْجَمَالَةُ  
وَتَوَاصَوْا عَلَى الْحَمَلَةِ خَشْيَةً عَلَى الْقَوْمِ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يُجِيبُهُمْ إِلَّا الْحَمَلَةُ .  
وَلَقَدْ رَأَوْهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعُوا فِي وَسْطِ الرِّجَالِ وَأَخَذُوا رِمَاحَهُمْ وَصَالَحُوا صَبْحَةَ  
الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَفَرَجَ لَهُمْ رَجَالَتَهُمْ وَحَمَلُوا حَمَلَةً وَاحِدَةً مِنَ الْجَوَانِبِ كُلِّهَا  
فَحَمَلَتْ طَائِفَةً عَلَى الْمَيْمَنَةِ وَطَائِفَةً عَلَى الْمَشْرِعِ وَطَائِفَةً عَلَى الْقَلْبِ . فَأَنْدَفَعَ  
النَّاسُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَاتَّفَقَ أَنِّي كُنْتُ فِي الْقَلْبِ فَفَرَّ الْقَلْبُ فِرَارًا عَظِيمًا  
فَنَوَيْتُ التَّخِيزَ إِلَى الْمَشْرِعِ وَكَانَتْ أَقْرَبَ إِلَيَّ وَوَصَلْتُهَا وَقَدْ انْكَسَرَتْ  
كُسْرَةً عَظِيمَةً وَفَرَّتْ أَشَدَّ فِرَارًا مِنَ الْكُلِّ . فَنَوَيْتُ التَّخِيزَ إِلَى طَلَبِ  
السُّلْطَانِ وَكَانَ رِذْءُ الْأَطْلَابِ كُلِّهَا كَمَا جَرَتْ الْعَادَةُ وَلَمْ يَبْقَ لِلْسُّلْطَانِ  
فِيهِ إِلَّا سَبْعَةٌ عَشَرَ مُقَاتِلًا لَا غَيْرَ وَأَخَذَ الْبَاقِينَ إِلَى الْيَتَالِ . لَكِنَّ الْأَعْلَامَ  
كُلَّهَا بِأَفِيَّةٍ ثَابِتَةٍ وَالْكُوسُ يَدُقُّ لَا يَنْتَرُ . وَأَمَّا السُّلْطَانُ فَإِنَّهُ لَمَّا رَأَى مَا  
نَزَلَ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ النَّازِلَةِ . سَارَ حَتَّى أَتَى طَلِبَةً فَوَجَدَ فِيهِ هَذَا النِّفَرِ  
الْقَلِيلَ . فَوَقَفَ فِيهِ وَالنَّاسُ يَفْتُرُونَ مِنَ الْجَوَانِبِ وَهُوَ يَأْمُرُ أَصْحَابَ  
الْكُوسِ بِالدَّقِّ بِحَيْثُ لَا يَفْتُرُونَ وَكُلُّهَا رَأَى فَارًا يَأْمُرُ مَنْ يُحْضِرُهُ عَنْهُ  
وَفِي الْجَمَلَةِ مَا أَفْصَرَ النَّاسُ فِي فِرَارِهِمْ . فَإِنَّ الْعَدُوَّ حَمَلَ حَمَلَةً فَفَرُّوا . ثُمَّ  
وَقَفَ خَوْفًا مِنَ الْكَبِيرِ فَوَقَفُوا وَقَاتَلُوا . ثُمَّ حَمَلَ حَمَلَةً ثَانِيَةً . فَفَرُّوا وَهُمْ  
يُقَاتِلُونَ فِي فِرَارِهِمْ ثُمَّ وَقَفَ فَوَقَفُوا . ثُمَّ حَمَلَ حَمَلَةً ثَالِثَةً حَتَّى بَلَغَ إِلَى رُؤْسِ  
رَوَايِ هُنَاكَ وَأَعَالِي تُلُولِ . فَفَرُّوا إِلَى أَنْ وَقَفَ الْعَدُوُّ وَوَقَفُوا . وَكَانَ  
كُلُّ مَنْ رَأَى طَلَبَ السُّلْطَانِ وَاقِفًا وَالْكُوسُ يَدُقُّ بِسُخْيِ أَنْ يُجَاوِزَهُ  
وَيَخَافُ غَائِلَةَ ذَلِكَ فَيَعُودُ إِلَى الطَّلَبِ . فَاجْتَمَعَ فِي الْقَلْبِ خَلْفٌ عَظِيمٌ

وَوَقَفَ الْعَدُوُّ قُبَالَتِهِمْ عَلَى رُؤُسِ الثُّلُوبِ وَالرُّوَاقِي وَالسُّلْطَانُ وَقَفَ فِي  
 طَلَبِهِ وَالنَّاسُ يَجْتَنِبُونَ عَلَيْهِ حَتَّى أَتَتْ الْعَسَاكِرُ بِأَسْرِهَا وَخَافَ الْعَدُوُّ أَنْ  
 يَكُونَ فِي الشُّعْرَاءِ الْكَاذِبِينَ. فَتَرَا جَعُوا يَطْلُبُونَ الْمَنْزِلَةَ وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى  
 تَلٍّ فِي أَوَائِلِ الشُّعْرَاءِ وَنَزَلَ عَلَيْهِ فِي خَيْبَتِهِ. وَلَقَدْ كُنْتُ فِي خِدْمَتِهِ أَسْلِيهِ  
 وَهُوَ لَا يَقْبَلُ السُّلُوكَ وَظَلَّلَ عَلَيْهِ بِهَنْدِيلٍ وَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَطْعَمَ شَيْئًا فَلَحِضَرَ  
 لَهُ شَيْءٌ لَطِيفٌ فَتَنَاوَلَ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا وَبَعَثَ النَّاسُ خَيْلَهُمُ لِلسَّفَرِ فَإِنْ  
 الْهَكَانَ كَانَ يَعِيدُنَا وَجَلَسَ يَتَنَظَّرُ النَّاسَ مِنَ الْعَوْدِ مِنَ السَّفَرِ وَالْمُجْرَحَى  
 يُحْضِرُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَتَقَدَّمُ بِهَذَا وَلِأَنَّهُمْ وَخَلِمَ وَقُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ  
 رَجَالٌ كَثِيرَةٌ وَجُرِحَ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ. وَكَانَ مِنْ تَبَتِ الْمَلِكُ الْعَادِلُ  
 وَالطَّوَّاشِي قَابِإَازُ النُّجَيِّ وَالْمَلِكُ الْأَفْضَلُ وَلَهُ وَصْدِمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ  
 وَانْفَعَ دُمْلٌ كَانَ فِي وَجْهِهِ وَسَالَ مِنْهُ دَمٌ كَثِيرٌ عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ صَابِرٌ  
 مُخْتَسِبٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ. وَتَبَتَ أَيْضًا طَلَبُ الْمُوصِلِيِّ وَمَقْدَمُهُ عَلَاءُ الدِّينِ  
 وَشُكْرَةُ السُّلْطَانِ عَلَى ذَلِكَ وَتَفَقَّدَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَوَجَدُوا قَدْ  
 اسْتَشْهَدَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَسْكَرِ عُرِفَ مِنْهُمْ أَمِيرٌ كَبِيرٌ مُوسِيكٌ. وَكَانَ تُجَاعَا  
 مَعْرُوفَا وَقَابِإَازُ الْعَادِلِيِّ وَكَانَ مَذْكَورَا وَلَبْغُوشٌ وَكَانَ تُجَاعَا. وَجُرِحَ  
 خَلْقٌ كَثِيرٌ وَخُبُولٌ كَثِيرٌ. وَقُتِلَ مِنَ الْعَدُوِّ جَمَاعَةٌ وَأَسِيرَ وَاحِدٌ فَأَحْضَرَ  
 فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ وَأُخِذَتْ مِنْهُمْ خُبُولٌ أَرْبَعَةٌ. وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ رَحِمَهُ  
 اللَّهُ إِلَى الثَّقَلِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى الْعُوجَاءِ فَأَمْنَادَتُهُ وَتَقَدَّمَتْهُ إِلَى الْمَنْزِلِ وَجَلَسَ  
 هُوَ يَتَنَظَّرُ أَجْفَاعَ الْعَسَاكِرِ وَمَا يَرِدُ مِنْ أَخْبَارِ الْعَدُوِّ. وَكَانَ الْعَدُوُّ قَدْ  
 نَزَلَ عَلَى أَرْضِ سَوْفَ



الْمَنْزِلُ النَّاسِيعُ: وَسِرْتُ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ حَتَّى أَتَيْتُ الثَّنَلَّ وَقَدْ نَزَلَ  
 قَاطِعَ النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْعُوجَاءِ فِي مَنَزِلِهِ خَضْرَاءَ طَيِّبَةٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ  
 وَوَصَلَ السُّلْطَانُ إِلَى الْمَنْزِلَةِ آخِرِ النَّهَارِ. وَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى الْفَنْطَرَةِ.  
 فَتَنَلَّ عَلَى تَلٍّ مُشْرِفٍ عَلَى النَّهْرِ وَلَمْ يَبْعُدْ إِلَى الْخَيْمَةِ وَأَمَرَ الْجَاوِشَ أَنْ  
 يَنَادِيَ فِي الْعَسْكَرِ بِالْعُبُورِ إِلَيْهِ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْوَقْعَةِ أَمْرٌ لَا يَبْلُغُهُ  
 إِلَّا اللَّهُ وَالنَّاسُ بَيْنَ جَرِيحِ الْجَسَدِ وَجَرِيحِ الْقَلْبِ. وَأَقَامَ السُّلْطَانُ إِلَى  
 سُحُورِ الْخَمِيسِ عَشَرَ وَخُمُسَ الْكُوسِ وَرَكِبَ النَّاسُ وَسَارَ رَاجِعًا إِلَى جِهَةِ  
 الْعَدُوِّ حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَرِيبِ أَرْسُوفَ وَصَفَّ الْأَطْلَابَ لِلْقِتَالِ رَجَاءً  
 خُرُوجِ الْعَدُوِّ وَمَسِيرِهِ حَتَّى يُصَادِفَهُ. فَلَمْ يَرَحَلِ الْعَدُوُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ  
 لِمَا نَالَهُ مِنَ النَّعْبِ وَأَقَامَ فَبَالَتْهُمْ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ وَعَادَ إِلَى مَنَزِلِهِ الَّتِي بَاتَ  
 بِهَا. وَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةُ السَّادِسِ عَشَرَ دَقَّ الْكُوسُ وَرَكِبَ النَّاسُ  
 وَسَارَ بِحَوْفِهِمْ وَوَصَلَ خَبَرُ الْعَدُوِّ أَنَّهُ قَدْ رَحَلَ طَالِبًا جِهَةَ يَافَا فَفَارَبَهُمْ  
 مُنَارِبَةً عَظِيمَةً وَرَتَّبَ الْأَطْلَابَ تَرْتِيبَ الْقِتَالِ وَأَخْرَجَ الْجَالِيشَ وَأَخَذَ  
 الْعَسْكَرُ الْإِسْلَامِيُّ بِالْقَوْمِ وَالْفُتُوخُ عَلَيْهِمْ مِنَ الشَّابِ مَا كَادَ يَسُدُّ الْأُفُقَ  
 وَقَاتَلَهُمْ قُلُوبُهُمْ قِتَالِ الْحَنَقِ وَقَصَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَحْرِيكَ عَزَائِهِمْ عَلَى الْحِمْلَةِ  
 حَتَّى إِذَا حَلُّوا أَلْفَى النَّاسَ عَلَيْهِمْ وَيُعْطِي اللَّهُ النَّصْرَ لِمَنْ يَشَاءُ. فَلَمْ يَجْهَلُوا  
 وَحَفِظُوا أَنْفُسَهُمْ وَسَارُوا مُصْطَفِينَ عَلَى عَادَتِهِمْ حَتَّى أَتَوْا نَهْرَ الْعُوجَاءِ وَهُوَ  
 النَّهْرُ الَّذِي مَنَزَلْتَنَا أَعْلَاهُ. فَتَنَلَّ فِي أَسْنَلِهِ وَعَبَّرَ بَعْضُهُمْ إِلَى غَرْبِ النَّهْرِ  
 وَأَقَامَ الْبَاقُونَ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ. فَلَمَّا عَلِمَ النَّاسُ بِتُرُوحِهِمْ تَرَاجَعَ النَّاسُ  
 عَنْهُمْ وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى الثَّنَلِّ وَنَزَلَ فِي خَيْمَتِهِ وَأَطْعِمَ الطَّعَامَ وَأَتَى

بَارَبَعَةٍ مِنَ الْإِفْرِنجِ قَدْ أَخَذَتْهُمُ الْعَرَبُ وَمَعَهُمْ امْرَأَةٌ فَرَفَعُوا إِلَى  
الزَّرْدَخَانَةِ وَأَقَامَ بَقِيَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكْتُبُ الْكُتُبَ إِلَى الْأَطْرَافِ بِاسْتِخْضَارِ  
بَقِيَّةِ الْعَسَاكِرِ وَحَضَرَ مِنْ أَخْبَرِهِ أَنَّهُ قُتِلَ مِنَ الْعَدُوِّ يَوْمَ أَرْسُوفَ خَيْلٌ  
كَثِيرَةٌ وَأَنَّهُ تَتَّبَعَهَا الْعَرَبُ وَعَدَّوْهَا وَزَادَتْ عَلَى مِثْلِهَا وَأَمَرَ السُّلْطَانُ أَنْ  
تَرْحَلَ الْأَهْجَالُ وَتَقْدَمَ إِلَى الرَّمْلَةِ وَبَاتَ هُوَ بِبَيْتِكَ الْمُنْزِلَةِ

الْمُنْزِلُ الْعَاشِرُ: وَلَمَّا كَانَ سَابِعَ عَشَرَ صَبَّحَ وَرَحَلَ وَرَحَلَ مَعَهُ  
الثَّقَلُ الصَّغِيرُ وَسَارَ يُرِيدُ الرَّمْلَةَ وَأَتَى بِأَتْنَيْنِ مِنَ الْإِفْرِنجِ فَأَمَرَ بِضَرْبِ  
أَعْنَافِهَا. وَوَصَلَ مِنَ الْبَزَكِ مَنْ أَخْبَرَ أَنَّ الْعَدُوَّ رَحَلَ مِنْ يَافَا. وَسَارَ  
السُّلْطَانُ إِلَى أَنْ أَتَى الرَّمْلَةَ وَأَتَى بِأَتْنَيْنِ مِنَ الْإِفْرِنجِ أَيْضًا. فَسَأَلَهُمَا عَنْ  
أَخْوَالِهِمْ. فَذَكَرَا أَنَّهُمْ رَبَّاهَا أَقَامُوا بِيَافَا أَيَّامًا وَفِي أَنْفُسِهِمْ عَارَ بِهَا وَاشْتَاَهَا  
بِالرِّجَالِ وَالْعَدَدِ. وَأَخْضَرَ السُّلْطَانُ أَرْبَابَ مَشُورَتِهِ وَشَاوَرَهُمْ فِي أَمْرِ  
عَسْقَلَانَ وَهَلْ لَهَا تَخَرُّبٌ أَوْ تَبْقَى. وَاتَّفَقَ الرَّأْيُ عَلَى أَنْ يَتَخَلَّفَ الْمَلِكُ  
الْعَادِلُ وَمَعَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَسْكَرِ مُقَارِبَ الْعَدُوِّ لِيَعْرِفَ أَخْوَالَهُمْ وَلِيَتَصَالَمَا  
وَأَنْ يَسِيرَ هُوَ وَيُخْرِبَ عَسْقَلَانَ خَشْيَةً أَنْ يَسْتَوِلِيَ عَلَيْهَا الْإِفْرِنجُ وَهَبَ  
عَامِرٌ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيَأْخُذُوا بِهَا الْقُدْسَ الشَّرِيفَ  
وَيَقْطَعُونَ بِهَا طَرِيقَ مِصْرَ وَخَشِيَ السُّلْطَانُ مِنْ ذَلِكَ وَعَلِمَ عَجْزَ الْمُسْلِمِينَ  
عَنْ حِفْظِهَا لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ مِنْ عَكَّا وَمَا جَرَى عَلَى مَنْ كَانَ مِنْهَا بِهَا. فَتَعَيَّنَ  
لِذَلِكَ خَرَابُ عَسْقَلَانَ. فَسَارَ الثَّقَلُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ. وَتَقَدَّمَ إِلَى وَلِيِّ  
الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ أَنْ سَارَ حَتَّى الثَّقَلِ نِصْفَ اللَّيْلِ وَسَارَ هُوَ وَأَنَا فِي  
خِدْمَتِهِ مَحْرُومًا الْأَرْبَعَةَ



الْمَنْزِلُ الْحَادِي عَشَرَ وَهُوَ عَلَى عَسْقلانَ: وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ ثَامِنَ  
عَشَرَ الشَّهْرِ وَصَلَ السُّلْطَانُ إِلَى يَدَيْنَاهُ فَتَزَلَّ بِهَا وَضَحَى وَأَخَذَ النَّاسُ رَاحَةً.  
ثُمَّ رَحَلَ وَسَارَ حَتَّى أَتَى أَرْضَ عَسْقلانَ وَقَدْ ضُرِبَتْ خَيْمَتُهُ بَعِيدًا مِنْهَا.  
فَبَاتَ هُنَاكَ مَهْمُومًا بِسَبَبِ الْخَرَابِ وَمَا نَامَ إِلَّا قَلِيلًا. وَلَقَدْ دَعَانِي فِي  
خِدْمَتِهِ مَعْرًا وَكُنْتُ فَارِقْتُ خِدْمَتَهُ بَعْدَ مُضِيِّ نِصْفِ اللَّيْلِ. فَحَضَرْتُ  
وَبَدَأَ بِالتَّحْدِيثِ فِي مَعْنَى خَرَابِهَا وَأَحْضَرَوْنِي الْمَلِكَ الْأَفْضَلَ وَشَاوَرَهُ فِي  
ذَلِكَ وَطَالَ التَّحْدِيثُ فِي الْمَعْنَى وَلَقَدْ قَالَ لِي: وَاللَّهِ لَأَنْ أَفْقِدَ أَوْلَادِي بِهِ  
يَأْسِيهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَهْدِمَ مِنْهَا حَجَرًا وَاحِدًا وَلَكِنْ إِذَا قَضَى اللَّهُ ذَلِكَ  
وَفِيهِ دَعْوَتُهُ لِيَحْظِ مَصْلَحَةُ الْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ اسْتَخَارَ اللَّهَ تَعَالَى فَأَوْفَعَ اللَّهُ فِي  
نَفْسِهِ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ فِي خَرَابِهَا لِعِزِّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ حِفْظِهَا. فَاسْتَحْضَرَ الْوَالِيَّ  
قَبْصَرِيهَا وَهُوَ مِنْ كِبَارِ مَالِكِيهِ وَخَوِي الْأَرَآءِ مِنْهُمْ فَأَمَرَ بِجَمْعِ الْفَعْلَةِ  
فِيهَا. وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَقَدْ أَجْنَزَ بِالسُّوفِ وَالْوَطَافِ بِنَفْسِهِ مُسْتَفِيزَ النَّاسِ  
لِلْخَرَابِ. وَقَسَمَ السُّورَ عَلَى النَّاسِ وَجَعَلَ لِكُلِّ أَمِيرٍ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ  
بُرْجًا مَعْلُومًا يُخْرِبُونَهُ. وَدَخَلَ النَّاسُ الْبَلَدَ وَوَقَعَ فِيهِ الضَّجيجُ وَالْبُكَاءُ  
وَكَانَ بَلَدًا خَفِيفًا عَلَى الْقَلْبِ مُحْكَمَ الْأَسْوَارِ عَظِيمَ الْبِنَاءِ مَرْغُوبًا فِي سَكْنِهِ  
فَلَحِقَ النَّاسَ عَلَيْهِ حُزْنٌ عَظِيمٌ وَعَظُمَ عَوِيلُ أَهْلِهِ عَلَى مُفَارَقَةِ أَوْطَانِهِمْ  
وَشَرَعُوا فِي بَيْعِ مَا لَا يُمْكِنُ حَمْلُهُ وَبَيْعِ مَا يَسْوَى عَشْرَةَ دَرَاهِمَ بِدِرْهَمٍ  
وَاحِدٍ وَأَخْطَبَ الْبَلَدُ وَخَرَجَ أَهْلُهُ إِلَى الْعَسْكَرِ يَذَرَارِيَهُمْ وَنَدَّاهُمْ خَشْيَةً  
أَنْ يَقْبَحُوا الْإِفْرَاجَ وَبَدَّلُوا فِي الْكِرَاءِ أَضْعَافَ مَا يَسْوَى. قَوْمٌ إِلَى مِصْرَ  
وَقَوْمٌ إِلَى الشَّامِ وَقَوْمٌ يَبْشُرُونَ. وَجَرَتْ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ وَفِتْنَةٌ هَائِلَةٌ

لَعَلَّهَا لَمْ تَخْتَصَّ بِالَّذِينَ ظَلَمُوا . وَكَانَ هُوَ بِنَفْسِهِ وَوَلَدَهُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ  
يَسْتَعِيلَانِ النَّاسَ فِي الْخُرَابِ وَاتَّحَتِ عَلَيْهِ خَشْيَةٌ أَنْ يَسْمَعَ الْعَدُوُّ فَيَحْضُرَ  
وَلَا يُمَكِّنَ مِنْ خُرَابِهَا . وَبَاتَ النَّاسُ فِي الْخَيْمِ عَلَى أَمْرٍ حَالٍ مِنَ النَّصَبِ  
وَالنَّصَبِ . وَفِي ذَلِكَ اللَّيْلَةِ وَصَلَ مِنْ جَانِبِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ مَنْ أَخْبَرَ أَنْ  
الْإِفْرَنْجَ تَحَدَّثُوا مَعَهُ فِي الصُّلْحِ وَأَنَّهُ خَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ الْهَنْزَلِيِّ وَتَحَدَّثَ  
مَعَهُ وَأَنَّهُ طَلَبَ جَمِيعَ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ . فَرَأَى السُّلْطَانُ أَنَّ ذَلِكَ مَضْلَمَةٌ  
لِمَا رَأَى فِي أَنْفُسِ النَّاسِ مِنَ الضُّجْرِ وَالسَّامَةِ مِنَ الْغَنَالِ وَالْمَصَابِرِ وَكَثَرِ  
مَا عَلَاهُمْ مِنَ الدُّيُونِ . وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَسْمَعُ فِي التَّحْدِيثِ فِي ذَلِكَ . وَقُوضَ  
أَمْرُ ذَلِكَ إِلَى رَأْيِهِ وَأَصْبَحَ الْعِشْرِينَ عَلَى الْإِضْرَارِ عَلَى الْخُرَابِ وَاسْتِعْمَالَ  
النَّاسِ فِيهِ وَخَيْمِهِ عَلَيْهِ وَأَبَاحَهُمُ الْهَرِي الَّذِي كَانَ دَخِيرَةً فِي الْبَلَدِ لِلْعِجْرِ  
عَنْ ثِقَلِهِ وَضَعْفِ الْوَقْتِ وَالْخَوْفِ مِنْ هُجُومِ الْإِفْرَنْجِ . وَأَمَرَ بِمَحْرِقِ الْبَلَدِ  
فَأُضْرِمَتِ النَّارُ فِي يُونِيهِ وَأَخُورِهِ وَرَفَضَ أَهْلُهُ بَوَاقِي أَفْشِيهِ لِلْعِجْرِ عَنْ  
ثِقَلِهَا وَالْأَخْبَارُ تَتَوَاتَرُ مِنْ جَانِبِ الْعَدُوِّ بِعَارَةِ بَافَا . وَكَتَبَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ  
يُخَيِّرُ أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَعْلَمُوا بِخُرَابِ الْبَلَدِ فَأَجَابَهُ أَنْ سَوِّفَ الْقَوْمَ وَطَوَّلَ  
التَّحْدِيثَ لَعَلَّنَا نَسْمَكُنْ مِنَ الْخُرَابِ وَأَمَرَ بِمَحْشُورِ أَبْرَاجِ الْبَلَدِ بِالْأَخْطَابِ  
وَأَنْ تُحْرَقَ وَأَصْبَحَ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ رَكِبَ بِحُكْمِ النَّاسِ وَدَامَ يَسْتَعِيلُهُمْ عَلَى  
التَّخْرِيبِ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ حَتَّى الْتَأَتِ مِزَاجُهُ الْبَيَاضَ قَرِيبًا أَمْتَعَ بِسَبِيهِ  
مِنَ الرُّكُوبِ وَالْغَنَائِمِ . وَأَخْبَارُ الْعَدُوِّ تَتَوَاصَلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ  
وَيَحْرِي شُهُمُ وَيُنَ الْبِزْكَ وَالْعَسْكَرِ وَقَعَاتُ وَقَلَبَاتُ وَهُوَ بِوَاطِبٍ عَلَى  
التَّحْتِ عَلَى الْخُرَابِ وَتَقَلَّ الثَّقَلُ إِلَى قَرِيبِ الْبَلَدِ لِيُعَاوَنَ الْغِلْمَانُ وَالْمَحَالُونَ



وغيرهم في ذلك . فخرّب من السور معظمه وكان عظيم البناء بحيث  
أنه كان عرضه في مواضع تسعة أذرع وفي مواضع عشرة أذرع . ذكر  
بعض التجار بن السلطان وأنا حاضرون أن عرض السور الذي بنىونه  
فيه مقدار رُمح . ولم يزل الخراب والحريق يعمل في البلد وأسواره إلى  
سبع شعبان . وعند ذلك وصل من جريدك كتاب يذكر فيه أن القوم  
يتسبون وصاروا يخرجون من يافا بغاروت على البلاد القريبة منها .  
وحرك السلطان لعله يبلغ منهم غرضاً في غرضهم . فعزم على الرجل  
وعلى أن يخلف في عسقلان تجارين ومعهم خيل يجيبهم ويستقضونهم في  
الخراب . فرأى أن يآخر بحيث أن يهرق البرج المعروف بالأسبتار .  
وكان برجا عظيماً مشرفاً على البحر كالقلعة المنيعه . ولقد دخلته وعلفته  
فرايت بناءه أحكم بناء بعرض أن يكون لا يعمل فيه المعاول . ولما أراد  
أن يهرقه حتى ينفى بالحريق قابلاً للخراب . وأصبح مستهل رمضان أمر  
ولده الملك الأفضل أن يباشر ذلك بنفسه وخواصه . ولقد رأيت بعمل  
الخشب هو وخواصه لحريق البرج . ولم يزل الناس ينقلون الخشب  
ويحشونه في البرج حتى امتلأ ثم أطلقت فيه النار فاشتعل الخشب وبقى  
النار تشعل فيه يومين بليتها . ثم رحل السلطان ثاني رمضان نصف  
الليل خشبة على مزاجه من الحر ووصل مينا صاحي النهار وبات في تلك  
المنزلة وأصبح ثالث الشهر راجلاً إلى جهة الرملة ....

نُجَّة

مِنْ كِتَابِ التَّارِخِ لِأَبِي الْفِدَاءِ  
الْمَعْرُوفِ بِصَاحِبِ حِمَاة

ذِكْرُ وَفَاةِ نُورِ الدِّينِ وَمَا كَانَ لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ

فِي سَنَةِ نِسْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ تُوفِّيَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورُ الدِّينِ بْنُ  
مُحَمَّدِ بْنِ عِمَادِ الدِّينِ زَنْجِيَّ بْنِ أَفْسَنْتَرِ صَاحِبِ الشَّامِ وَدِيَّارِ الْأَنْجَرِيَّةِ  
وَعَبْرَ ذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ حَادِي عَشَرَ شَوَّالٍ بِعِلَّةِ الْخَوَائِقِ بِقَلْعَةِ دِمَشْقِ  
الْحُرُوسَةِ. وَكَانَ نُورُ الدِّينِ قَدْ شَرَعَ بِتَجَهُّزِ الدُّخُولِ إِلَى مِصْرَ لِأَخْذِهَا مِنْ  
صَالِحِ الدِّينِ وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يَخْلِيَ ابْنَ أَخِيهِ سَيْفَ الدِّينِ غَازِيَّ بْنَ  
مَوْدُودٍ فِي الشَّامِ قِبَالَ الْفَرَنْجِ وَيَسِيرَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَى مِصْرَ. فَأَتَاهُ أَمْرُ اللَّهِ  
الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ. وَكَانَ نُورُ الدِّينِ أَمِيرَ طَوِيلِ الْقَامَةِ لَيْسَ لَهُ لِحْيَةٌ إِلَّا  
فِي حَنَكِهِ حَسَنَ الصُّورَةِ. وَكَانَ قَدِ اتَّسَعَ مُلْكُهُ جِدًّا وَخُطِبَ لَهُ بِالْحَرَمَيْنِ  
وَالْبَهْنِ لَهَا مَلِكُهَا نُورَانُ شَاهُ بْنُ أَيُّوبَ وَكَذَلِكَ كَانَ يُخُطَبُ لَهُ بِمِصْرَ.  
وَكَانَ مَوْلِدُ نُورِ الدِّينِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَطَبِقَ ذِكْرُهُ الْأَرْضَ  
لِحُسْنِ سِيرَتِهِ وَعَدْلِهِ وَكَانَ مِنَ الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ عَلَى قَدَمٍ عَظِيمٍ وَكَانَ  
يُصَلِّي كَثِيرًا مِنَ اللَّيْلِ وَكَانَ كَأَفِيلَ

جَمَعَ الشُّعَاعَةَ وَالْخُشُوعَ لِرَبِّهِ مَا أَحْسَنَ الْخُرَابَ فِي الْخُرَابِ

وَكَانَ عَارِفًا بِالْفِتَنِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَيْسَ  
عِنْدَهُ تَعَصُّبٌ وَهُوَ الَّذِي بَنَى أَسْوَارَ مَدِينِ الشَّامِ مِنْهَا دِمَشْقُ وَخِصُّ  
وَحِمَاةُ وَحَلَبُ وَشَيْبَرُ وَبَعْلَبَكُ وَغَيْرُهَا لَهَا تَهْدِثُ بِالزَّلَازِلِ وَبَنَى الْمَدَارِسَ



الْكَبِيرَةَ الْخَنْفِيَّةَ وَالشَّافِعِيَّةَ وَلَا يَجْنِبُ هَذَا الْخُتَصَرُ ذِكْرَ قَضَائِهِ  
وَلَهَا نُورُ فِي نُورِ الدِّينِ قَامَ ابْنُهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نُورِ الدِّينِ  
مُحَمَّدٍ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ وَعُمُرُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَحُطِفَ لَهُ الْعَسْكَرُ بِدِمَشْقَ  
وَأَقَامَ بِهَا وَأَطَاعَهُ صَلَاحُ الدِّينِ بِبَصْرَ وَخُطِبَ لَهُ بِهَا وَضُرِبَتْ السِّكَّةُ  
بِاسْمِهِ . وَكَانَ الْمُنَوَّلِي لِنَذِيرِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ وَتَنْذِيرِ دَوْلَتِهِ الْأَمِيرَ ثَمَسَ  
الدِّينِ مُحَمَّدًا الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الْهَقْدَمِ . وَلَهَا مَاتَ نُورُ الدِّينِ وَمَلَكَ ابْنُهُ  
الْمَلِكُ الصَّالِحُ سَارِمُ بْنُ الْهَوَاصِلِ سَيْفُ الدِّينِ غَارِي بِ بْنِ قُطَبِ الدِّينِ  
مَوْدُودِ بْنِ عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِي وَمَلَكَ جَمِيعَ الْبِلَادِ الْخَزِينَةِ (الجزرية)  
ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَعِيدَةٌ وَخَمْسِيَاءُ . وَفِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ اجْتَمَعَ عَلَى  
رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الصَّعِيدِ يُقَالُ لَهُ الْكَثْرُ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَأَظْهَرَ الْخِلَافَ  
عَلَى صَلَاحِ الدِّينِ فَأَرْسَلَ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَيْهِ عَسْكَرًا فَاقْتَتَلُوا وَقُتِلَ الْكَثْرُ  
وَجَمَاعَةٌ مَعَهُ وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ

ذِكْرُ مَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ دِمَشْقَ وَغَيْرَهَا

فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَلَخَ رَبِيعَ الْأَوَّلِ مَلِكُ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ  
دِمَشْقَ وَخِمَصَ وَحِمَاةَ . وَسَبَّبَهُ أَنْ ثَمَسَ الدِّينِ ابْنُ الدَّائِيَةِ الْهَيْمَ بِحَلَبَ  
أَرْسَلَ سَعْدُ الدِّينِ كَبْشَنِكِينَ يَسْتَدْعِي الْمَلِكَ الصَّالِحَ ابْنَ نُورِ الدِّينِ  
مِنْ دِمَشْقَ إِلَى حَلَبَ لِيَكُونَ مُقَامَهُ بِهَا . فَسَارَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِلَى حَلَبَ  
مَعَ سَعْدِ الدِّينِ كَبْشَنِكِينَ . وَلَهَا اسْتَفَرَّ بِحَلَبَ وَتَمَكَّنَ كَبْشَنِكِينَ قَبْضَ  
عَلَى ثَمَسِ الدِّينِ ابْنِ الدَّائِيَةِ وَإِخْوَتِهِ وَقَبْضَ عَلَى الرَّئِيسِ ابْنِ الْخُشَابِ  
وَإِخْوَتِهِ وَهُوَ رَئِيسُ حَلَبَ وَاسْتَبَدَّ سَعْدُ الدِّينِ بِتَنْذِيرِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ

فَخَافَهُ ابْنُ الْمُقَدِّمِ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ بِدِمَشْقَ . فَكَاتَبُوا صَالِحَ الدِّينِ  
وَأَسْتَدْعَوْهُ لِيَهْلِكَوْهُ عَلَيْهِمْ . فَسَارَ جَرِيدَةً فِي سَبْعِ مِائَةِ فَارِسٍ وَلَمْ يَلْبَثْ  
وَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ فَخَرَجَ كُلُّ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْعَسْكَرِ وَالنَّفْوَةِ وَخَدَمُوهُ  
وَنَزَلَ بِدَارٍ وَإِلَيْهِ أَيُّوبُ الْمَعْرُوفَةُ بِدَارِ الْعِنْفِيِّ وَعَصَتْ عَلَيْهِ الْقَلْعَةُ . وَكَانَ  
فِيهَا مِنْ جِهَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ خَاصِمٌ أَسْمُهُ رَتْحَانُ . فَرَأَسَهُ صَالِحُ الدِّينِ  
وَأَسْتَمَالَهُ فَسَلَّمَ الْقَلْعَةَ إِلَيْهِ . فَصَعِدَ إِلَيْهِمْ صَالِحُ الدِّينِ وَأَخَذَ مَا فِيهَا مِنْ  
الْأَهْوَالِ . وَلَمَّا قُبِتَ قَدَمُهُ وَقَرَّرَ أَمْرُ دِمَشْقَ اسْتَخْلَفَ بِهَا أَخَاهُ سَيْفَ  
الْإِسْلَامِ طَغْتِكِينَ بْنَ أَيُّوبَ وَسَارَ إِلَى خِصَصَ مُسْتَهْلَ جَادَى الْأُولَى  
وَكَانَتْ خِصَصُ وَحَاةٍ وَقَلْعَةُ بَارِينَ وَسَلِيبَةُ وَتَلُّ خَالِدٍ وَالرُّهَامِينَ بَلَدِ  
الْجَزِيرَةِ فِي أَقْطَاعِ فَخْرِ الدِّينِ مَسْعُودِ بْنِ الزَّعْفَرَانِيِّ . فَلَمَّا مَاتَ نُورُ الدِّينِ  
لَمْ يُبَكِّنْ فَخْرُ الدِّينِ مَسْعُودَ الْمَقَامِ بِخِصَصَ وَحَاةٍ لِسُوءِ سِيرَتِهِ مَعَ النَّاسِ  
وَكَانَتْ هَذِهِ الْبِلَادُ لَهُ بِغَيْرِ فَلَاعِيهَا . فَإِنْ فَلَاعِيهَا فِيهَا وَلَاةٌ لِنُورِ الدِّينِ وَلَيْسَ  
لِفَخْرِ الدِّينِ مَعَهُمْ فِي الْفَلَاعِ حُكْمٌ إِلَّا بَارِينَ فَإِنْ قَلْعَتَهَا كَانَتْ لَهُ أَيْضًا .  
وَنَزَلَ صَالِحُ الدِّينِ عَلَى خِصَصَ فِي حَادِي عَشَرَ جَادَى الْأُولَى وَمَلَكَ  
الْمَدِينَةَ وَعَصَتْ عَلَيْهِ الْقَلْعَةُ . فَتَزَلَّ عَلَيْهَا مَنْ يُضِيقُ عَلَيْهَا وَرَحَلَ إِلَى حَاةٍ  
فَمَلَكَ مَدِينَتَهَا مُسْتَهْلَ جَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ . وَكَانَ يَقْلَعُهَا الْأَمِيرُ  
عِزُّ الدِّينِ جُرْدِيكُ أَحَدُ الْمَالِكِ النُّورِيَّةِ . فَأَمْتَنَعَ فِي الْقَلْعَةِ فَذَكَرَ لَهُ  
صَالِحُ الدِّينِ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ غَرَضٌ إِلَّا حِفْظُ بِلَادِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ عَلَيْهِ وَالْمَا  
هُوَ نَائِبُهُ وَقَصْدُهُ مِنْ جُرْدِيكِ الْمَسِيرُ إِلَى حَلَبَ فِي رِسَالَةٍ فَاسْتَخْلَفَهُ جُرْدِيكُ  
عَلَى ذَلِكَ . وَسَارَ جُرْدِيكُ إِلَى حَلَبَ بِرِسَالَةٍ صَالِحِ الدِّينِ وَاسْتَخْلَفَ فِي



فَلَمَّا حَمَاهُ أَخَاهُ. فَلَمَّا وَصَلَ جُرْحِيكَ إِلَى حَلَبَ قَبَضَ عَلَيْهِ كَمِشْتَكِينَ  
وَسَجَنَهُ. فَلَمَّا عَلِمَ أَخُوهُ بِذَلِكَ سَلَّمَ الْقَلْعَةَ إِلَى صَالِحِ الدِّينِ فَمَلَكَهَا  
ثُمَّ سَارَ صَالِحُ الدِّينِ إِلَى حَلَبَ وَحَصَرَهَا وَبِهَا الْمَلِكُ الصَّالِحُ. فَجَمَعَ  
أَهْلَ حَلَبَ وَقَاتِلُوا صَالِحَ الدِّينِ وَصَدُّوا عَنْ حَلَبَ وَلَزِمَ سَعْدُ الدِّينِ  
كَمِشْتَكِينَ إِلَى سِنَانٍ مُقَدِّمِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ أَمْوَالًا عَظِيمَةً لِيَقْتُلُوا صَالِحَ  
الدِّينِ. فَأَرْسَلَ سِنَانٌ جَاعَةً وَوَثَبُوا عَلَى صَالِحِ الدِّينِ فَقَتَلُوا دُونَهُ.  
وَأَسْتَمَرَ صَالِحُ الدِّينِ مُحَاصِرًا لِحَلَبَ إِلَى مُسْتَهْلٍ رَجَبٍ وَرَحَلَ عَنْهَا بِسَبَبِ  
تُرُولِ الْفَرَنْجِ عَلَى خِمَصَ وَسَارُوا إِلَى خِمَصَ فَرَحَلَ الْفَرَنْجُ عَنْهَا وَوَصَلَ  
صَالِحُ الدِّينِ إِلَى خِمَصَ وَحَصَرَ قَلْعَتَهَا وَمَلَكَهَا فِي اثْنَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ  
شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ. ثُمَّ سَارَ إِلَى بَعْلَبَكْ فَمَلَكَهَا

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ مُلْكُ صَالِحِ الدِّينِ لِهَذِهِ الْبِلَادِ. أَرْسَلَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِلَى  
أَبْنِ عَمِّهِ سَيْفِ الدِّينِ غَازِي صَاحِبِ الْهَوِصْلِ بِسِتْنَةِ عَلَى صَالِحِ  
الدِّينِ. فَجَهَّزَ جَيْشَهُ صُحْبَةً أَخِيهِ عِزُّ الدِّينِ مَسْعُودِ بْنِ مَوْدُودِ زَنْكِي  
وَجَعَلَ مُقَدِّمَ الْجَيْشِ أَكْبَرَ أُمَرَائِهِ وَهُوَ عِزُّ الدِّينِ مَحْمُودٌ وَلَقَبُهُ سَلْغَنْدَانُ  
وَطَلَبَ أَخَاهُ الْأَكْبَرَ عِمَادَ الدِّينِ زَنْكِي بْنِ مَوْدُودِ صَاحِبَ سِنْجَارَ يَسِيرُ  
فِي النُّجْدَةِ أَيْضًا. فَامْتَنَعَ مُضَافَةً لِصَالِحِ الدِّينِ. فَسَارَ سَيْفُ الدِّينِ  
غَازِي وَحَصَنُ سِنْجَارَ وَوَصَلَ عَسْكَرُ الْهَوِصْلِ صُحْبَةً مَسْعُودِ بْنِ مَوْدُودِ  
وَسَلْغَنْدَانُ إِلَى حَلَبَ وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ عَسْكَرُ حَلَبَ وَسَارَ إِلَى صَالِحِ الدِّينِ.  
فَأَرْسَلَ صَالِحُ الدِّينِ بِبَدَلِ خِمَصَ وَحَمَاهُ وَلَنْ يَفْرِي بِدِيهِ دِمَشْقُ وَيَكُونُ  
فِيهَا نَائِبًا لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ. فَلَمْ يَجِبُوا إِلَى ذَلِكَ وَسَارُوا إِلَى قِتَالِهِ وَقَاتَلُوا

عِنْدَ قُرُونٍ حَمَاءَ فَأَتَهَزَمَ عَسْكَرُ الْهَوْصِلِ وَحَلَبَ وَغَنِمَ صَلاَحُ الدِّينِ  
وَعَسْكَرُهُ أَمْوَالَهُمْ وَتَبِعَهُمْ صَلاَحُ الدِّينِ حَتَّى حَصَرَهُمْ فِي حَلَبَ وَقَطَعَ  
حِينَئِذٍ خُطْبَةَ الْمَلِكِ الصَّالِحِ بْنِ نُورِ الدِّينِ وَلَزَالَ اسْمُهُ عَنِ السِّكَّةِ  
وَأَسْتَبَدَّ بِالسُّلْطَانَةِ . فَرَأَسُوا صَلاَحَ الدِّينِ فِي الصُّلْحِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا  
بِيَدِهِ مِنَ الشَّامِ وَلِلْمَلِكِ الصَّالِحِ مَا بِيَدِهِ مِنْهُ فَصَالَحَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَحَلَ  
عَنْ حَلَبَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ . وَفِي الْعَشْرِ الْآخِرِ  
مِنْ شَوَّالٍ مَلَكَ السُّلْطَانُ صَلاَحُ الدِّينِ قَلْعَةَ بَارِينٍ وَأَخَذَهَا مِنْ صَاحِبِهَا  
فَخَرَّ الدِّينِ مَسْعُودٍ بْنِ الزَّعْفَرَانِيِّ . وَكَانَ فخر الدِّينِ الْمَذْكُورُ مِنْ أَكْبَارِ  
الْأَمْرَاءِ النُّورِيَّةِ

ذِكْرُ أَنْهَزَامِ سَيْفِ الدِّينِ غَارِي صَاحِبِ الْهَوْصِلِ  
مِنَ السُّلْطَانِ صَلاَحِ الدِّينِ

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَسُ وَسَعِيدَةٌ وَخَمْسِيَاءَةٌ وَفِيهَا عَاشِرُ شَوَّالٍ كَانَ  
الْمَصَافَةُ بَيْنَ السُّلْطَانِ صَلاَحِ الدِّينِ وَبَيْنَ سَيْفِ الدِّينِ غَارِي بْنِ  
مَوْدُودٍ بْنِ زَنْكِي بَنِي السُّلْطَانِ . فَحَرَبَ سَيْفُ الدِّينِ غَارِيَّ وَالْعَسَاكِرُ  
الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ . فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ اسْتَجَدَّ بِصَاحِبِ حِصْنٍ كَيْفَا وَصَاحِبِ  
مَارْدِينٍ وَغَيْرِهَا وَتَبَتَ عَلَى سَيْفِ الدِّينِ غَارِيَّ الْهَزِيمَةُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى  
الْهَوْصِلِ مَرْغُوبًا وَقَصَدَ الْهَرُوبَ مِنْهَا إِلَى بَعْضِ الْقِلَاعِ قُصْبَتُهُ وَزَيْدُهُ وَأَقَامَ  
بِالْهَوْصِلِ وَأَسْنَوَى السُّلْطَانُ صَلاَحُ الدِّينِ عَلَى أَتْقَالِ عَسْكَرِ الْهَوْصِلِ  
وغيرِهِمْ وَغَنِمَ مَا فِيهَا . ثُمَّ سَارَ إِلَى بَرَابَةِ وَحَصَرَهَا وَتَسَلَّهَا . ثُمَّ سَارَ إِلَى  
مَنْجٍ فَحَصَرَهَا فِي آخِرِ شَوَّالٍ . وَكَانَ صَاحِبُهَا قُطْبُ الدِّينِ بِنَالُ بْنُ حَسَّانٍ



المنجي شديد البغض لصلاح الدين وفتحها عنوة وأسربنال وأخذ جميع  
موجوده. ثم أطلقه فسار بنال إلى الهوصل فأقطعته سيف الدين غازي  
مدينة الرقة

ثم سار السلطان صلاح الدين إلى عزاز ونازلها فالتك ذبب النعمة  
وتسلها حادبب عشر ذي الحجة. فوئب إسماعيلي على صلاح الدين في  
حصاره عزاز فضربه بسكين في رأسه فجرحه فأمسك صلاح الدين  
الإسماعيلي ونهى يضرب بالسكين فلا يؤثر حتى قتل الإسماعيلي على  
نلك الحال ووئب آخر عليه فقتل وتالك فقتل أيضا وبجا السلطان إلى  
خبيته مذعورا وأعرض جند وأبعد من أنكره منهم ولما ملك السلطان  
عزاز رحل عنها ونازل حلب في منتصف ذي الحجة وحصرها وبها  
الملك الصالح وأتقت هذه السنة وهو محاصر لحلب. فسأله في الصلح  
فلجأهم إليه وأخرجوا إليه ستا صغيرة لنور الدين فأكرمها وأعطاهما شيئا  
كثيرا وقال لها: ما ترؤمين فقالت أريد قلعة عزاز وكانوا قد علموها  
ذلك. فسلمها السلطان إليهم واستقر الصلح ورحل السلطان من حلب  
في العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين

سبقي القم الثالث من نجب المهر

من كتاب المراسل طردون

وي كتاب مع الطيب من عص الاملس القري

ومن كتاب الامانة لابي الطيب

من كتاب قحة الطار في عرائب الامصار لاس طوطه

ومن كتاب عرائب الملوقات لاس عبد القوي

۱۳۰۲۸	دانش‌نمبیر
۲۹	فن‌نمبیر
۱۶۰ع	کتاب‌نمبیر











